بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی (2)

الدرس 1

تاريخ الإمام علی (عليه السلام)(1)

(عصر الصحابه والتابعين)

المقدمه

بعد أن انتهينا في الفصل السابق من فصول الدراسة من تناول عهد النبي (صلى الله عليه وآله) في مساق التاريخ الإسلامي (١)، ندخل اليوم بعونه تعالى في دراسة ما بعد ذلك العهد وهو *عهد الصحابة والتابعين*.

وما سنتناوله في هذا المساق إن شاءالله، سيكون دورة بسيطة في هذا العهد نتناول فيها عهد كل واحد من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بدءا بالإمام علي(عليه السلام) وختما بإمام الزمان (عليهما السلام) علما بأننا سنركز على أهم النقاط التي يمكن من خلالها وضع اليد على الخطوط العامة لتاريخ كل واحد من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وليكون ذلك باعثا على مزيد التحقيق من قبل الطالب نفسه في هذا المجال.

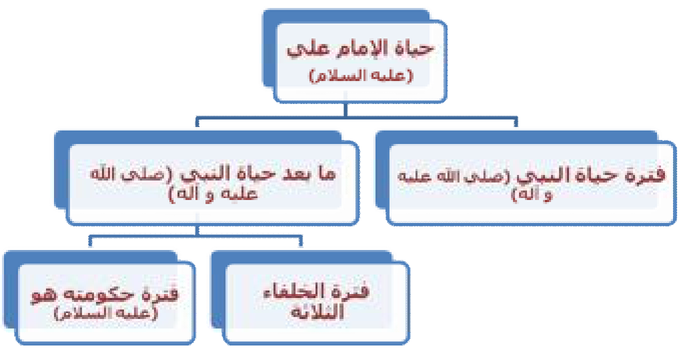
المحتوى العلمى

شأنه (ع)

يعتبر «**الإمام علي بن أبي طالب**» (عليه السلام) عند عامّة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ـ سنةً وشيعة ـ الصحابّي المقبول لدى كل الاتجاهات والمذاهب التي خطّأت خط الخلافة الذي أُشيدت دعائمه بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) والاتجاهات التي صححّت هذا الخط معتبرة الإمام عليّاً رابع الخلفاء الراشدين.

هذا فضلا عن كونه من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وابن عم الرسول (صلي الله عليه وآله) أخاه ووصيّه والإمام من بعده على أُمّته لدى كثير من المسلمين.

ويمكن أن نتناول حياة الإمام **علي بن أبي طالب** (عليه السلام) من خلال عهدين متميزين هما:



وسوف نتناول تاريخ **الإمام علي** (عليه السلام) من خلال التقسيم السابق إن شاء الله تعالى، علما

بأننا لن نطيل الوقوف في الكلام في حياته في فترة حياة النبي اعتمادا على ما نقلناه في الفصل السابق في هذا المجال.

ميلاده

ولد بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة و*لم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده* وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالا لمحله ومنزلته وإعلاء لرتبته.

وأمه **فاطمة بنت أسد** بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول الله (صلي الله عليه وآله) بمنزلة الأم وربي في حجرها وكانت من سابقات المؤمنات إلى الإيمان وهاجرت معه إلى المدينة وكفنها النبي (صلي الله عليه وآله) عند موتها بقميصه، ليدرأ به عنها هوام القبر وتوسد في قبرها، لتأمن بذلك من ضغطة القبر ولقنها الإقرار بولاية ابنها كما اشتهرت به الرواية. فكان أمير المؤمنين (عليه السلام) هاشميا من هاشميين.[١]

أسماؤه وألقابه

وأسماؤه في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة وكنيته المشهورة **أبو الحسن** وقد كني أيضا: **بأبي الحسين**، و**أبي السبطين**، و**أبي الريحانتين**. وكناه رسول الله (صلي الله عليه وآله) بأبي تراب لما رآه ساجدا معفرا وجهه في التراب[٢]. ولقبه أمير المؤمنين، خصه النبي (صلي الله عليه وآله) به لما قال: «سلموا على علي بإمرة المؤمنين». [٣]

كما وقد لقبه رسول الله (صلي الله عليه وآله): «**سيد المسلمين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الأوصياء، وسيد العرب**».[٤]

وهو أخو رسول الله (صلي الله عليه وآله) ووزيره ووصيه وخليفته في أمته وصهره على ابنته الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء لعالمين وهو المرتضى ويعسوب المؤمنين.

أسلم وهو ابن عشر سنين[٥]، فقد صحت الرواية عنه (عليه السلام) أنه قال: «بعث النبي (صلي الله

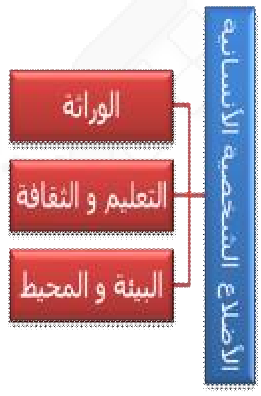
(١)انظر: الكافي ١: ٣٧٦ و٣٧٧ / ٢، ارشاد المفيد ١: ٥، التهذيب للطوسي ٦: ١٩،أسد الغابة ٥: ٥١٧، الرياض النضرة ٣: ١٠٤، الفصول المهمة ٣٠.
(٢)الكافي ١: ٢٣١ / ١، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ٦٨ / ٣١٢، ارشاد المفيد ١: ٨ ٤، أمالي المفيد: ١٨ / ٧، أمالي الطوسي ١: ٢٩٥ و٣٤٠، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٥٣.
(٣)انظر: أمالي الصدوق: ٩ ١ / ذيل حديث ٦ و٤٧ ٢ / ٦ ١، بشارة المصطفى: ١٨ و١٦٥، مائة منقبة: ٥٧ / ٣١ و١ ٧ / ١ ٤، اليقين لابن طاووس: ١٠، مناقب الخوارزمي: ٤٢، و٢٣١.
(٤)انظر: أمالي الصدوق: ٩ ١ / ذيل حديث ٦ و٤٧ ٢ / ٦ ١، بشارة المصطفى: ١٨ و١٦٥، مائة منقبة: ٥٧ / ٣١ و١ ٧ / ١ ٤، اليقين لابن طاووس: ١٠، مناقب الخوارزمي: ٤٢، و٢٣١..
(٥)الكافي ١: ٣٧٦، تاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة): ٩٠، مناقب شهرآشوب ٣: ٣٠٧، مناقب الخوارزمي: ٣٨٤.

عليه وآله) يوم الاثنين فأسلمت يوم الثلاثاء»[٦]، وعاش بعد ما قبض النبي (صلي الله عليه وآله) ثلاثين سنة إلا خمسة أشهر وأياما وتولى غسله وتكفينه ابناه الحسن والحسين بأمره وحملاه إلى الغريين من نجف الكوفة ودفناه هناك ليلا وعميا موضع قبره بوصيته إليهما في ذلك لما كان يعلم من دولة بني أمية من بعده وإنهم لا ينتهون عما يقدرون عليه من قبيح الأفعال ولئيم الخلال، فلم يزل قبره مخفيا حتى دل عليه **الصادق** (**عليه السلام**) في الدولة العباسية وزاره عند وروده إلى **أبي جعفر** وهو بالحيرة.[٧]

مكوّنات الشخصيّه الاِنسانيه

تعود شخصية كلّ إنسان ـ حسب مايرى علماء النفس ـ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكلّ منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها.

وكأنّ الشخصية الاِنسانية لدى كل إنسان أشبه بمثلث يتألّف من اتّصال هذه الاَضلاع الثلاثة بعضها ببعض وهذه العوامل الثلاثة هي:



إنّ كلّ ما يتّصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الاِنسان عبر هذه **القنوات الثلاث**، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق.على أنّنا يجب أن لاننسى دور إرادة الاِنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

مكوّنات شخصيّه الاِمام على (ع).

لم يكن الاِمام علي (عليه السلام) بصفته بشراً بمستثنى من هذه القاعدة؛ فقد ورث الاِمام أمير

(٦)تفسير القمي ١: ٣٧٨، مسند أبي يعلى ١: ٣٤٨ / ٤٤٦، الأوائل لأبي هلال العسكري: ٩١، مستدرك الحاكم ٣: ١١٢ عن انس بن مالك، ووافقه الذهبي في ذيل المستدرك، تاريخ ابن عساكر - ترجمة الإمام علي (ع) - ١: ٥ / ٧٩، صحيح الترمذي ٥: ٦٤٠ / ٣٧٢٨ عن أنس بن مالك إلا أنه فيه >وصلى علي< بدل >فأسلمت<.

(٧)ارشاد المفيد ١: ٩، تاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة): ٩٠ و٩٣، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٠٧.

المؤمنين (عليه السلام)جانباً كبيراً من شخصيته النفسية والروحية والآخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة وإليك التفصيل:

1- الاِمام على (ع) والوراثه من الآبوين.

لقد انحدر **الاِمام علي** (عليه السلام) من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصيّة هو **أبوطالب** ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة وسيّد البطحاء ورئيس بني هاشم وهو إلى جانب ذلك، كان معروفاً بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية في سبيل الهدف المقدّس والعقيدة التوحيديّة المباركة.

فهو الذي تكفّل رسول الله منذ توفّي جدّه وكفيله الآوّل **عبدالمطلب** وهو آنذاك في الثامنة من عمره وتولّى العناية به والقيام بشؤونه وحفظه وحراسته في السفر والحضر بإخلاص كبير واندفاع وحرص لانظير لهما بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) ويقوم في سبيل إرساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء ويتحمّل لتحقيق هذه الآهداف العليا كلّ تعب ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً ... نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم

وقوله:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ... رسولاً كموسى خُطّ في أوّل الكتب[٨]

إنّ من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعاً في الشعب، ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الاِيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتّصف به **أبوطالب**؛ إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية وروابط القربى، أن توجِد في الاِنسان مثل هذه الروح التضحويّة.

هذا عن والد الاِمام أمير المؤمنين (ع).

وأمّا أُمّه فهي **فاطمة بنت أسد بن هاشم** وهي من السابقات إلى الاِسلام والاِيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التي لجأت ـ عند المخاض ـ إلى المسجد الحرام وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

---

(٨) مجمع البيان ٤: ٣٧.

«يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي».

فدخلت **فاطمة بنت أسد** الكعبة ووضعت عليّاً (عليه السلام)هناك. [٩]

تلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرّخين والمحدّثين الشيعة وكذا علماء الأنساب في مصنّفاتهم، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بها في كتبهم واعتبروها حادثة فريدة وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل. [١٠]

قال **الحاكم النيسابوري**: «وقد تواترت الآخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة». [١١]

وقال **شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسي**: «وكون الآمير كرّم الله وجهه ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه كما اشتهر وضعه».[١٢]

2- الامام علىّ (عليه السلام) وتربيته فى حجر النبىّ (صلى الله عليه وآله).

وأمّا التربية الروحية والفكرية والآخلاقية، فقد تلقّاها (عليه السلام) في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولا يتجاوز هذا القسم من حياته الشريفة عشر سنوات؛ لآنّ اللّحظة التي ولد فيها عليّ (عليه السلام) لم يكن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد تجاوز فيها الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه (صلى الله عليه وآله) قد بعث بالرسالة في سنّ الآربعين.

وعلى هذا الآساس لم يكن الإمام عليّ (عليه السلام) قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرسالة وتوّج بالنبوّة.

إنّ أبرز الحوادث في حياة الإمام عليّ (ع) هو تكوين الشخصية العلوية

وتحقّق الضلع الثاني من المثلّث الذي أسلفناه بواسطة النبيّ الآكرم وفي ظلّ ما أعطاه (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) من أخلاق وأفكار.

وتحقيقاً لهذا الهدف السامي *تولّى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بنفسه تربية عليّ (عليه السلام) بعد ولادته* وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها عليّ (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلقيت من رسول الله حبّاً شديداً لعليّ حتّى أنّه قال لها: «إجعلي مهده بقرب فراشي»،

(٩)كشف الغمّة ١: ٦٠.
(١٠)مروج الذهب ٢: ٣٤٩، شرح الشفاء للقاضي عياض١: ١٥١ وغيرهما.
(١١)شرح عينية عبد الباقي العمري: ١٥.
(١٢)الغدير ٦: ٢٢.

وكان (صلى الله عليه وآله) يطهّر علياً في وقت غسله ويوجره اللّبن عند شربه ويحرّك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويلاحظه ويقول: «هذا أخي ووليّي وناصري وصفيّي وذخري، وكهفي وصهري ووصيّي وزوج كريمتي وأميني على وصيّتي وخليفتي.»[١٣]

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هي أن يتمّ توفير الضلع الثاني في مثلّث الشخصية (**وهو التربية**) بواسطته (صلى الله عليه وآله) وأن لا يكون لآحد غير النبيّ (صلى الله عليه وآله) دخل في تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

وقد ذكر **الاِمام عليّ** (**عليه السلام**) ما أسداه الرسول الكريم إليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة إذ قال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخَصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويَكنُفني في فراشه ويمسُّني جسدَه ويُشمّني عَرْقَه وكان يمضغ الشيء ثمّ يُلقمنيه». [١٤]

النبى (صلى الله عليه وآله) يأخذ علياً عليه السلام إلى بيته :

ذكر المؤرّخون أنّه أصابت مكّة ـ ذات سنة ـ أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة وكان **أبوطالب** ـ رضي الله عنه ـ ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشاً من العدم والضائقة والجهد والفاقة، فعند ذلك دعا رسول الله عمّه **العباس** إلى أن يتكفّل كل واحد منهما واحداً من أبناء أبي طالب وكان **العباس** ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك؛ أخذ النبي عليّاً وأخذ العباس جعفراً وتكفّل أمره وتولّى شؤونه.[١٥]

وهذا هو الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير إلى تلك الآيام القيّمة وإلى تلك الرعاية النبويّة المباركة المستمرّة إذ يقول:

«ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به».[١٦]

3- البيئه الرساليه وشخصيه الاِمام :

ولو أضفنا ذينك الآمرين (أي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقّاه في حجر النبيّ) إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والاِسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثّر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

---

(١٣)كشف الغمة ١: ٦٠.
(١٤)نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢) المسمّاة بالخطبة القاصعة.
(١٥)بحار الآنوار ٣٥: ٤٤، وسيرة ابن هشام ١: ٢٤٦.
(١٦)نهج البلاغة ـ شرح عبده ـ ٢: ١٨٢.

ومن هنا يحظى الإمام عليّ (عليه السلام) بمكانة مرموقة لدى الجميع؛ مسلمين وغير مسلمين؛ لما كان يتمتّع به من شخصية سامقة وخصوصيات خاصّة يتميّز بها.

قال عمر بن الخطّاب: «عقمت النساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب».(١٧)

ويقول **جورج جرداق** الكاتب المسيحي اللبناني المعروف:

«وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كلّ زمن عليّاً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره».(١٨)

هذه الآبعاد التي ألمحنا إليها هي الآبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

البعد المعنوى لشخصيّه الامِام (عليه السلام)

غير أنّ أبعاد شخصية الإمام عليّ (عليه السلام) لاتنحصر في هذه الآبعاد الثلاثة؛ فإنّ لآولياءالله سبحانه بعداً رابعاً، داخلاً في هويّة ذاتهم وحقيقة شخصيتهم وهذا البعد هوالذي ميّزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقاً خاصّاً ولمعاناً عظيماً.

وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميّز هذه الصفوة عن الناس وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بين الناس؛ وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

فلآجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركّبة من بعدين: طبيعي وإلهي ولا يقدر على توصيفها إلاّ بنفس ما وصفهم به الله سبحانه وقد نزلت في حقّ الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) آيات ووردت روايات.

الخلاصه

١ـ ويمكن أن نتناول حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال عهدين متميزين هما:



٢ـ ولد (عليه السلام) بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل

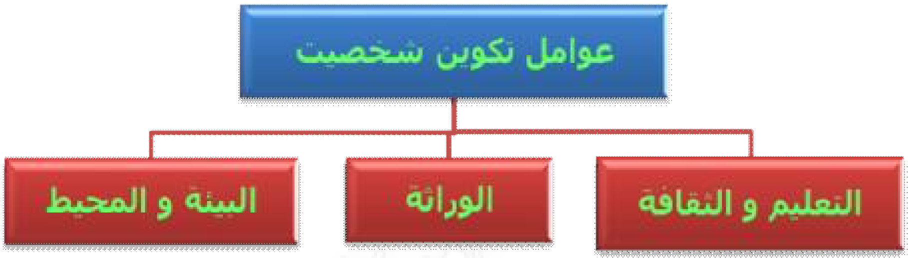
(١٧)الغدير ٦: ٣٨ ط النجف.
(١٨)الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١: ٤٩.

بثلاثين سنة ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده.

٣ـ أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وأبوه أبوطالب بن عبد المطلب زعيم مكّة وسيّد البطحاء ورئيس بني هاشم.

٤ـ أسماؤه (عليه السلام) في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة وكنيته المشهورة أبو الحسن ولقبه الذي لقبه به النبي (صلى الله عليه وآله) أميرالمؤمنين.

٥ـ تعود شخصية كلّ إنسان ـ حسب مايرى علماء النفس ـ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكلّ منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها وهي:



٦ـ تولّى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بنفسه تربية عليّ (عليه السلام) بعد ولادته.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 2

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(2)

المقدمه

لا شكّ في أنّ الدين الاِسلامي دين عالميّ وشريعة خاتمة وقد كانت قيادة الأمّة الاِسلامية من شؤون النبيّ الاَكرم (صلى الله عليه وآله) ما دام على قيد الحياة وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأمّة وأكملهم.

إنّ في هذه المسألة؛ وهي أنّ منصب القيادة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) هل هو منصب تنصيصيّ تعيينيّ أو أنّه منصب انتخابيّ؟ اتّجاهين، سنتعرض في هذا الدرس إليهما لأهمية المسألة، تاركين مزيد الفحص والتحقيق على عهدة الطالب بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في هذا المجال.

المحتوى العلمى

منصب الخلافه

*ترى الشيعة **أنّ مقام القيادة منصب تنصيصيّ** ولابدّ أن يُنصّ على خليفة النبيّ من السماء، بينما يرى أهل السنّة **أنّ هذا المنصب انتخابيّ جمهوريّ**؛ أي أنّ على الأمّة أن تقوم بعد النبيّ باختيار فرد من أفرادها للإدارة.*

إنّ لكل من الاتّجاهين المذكورين دلائل، ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية، إلاّ أنّ ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة في ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة من جهة؛ فإنّ هذه الدراسة كفيلة بإثبات صحّة أحد الاتّجاهين وفي ضوء ما ورد في هذا المجال من وقائع ومستندات من جهة أخرى.

إنّ تقييم الاَوضاع السياسية داخل المنطقة الاِسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأنّ خليفة النبيّ (صلى الله عليه وآله) لابدّ أن يعيَّن من جانب الله تعالى ولا يصحّ أن يوكل هذا إلى الأمّة؛ فإنّ المجتمع الاِسلامي كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثي (**الروم ـ الفرس ـ المنافقون**) بشنّ الهجوم الكاسح وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالح الأمّة كانت توجب أن تتوحّد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدو في جسم الأمّة الاِسلامية والسيطرة عليها وعلى مصيرها.

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانت **الاِمبراطورية الرومانيّة** أحد أضلاع الخطر المثلّث الذي يحيط بالكيان الاِسلامي ويهدّده من

الخارج والداخل وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز في **شمال الجزيرة العربية** وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام حتّى إنّ التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتّى لحظة الوفاة والالتحاق بالرفيق الآعلى.

وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة في أرض **فلسطين** وقد أدّت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم: **«جعفر الطيار»** و**«زيد بن حارثة»** و**«عبد الله بن رواحة»** ولقد تسبّب انسحاب الجيش الاِسلامي بعد استشهاد القادة المذكورين إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الاِسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

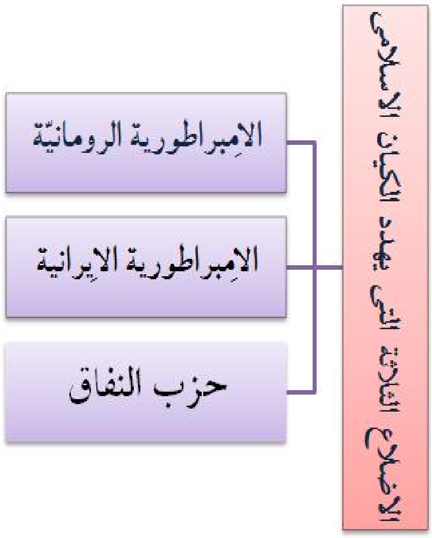
من هنا خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في **السنة التاسعة للهجرة** على رأس جيش كبير جدّاً إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية وقد استطاع الجيش في هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة ويجدّد حياته السياسية.

غير أنّ هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعدّ قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين وأمّر عليهم ***«أسامة بن زيد»*** وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام والحضور في تلك الجبهة.

أمّا **الضلع الثاني** من المثلث الخطير الذي كان يهدّد الكيان الاِسلامي، فكان **الاِمبراطورية الاِيرانية** (**الفارسية**) وقد بلغ من غضب هذه الاِمبراطورية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعاداتها لدعوته، أن أقدم إمبراطور إيران **«خسرو برويز»** على تمزيق رسالة النبي (صلى الله عليه وآله)، وتوجيه الاِهانة إلى سفيره بإخراجه من بلاده والكتابة إلى واليه وعامله على اليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو يقتله إن امتنع.

و«خسرو» هذا وإن قتل في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاّ أنّ استقلال اليمن ـ التي رزخت تحت استعمار الامبراطورية الاِيرانية ردحاً طويلاً من الزمان ـ لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الاِسلامية) لهم.

و**الخطر الثالث** كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الاِسلامي من الداخل إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في طريق العودة من تبوك إلى المدينة.



فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: إنّ الحركة الاِسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورحيله، وبذلك يستريح الجميع. [١]

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأمّة الاِسلامية من الداخل وذلك عندما أتى علياً (عليه السلام) وعرض عليه أن يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة ليستطيع بذلك تشطير الأمّة الاِسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد في الماء العكر.

ولكنّ **الاِمام علياً** (عليه السلام) أدرك بذكائه البالغ نيّات أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونيّاته الشريرة:

«والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة وإنّك ـ والله ـ طالما بغيت للاِسلام شرّاً .لاحاجة لنا في نصيحتك».[٢]

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم في سور عديدة هي: **سورة آل عمران والنساء والمائدة والآنفال والتوبة والعنكبوت والآحزاب ومحمّد** (**صلى الله عليه وآله**) **والفتح والمجادلة والحديد والمنافقون والحشر.**

فهل مع وجود مثل هؤلاء الآعداء الخطرين والآقوياء الذين كانوا يتربّصون بالاِسلام الدوائر ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول الله أُمّته الحديثة العهد بالاِسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعيّن لهم قائداً دينياً سياسياً؟!

(١)أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ٣٠ من سورة الطور: {أم يقولون شاعرٌ نتربّصُ به ريبَ المنون}.
(٢)الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٢، العقد الفريد ٢: ٢٤٩.

إنّ المحاسبـات الاجتماعية تقول: إنّه كـان من الواجـب أن يمنـع رسـول الإسـلام بتعييـن قائـد للأمّة،... من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بإيجاد حصن قويّ وسياج دفاعي متين حول تلك الأمّة.

إنّ تحصين الأمّة وصيانتها من الحوادث المشؤومة والحيلولة دون مطالبة كلّ فريق «*الزعامة*» لنفسه دون غيره وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقّق إلاّ بتعيين قائد للأمّة وعدم ترك الأمور للأقدار.

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية المنطقية تهدينا إلى صحّة نظرية **«التنصيص على القائد بعد رسول الله** (**صلى الله عليه وآله**)**»** ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أُخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طول حياته حتّى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّـن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته وفي نهايتها.

ولا بأس ببيان كلا هذين المقامين ولو باختصار:

1- النبوّه والإمامه توأمان :

بعض النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التي تثبت صحّة الرأي الأوّل بصورة قطعيّة، هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام.

فهو لم يعيّـن(ولم ينصّ على) خليفته ووصيّه من بعده في أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه منذ بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعدُ سوى بضعة عشر من الأشخاص وذلك يوم أمر من جانب الله العليّ القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلـهي الأليم وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع برسالته للجميع ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلاً من زعماء بني هاشم وبني المطلّب، ثمّ وقف فيهم خطيباً فقال:«أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟»

فأحجم القوم وقام عليّ (عليه السلام) وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) برقبته والتفت إلى الحاضرين وقال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم».[٣]

وقد عرف هذا الحديث عند المفسّرين والمحدّثين: بـ **«حديث يوم الدار» و«حديث بدء الدعوة»**.

(٣)تاريخ الطبري ٢: ٢١٦، الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ و٦٣.

على أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكتف بالنصّ على خليفته في بدء رسالته، بل صرّح في مناسبات شتّى في السفر والحضر، بخلافة عليّ (عليه السلام) من بعده ولكن لا يبلغ شيء من ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

1- قصه الغدير:

لمّا انتهت مراسم الحجّ في العام العاشر للهجرة وتعلّم المسلمون مناسك الحجّ من رسول الله، قرّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرحيل عن مكّة والعودة إلى المدينة فأصدر أمراً بذلك ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة **«رابغ»** التي تبعد عن **«الجحفة»** بثلاثة أميال نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنطقة تدعى **«غدير خم»** وخاطبه بالآية التالية:

«يأيُّها الرَّسُولُ بَلّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ رَبّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتهُ واللهُ يَعْصِمُك مِنَ النّاس».(٤)

إنّ هذا الخطاب الإلهي كان يأمر الرسول بأمر مهّم ويجعل على عاتقه مسؤولية عظيمة. فأيّ تبليغ طُلب من الرسول إنجازه وهو لم يقم به بعد؟ وقد أمضى النبي (صلى الله عليه وآله) مايقارب من ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله وقد نال مانال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»؟!

من هنا أصدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمره بالتوقّف، فتوقّف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة وكان المناخ حارّاً إلى درجة كبيرة جّداً وكان الشخص يضع قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه وصنع للنبيّ (صلى الله عليه وآله) مظلّة وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة (**سمرة**) وصلّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد (صلى الله عليه وآله) على منبر وخطب في الناس رافعاً صوته وكان من جملة ما قاله (صلى الله عليه وآله):

أمّا بعد؛ أيّها الناس إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال (صلى الله عليه وآله): ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ جنّته حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال (صلى الله عليه وآله): اللّهمّ اشهد.

(٤)المائدة: ٦٧.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً.

فنادى منادٍ: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله وما الثقلان؟

قال (صلى الله عليه وآله): كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا به والآخر عترتي، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

وهنا أخذ بيد **عليّ** (**عليه السلام**) ورفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه الناس أجمعون ثمّ قال:

أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال (صلى الله عليه وآله):

«إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه. [٥]

اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبّه وابغض من بغضه وأدر الحق معه حيث دار.» [٦]

فلمّا نزل من المنبر، استجازه حسّان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولم ترَ منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدقٍ وواليا

هناك دعا: اللّهمّ! وال وليّه ... وكن للذي عادى عليّاً معاديا»

مصادر الواقعة

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الإجمال وهي بحقّ واقعة لاسوغ لأحد إنكارها بأدنى مراتب التشكيك والقدح، فقد تناولها بالذكر أئمّة المؤرّخين أمثال: **البلاذري وابن قتيبة والطبري والخطيب البغدادي وابن عبدالبرّ وابن عساكر وياقوت الحموي وابن الآثير وابن أبي الحديد**

(٥)لقد كرّر النبيّ (ص) هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأيّ التباس أو اشتباه.
(٦)للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر، راجع موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني.

وابن خلّكان وغيرهم.

كما ذكره أيضاً أئمّة الحديث أمثال: **الإِمام الشافعى وأحمد بن حنبل وابن ماجة والترمذي، والنسائي وأبو يعلي الموصلي والبغوي والطحّاوي والحاكم النيسابوري** إلى غير ذلك من أعلام المحدّثين الذين يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعرّض له كبار المفسرين، فقد ذكره: **الطبري والثعلبي والواحدي ـ في أسباب النزول والقرطبي** وغيرهم.

وذكره من المتكلّمين طائفة جمّة في خاتمة مباحث الإِمامة وإن ناقشوا نقضاً وإبراماً في دلالته **كالقاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيده والقاضي عبد الرحمن الإِيجي في مواقفه والسيد الشريف الجرجاني في شرحه** وغيرهم.

خلود واقعه الغدير

أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الآجيال ويرجع ذلك إلى اُمور ثلاثة:

١- إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف من وجوه الصحابة وأعيان الاُمّة وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تمّ إبلاغه.

٢- إنّ الله سبحانه قد أنزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئَ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ ـ «يا أيُّها الرَّسُولُ بَلّغْ مَا أُنْزلَ إِلَيْك مِنْ رَبّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالَتهُ والله يَعْصِمُكَ مِنَ النّاس».(٧)

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير طائفة من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين وقد ذكر العلاّمة البحّاثة المحقّق الآميني في كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فليرجع إليه.

ب ـ «اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الاِسْلامَ دِيناً».(٨)

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستّة عشر.

ج ـ «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ الله ذِي المَعارج».(٩)

وقد ذكر أيضاً نزول هذه الآية جماعة من المفسّرين ينوف على الثلاثين.

٣- إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، تسابقت الشعراء والأدباء على نظمه وإنشاده في أبيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النصّ في تلك المناسبة إلى عصرنا هذا وبمختلف اللغات

---

(٧)المائدة: ٦٧.
(٨)المائدة: ٣.
(٩)المعارج: ١ـ٣.

والثقافات.

يقول **زيد بن أرقم**: كان أوّل من صافح النبي (صلى الله عليه وآله) وعليّاً: **أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير** وباقي المهاجرين والاَنصار وباقي الناس.[١٠]

فالحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

الخلاصه

١ـ ترى الشيعة أنّ مقام القيادة منصب تنصيصيّ، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابيّ جمهوريّ.

٢ـ إنّ تقييم الاَوضاع السياسية داخل المنطقة الاِسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأنّ خليفة النبيّ (صلى الله عليه وآله) لابدّ أن يعيَّـن من جانب الله تعالى.

٣ـ طرح رسول الاِسلام مسألة الخلافة في الاَيام الأولى من ميلاد الرسالة الاِسلامية وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الاَخيرة منها.

٤ـ أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الاَجيال ويرجع ذلك إلى جملة من الأُمور.

(١٠)راجع تأريخ اليعقوبي: ٣ / ١١٢، ومسند أحمد: ٤ / ٢٨١، البداية والنهاية: ٥ / ٢١٣، وموسوعة الغدير: ١ / ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، والجزء: ١١ / ١٣١.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی (2)

الدرس 3

تاريخ الإمام علی (عليه السلام)(3)

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي (عليه السلام) وما ينبغي التعرض له الآن هو أهم حدث بدأ بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو حدث ما يسمى بالسقيفة؛ الحدث الذي كان له التأثير المهم على الإسلام والمسلمين بوصفه الإنحراف الأعنف عن خط الرسالة المحمدية الشريفة.

المحتوى العلمى

بعد موت النبى(صلى الله عليه وآله)

لم يكن حول النبي (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة من حياته سوى **عليّ** (**عليه السلام**) **وبني هاشم** وقد علم الناس بوفاته من الضجيج وعويل النساء، فأسرعوا وتجمّعوا في المسجد وخارجه وهم في حالة من الارتباك والدهشة لا يحيرون جواباً إلاّ البكاء والنواح وهم على هذه الحالة وإذا بموقف غريب يصدر من عمر إذ خرج بعد أن دخل على رسول الله(صلى الله عليه وآله) والسيف في يده يهزّه ويقول: «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله قد مات، إنّه والله ما مات ولكنّه قد ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران.»[1] ولم يهدأ عمر حتى وصل أبو بكر[٢] الى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكشف عن وجه النبيّ وخرج مسرعاً وقال: أيّها الناس، من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت ثمّ تلا الآية: (وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل...)[٣].

ثمّ خرج **عمر وأبو بكر وأبو عبيدة الجرّاح** من البيت الذي فيه جثمان النبي المبارك وتركوه إلى عليّ وأهل بيته المفجوعين بوفاته وقد أذهلهم المصاب عن كلّ شيء وقام عليّ وأهل بيته (عليهم السلام) بتجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه وفي الوقت نفسه كانت قد عقدت الأنصار اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة.

ما أن سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة؛ حتى أتى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اُخرج إليَّ، فأجابه بأنّه مشغول، فأرسل إليه عمر ثانيةً أن اُخرج فقد حدث أمر لابدّ أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة ومن ثَمّ لحقهم آخرون، فأدركوا الأنصار في ندوتهم ولمّا يتمّ بعدُ الاجتماع ولم ينفضّ أصحابه، فتغيّر لون سعد بن عبادة واُسقط ما في أيدي الأنصار وساد عليهم الوجوم والذهول.

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٣٢٣.
(٢) يروى أنّ أبا بكر كان في «السنح» وهو محل يبعد عن المدينة بميل واحد أو أكثر قليلاً.
(٣) آل عمران (٣): ١٤٤.

وافتتح أبوبكر الحديث بأسلوب لبق فخاطب الأنصار باللطف ولم يستعمل في خطابه أيّة كلمة مثيرة فقد قال: «*نحن المهاجرون أوّل الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً وأمسّهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) رحماً وأنتم إخواننا في الإسلام وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور*».

فقال **الحباب بن المنذر بن الجموح** انتصارا للأنصار: «يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في ظلّكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولا يصدر أحد إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّة والمنعة، وأُولو العدد والكثرة وذوو البأس والنجدة وإنّما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم أُموركم، فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير».

فقال **عمر**: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوّة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته؟!

فقال **الحباب بن المنذر**: يا معشر الأنصار! املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم؛ فاجلوهم من هذه البلاد وأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دانَ الناس بهذا الدين، أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجَّب، أنا أبوشبل في عرينة الأسد، والله إن شئتم لنعيدها جذعة.

وهنا تأزّم الموقف وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف **أبو عبيدة بن الجرّاح** ليَحُول دون ذلك ويتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطباً الأنصار: «يا معشر الأنصار! أنتم أوّل من نصر وآوى، فلا تكونوا أوّل من بدّل».

وانسلت كلماته هادئةً الى النفوس، فسادَ الصمت لحظات على الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرّة، يدفعه لذلك حَسده لسعد بن عبادة فقال: يا معشر الأنصار! ألا إنّ محمّداً من قريش وقومه أولى به وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر.

فاغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهة الأنصار، فقال **أبوبكر**: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيّهما شئتم(٤) وقال عمر: يا أبا عبيدة ابسط يدك أُبايعك، فأنت أمين هذه الأُ مّة(٥)، فقال أبوبكر: يا عمر! ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل منّي، قال أبو بكر: أنت أقوى منّي، قال عمر: قوّتي لك مع فضلك، ابسط يدك أُبايعك(٦)، فلمّا بسط يده ليبايعاه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير! عَقَّتك عقاق، أنفِستَ على ابن عمّك الإمارة؟

ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد؛ قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن خضير

(٤) الإمامة والسياسة: ١ / ١٥، وتأريخ الطبري: ٢ / ٤٥٨ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٢ / ٣٢٥.
(٥) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٨١.
(٦) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٧٠.

وكان نقيباً: والله لئن وليتها الخزرج مرّة؛ لازالت عليكم بذلك الفضيلة أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه وأقبل أصحاب أُسيد يبايعون أبابكر(٧) وقالت بعض الأنصار: لانبايع إلاّ عليّاً(٨).

ثم أقبل أبو بكر والجماعة التي تحيط به يزفّونه إلى المسجد زفاف العروس(٩) والنبيّ (صلى الله عليه وآله) لازال ملقىً على فراش الموت وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزبد شدقاه وجماعته تحوطه وهم متّزرون بالأُزر الصنعانية، لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه وقدّموه، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى(١٠).

إفرازات مؤتمر السقيفه:

١ ـ الاستبداد بالرأي والقرار، فقد استهان المشاركون في السقيفة بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين بالاهتمام بعترته الطاهرة واستخفّوا بأوامره المصرّحة بلزوم الاقتداء بهم والتمسّك بحبلهم.

٢ ـ لم تكن البيعة جامعة لأهل الحلّ والعقد الذي يعتبر شرطاً أساسياً في حصول الإجماع وفي مشروعية الانتخاب.

٣ ـ استعمال العنف والقسوة في طريقة أخذ البيعة من المسلمين، فإنّ كثيراً من المسلمين قد رغموا عليها وقد لعبت دِرَّة عمر في سبيل تحقيقها وإيجادها دوراً كبيراً.

٤ ـ تحويل مفهوم النبوّة الرّبانية وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى مفهوم السلطة العشائرية التي تستمد قوّتها وشرعيتها من انتخاب أبناء العشيرة وليس من نصوص الشريعة المقدّسة.

٥ ـ هيّأ اجتماع السقيفة الأرضيّة المناسبة لتجاوز وجود الأمّة وتجاوز رأيها السياسي بعد السقيفة.

الإمام عليّ(عليه السلام) ومؤتمر السقيفه:

لقد وصل خبر اجتماع السقيفة إلى بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث يجتمع عليّ (عليه السلام) وبنو هاشم والمخلصون من الصحابة حول جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال **العباس** عمّ

(٧) الكامل في التأريخ: ٢ / ٣٣٠.
(٨) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣ ط مؤسسة الأعلمي.
(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦ / ٨.
(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٢١٩. ط دار إحياء الكتب العربية.

الرسول لعليّ: يا ابن أخي، اُمدد يدك اُبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

فقال (عليه السلام): يا عمّ وهل يطمع فيها طامع غيري؟

قال العباس: ستعلم.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن ليخفى عليه ما كان يجري في الساحة من مؤامرات آنذاك، فأجابه بصريح القول: «إنّي لا اُحبّ هذا الأمر من وراء رتاج»[١١].

وروي أيضاً: أنّه لمّا اجتمع الناس على بيعة أبي بكر؛ أقبل **أبو سفيان** وهو يقول: والله إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم، يا آل عبد مناف فيم أبوبكر من اُموركم! أين المستضعفان عليّ والعباس؟ وقال: أبا حسن، ابسط يدك اُبايعك، فأبى عليّ (عليه السلام)عليه وزجره وقال:

إنّك والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة

وإنّك طالما بغيت الإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك[١٢]. ولمّا بويع أبو بكر قال أبوسفيان: ما لنا ولأبي فصيل، إنما هي بنو عبدمناف.

فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال: وَصَلَته رحم[١٣].

أقطاب المعارضة لمؤتمر السقيفه:

كان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لنتائج السقيفة التي لم تتمتّع بالأهليّة الكافية والأحقيّة في الزعامة، فبرزت ثلاثة أطراف:

الأوّل: الأنصار باعتبارهم كتلة سياسية واجتماعية كبيرة لابدّ من حسابها في ميزان الترشيح والانتخاب، فنازعوا الخليفة الفائز وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة ووقعت بينهم المنازعة التي انتهت بفوز قريش.

الثاني: الاُمويّون الذين كان لديهم مطمع سياسيّ كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم واسترجاع شيء من مجدهم السياسي في الجاهلية وعلى رأسهم أبوسفيان وقد تعامل معهم أبو بكر وحزبه وفق معرفتهم بطبيعة النفس الاُموية وشهواتها السياسيّة والمادية.

الثالث: الهاشميّون وأخصّاؤهم **كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد** (رضوان الله عليهم) وجماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمي هو صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة وهو الوارث الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بحكم نصّ الغدير ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها.

وكان بوسعه (عليه السلام)أن يتحرّك محتجّاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يعدّ ورقة رابحة بيده

(١١) الإمامة والسياسة: ٢١. والرتاج: الباب المغلق.
(١٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩، والكامل في التاريخ: ٢ / ٣٢٦ ط دار الفكر.
(١٣) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩ ط دار الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٢ / ٣٢٦.

حتى ألمح لذلك بقوله (عليه السلام): «احتجوّا بالشجرة وأضاعوا الثمرة». وكان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت ويحترمونهم لذلك السبب وبالتالي سيدفع السلطة الحاكمة الى أزمة سياسية حرجة لا مخرج منها، بيد أنّه (عليه السلام)كان أسمى من ذلك وأجلّ، حيث قدّم المصلحة الإسلامية العليا على كلّ المصالح الخاصة.

خطوات السلطه لمواجهة المعارضه:

١ ـ إنّ السلطة الجديدة أخذت على المعارضين أنّ مخالفتهم الخليفة الجديد ليس إلاّ إحداثاً للفتنة المحرّمة في شريعة الإسلام.

أنّ عمر هدّد بحرق بيت الإمام عليّ (عليه السلام) وإن كانت فاطمة (عليه السلام)فيه(١٤)

ومعنى هذا أنّ فاطمة وغيرها من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتّخذ الجهاز الحاكم الطريقة نفسها معهم.

٢ ـ عزل كلّ العناصر التي تميل إلى بني هاشم، فقد روي أنّ أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشيء إلاّ لأنّ عمر نبّهه إلى نزعته الهاشمية وميله إلى آل محمد وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)(١٥).

٣ ـ إضعاف القدرة الاقتصادية للإمام عليّ (عليه السلام)خشية أن يستثمرها الإمام في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، فقام الخليفة بمصادرة فدك من الزهراء (عليها السلام) لعلمه أنّها (عليها السلام) كانت سنداً قوياً لقرينها في دعوته إلى نفسه.

فقد روي أنّه لمّا استقرّ الأمر لأبي بكر، بعث الى وكيل الزهراء على فدك فأخرجه منها واستولى عليها، واحتجّ بحديث لم يروه غيره وهو أنّه سمع النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقول: «*إنّا معاشرَ الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة*» فالنبيّ لايورث وإنّما ميراثه في المساكين وفقراء المسلمين(١٦).

محاوله إرغام الإمام (عليه السلام)على البيعه:

ذكر بعض المؤرّخين أنّ عمر أتى أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ! فابعث إليه حتى يبايعك.

فأجمعوا آراءَهم على إرغام الإمام (عليه السلام) وقسره على البيعة لأبي بكر، فأرسلوا قوة عسكرية

---

(١٤) بحار الأنوار: ١٩٧/٤٣ ط دار الوفاء.
(١٥) تاريخ الطبري: ٥٨٦/٢ ط مؤسسة الأعلمي.
(١٦) راجع سنن البيهقي: ٦ / ٣٠١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١٨ ـ ٢٢٤، ودلائل الصدق للمظفر: ٣ / ٣٢.

فأحاطت بداره فدخلوا داره بعنف[١٧] وأخرجوه منها بصورة لا تليق بمكانة شخص قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي».

وجيء به إلى أبي بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بمنطق الواثق الجريء الشجاع: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمّد (صلى الله عليه وآله) منكم فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله(صلى الله عليه وآله) حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلاّ فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»[١٨].

فثار **ابن الخطّاب** بعد أن أعوزته الحجّة في الردّ على الإمام، فسلك طريق العنف قائلاً له: إنّك لست متروكاً حتى تبايع، فزجره الإمام قائلاً: «إحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم يردده عليك غداً، والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه»[١٩].

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث في غير ما يحب وخشي من عواقب غضب الإمام فقال له: إن لم تبايع فلا أُكرهك، ثمّ تكلّم أبو عبيدة بن الجرّاح محاولاً تهدئة الإمام عليّ(عليه السلام) وكسب ودّه، فقال: يا ابن عم! إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واضطلاعاً به، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق من فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك[٢٠].

بطل العقيده بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله):

إذا كانت مواقف الإمام عليّ (عليه السلام)كلّها رائعة؛ فموقفه من الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أكثرها روعةً، فالعقيدة الإلهية تريد في كلّ زمان بَطَلاً يفتديها بنفسه ونفيسه ويعزّز به المبدأ وهذا هو الذي بعث بعليّ إلى فراش الموت وبالنبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى مدينة النجاة يوم الهجرة ولم يكن ليتهيّأ للإمام (عليه السلام)في محنته بعد وفاة أخيه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يضحّي لها كلا ولديه الحسن والحسين؛ لأنه لو ضحّى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه؛ لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه وسبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

(١٧) الإمامة والسياسة: ٣٠ وتأريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣.
(١٨) الإمامة والسياسة: ٢٨.
(١٩) أنساب الاشراف: ١ / ٥٨٧، وشرح نهج البلاغة: ٢ / ٢ ـ ٥.
(٢٠) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢ ـ ٥ و١ / ١٣٤.

كانت الثورة العلويّة في تلك الظروف إعلاناً لمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتّى، وكان فيها تهيئة لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثمّ المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم، بل لتناحرت وتقاتلت مذاهب متعدّدة الأهداف والأغراض ويضيع بذلك الكيان الإسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتفّ المسلمون حول قيادة موحّدة ويركّزوا قواهم لصدّ ما كان يترقّب أن تتمخّض عنه الظروف الدقيقة من فتن وثورات[٣١].

ومن هنا كان على الامام عليّ أن يختار الطريق الوسط ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول (صلى الله عليه وآله) وصيّاً عليها.

ومن هنا نعرف أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان قد أعدّ للامام عليّ (عليه السلام)خطّتين أو خطّة واحدة ذات مرحلتين، **فالمرحلة الاولى** هي نصبه إماماً شرعياً وخليفةً له بشكل رسمي بعد الإعلان الصريح وأخذ البيعة له من المسلمين وإتمام الحجّة على جميع من حضر وغاب عن مشهد يوم الغدير.

كانت **المرحلة الثانية** بعد إعراض الأمّة أو عدم انقيادها للأطروحة النبويّة الإلهية هي الصبر والحزم والتخطيط العملي الواقعي لعمل تربوي جذري في ظلّ الدولة الإسلامية الفتيّة، ريثما تُهيَّأ الظروف اللازمة لاستلام الحكم وتحقيق تلك الأطروحة، لتتحقّق جميع الأهداف الممكنة لتطبيق هذه الشريعة الخالدة تطبيقاً صحيحاً رائعاً.

الخلاصه

١ـ أنكر عمر وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو موقف غريب مريب منه.

٢ـ قام عليّ وأهل بيته (عليهم السلام) بتجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه وفي الوقت نفسه كانت قد عقدت الأنصار اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة.

٣ـ وقع خلاف شديد بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بشأن القيادة بعده (صلى الله عليه وآله).

٤ـ احتج عمر وغيره على الأنصار بالقرابة من رسول الله لأخذ الخلافة للمهاجرين.

٥ـ كان لمؤتمر السقيفة عدة إفرازات سلبية، منها:

الاستبداد بالرأي والقرار واستعمال العنف والقسوة في طريقة أخذ البيعة من المسلمين وتحويل مفهوم النبوّة الرّبانية وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى مفهوم السلطة العشائرية وتهيئة الأرضيّة المناسبة لتجاوز وجود الأمّة ورأيها السياسي.

(٣١) فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠٢ ـ ١٠٥.

٦ـ كان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لنتائج السقيفة التي لم تتمتّع بالأهليّة الكافية والأحقيّة في الزعامة، فبرزت ثلاثة أطراف:

الأوّل: الأنصار باعتبارهم كتلة سياسية واجتماعية كبيرة لابدّ من حسابها في ميزان الترشيح والانتخاب.

الثاني: الأُمويّون الذين كان لديهم مطمع سياسيّ كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم.

الثالث: الهاشميّون وأخصّاؤهم كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد رضوان الله عليهم، وجماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمي هو صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة.

٧ـ من جملة الخطوات التي اتخذتها السلطة لمواجهة المعارضة:

أ ـ ترويج أنّ مخالفة الخليفة الجديد إحداث للفتنة المحرّمة في شريعة الإسلام.

ب ـ عزل كلّ العناصر التي تميل إلى بني هاشم.

ج ـ إضعاف القدرة الاقتصادية للإمام عليّ (عليه السلام).

٨ـ لم تكن ظروف المحنة تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم ومن هنا كان على الامام عليّ أن يختار الطريق الوسط ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول (صلى الله عليه وآله) وصيّاً عليها.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 4

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(4)

المقدمه

أهم حدث بدأ بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) هو مؤتمر السقيفة بما له من إفرازات مخيفة، ننتقل الآن إلى الفترة التي عاشها الإمام (عليه السلام) مع الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان وأهم الخطوط العامة في تلك الفترة.

المحتوى العلمي

أولا: الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر:

قال الإمام (عليه السلام): «فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته ولا أنّهم مُنَحّوهُ عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس إلى أبي بكر يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[١].

إن كانت بيعة أبي بكر قد استلبت حقّ الإمام في إدارة شؤون الأمّة مباشرة واضطرّته إلى أن يعتزل الى حين، فإنّ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله)له وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأُمّة ثمّ حرصه العميق على الرسالة الإسلامية والمجتمع من التمزّق والضياع جعل من أميرالمؤمنين القدوة المُثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا وقف **علي** (**عليه السلام**) ليدلي بآرائه الصائبة، موضّحاً قواعد الدين الصحيحة في كلّ موقف يستعصي على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب وفي أُمّة لم تترسّخ العقيدة الإلهية في نفوس أبنائها،

فكان عليّ (عليه السلام) ميزان القضاء والإفتاء في شؤون الحياة الإسلامية من قضاء واجتماع وإدارة في عهد أبي بكر وما تلاه من فترات حكم الخلفاء.

وقف **علي** (**عليه السلام**) ليدافع عن المدينة ويصدّ هجوم المرتدّين عن الإسلام ومعه الصفوة من الصحابة الذين ساندوه في محنته.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

وصيّه أبى بكر إلى عمر بالخلافه!

لم تطل أيّام أبي بكر فقد ألمّت به الأمراض وأشرف على الموت وقد صمّم على أن يولي عمر الخلافة من بعده، فاعترض أكثر المهاجرين والأنصار وأعلنوا كراهيّتهم لهذا القرار لما علموا من شونة أخلاق عمر وسوء تعامله مع الناس[٢]، لكنّ أبا بكر أصرّ على موقفه.

ثمّ إنّ **أبا بكر** أحضر **عثمان بن عفّان** لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له: «*أُكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة الى المسلمين، أما بعد.. ثمّ اُغمي على أبي بكر، فكتب عثمان: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبوبكر فقال: إقرأ عليّ فقرأ عليه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفتَ أن يختلف الناس إن مُتُّ في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا*»[٣].

وقال **الإمام علي**(**عليه السلام**) ناقداً لخلافة الشيخين:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تُراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فياعجباً بينا هو يستقيلها في حياته(٤) إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»[٥].

إنّ أبابكر فرض عمر فرضاً على المسلمين وكأنّ له الوصاية عليهم حيّاً وميّتاً وذلك بقوله: «**استخلفت عمر بن الخطاب عليكم فاسمعوا له وأطيعوا**»، رغم أنّه رأى الغضب ظاهراً في وجوه الكثيرين من الصحابة.

إنّه ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّه كان يدّعي أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله)توفّي ولم يعهد لأحد في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده.

ثانيا: الإمام على (عليه السلام) فى عهد عمر[٦]

مهّد **أبو بكر** كرسيّ الخلافة **لعمر بن الخطاب** فتولاّها بسهولة ويسر دون معارضة تذكر من أقطاب

(٢) الإمامة والسياسة: ٣٦، وتأريخ الطبري: ٢ / ٦١٨ و٦١٩ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٢ / ٤٢٥.
(٣) الكامل في التأريخ: ٢ / ٤٢٥.
(٤) إشارة الى قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم، راجع تذكره الخواص: ٦٢.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٣.
(٦) استخلاف عمر بن الخطاب في جمادى الآخرة عام (١٣) هـ.

المهاجرين والأنصار وقد قبض على زمام الحكم بقوة وساس الأُمّة بشدّة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة[٧].

لقد ساهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الحياة العامّة ما وسعه من جهد وأدّى ما عليه من تكليف في تعليم وتفقيه وقضاء بصورة أوسع من دوره في عهد أبي بكر حيث اقتضت الضرورة ذلك، فقد اتّسعت رقعة البلاد الإسلامية واستجدّت أحداث جديدة طارئة كان يعجز عنها الخليفة الجديد وكلّ من معه من الصحابة ولم يكن يجد لها حلولاً إلاّ ممّن عصمه الله عن الذنب والخطأ ولذا كان عمر يقف متصاغراً أمام أميرالمؤمنين ويحترم رأيه ويمضي حكمه وقراره حتى روي عنه لأكثر من مرّة وفي أكثر من موقف حرج قوله: *لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن*[٨].

فقد روي أنّ **عمر** أراد أن يرجم امرأةً مجنونةً اُتّهمت بالزنا، فردّ الإمام عليّ (عليه السلام) قضاء عمر. وذكّره بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبيّ حتى يعقل» حينذاك قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر[٩].

ملامح من سيره عمر[١٠]:

١ ـ **الشدّة والقسوة في التعامل مع الناس،** وفرض السلطان بالعنف والقوة، فخافه القريب والبعيد، وكان من شدته أنّ امرأةً جاءت تسأله عن أمر وكانت حاملاً ولشدّة خوفها منه أجهضت حملها. وقصّته مع جبلّة وعنفه معه ممّا سبب ارتداد جبلّة وهروبه إلى بلاد الروم[١١].

٢ ـ **عدم مساواته في العطاء بين المسلمين،** فقد ميّز بينهم على أساس غير مشروع من النبيّ (صلى الله عليه وآله) ولا موجّه في القرآن، بل على أساس عصبي[١٢] وكان من آثاره أن ظهرت الطبقية في العهود التي تلته، فنشط النسّابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل بحسب اُصولها ممّا أدّى الى حنق الموالي على العرب وكراهيتهم لهم والتفتيش عن مثالبهم.

٣ ـ **استثناء معاوية من المحاسبة والمراقبة** التي كان يشدّدها على ولاته وتركه على هواه يعمل ما يشاء لسنين طويلة، ممّا أعان معاوية على طغيانه واستقلاله بالشام في عهد عثمان، كما اُثر عنه قوله في توجيه تصرفات معاوية: **إنه كسرى العرب**[١٣].

---

(٧) تأريخ الطبري: ٢ / ٦١٧ و٦١٨.
(٨) أسد الغابة ٤ / ٢٢، وتهذيب التهذيب: ٧ / ٢٩٦، وتاريخ دمشق: ٣ / ٣٩ حديث ١٠٧١، والرياض النضرة: ٢ / ١٩٧، وكنز العمال: ٥ / ٨٣٢.
(٩) تذكرة الخواص: ٨٧، وكفاية الطالب: ٩٦، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢ / ٣٠٩.
(١٠) راجع النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ١٤٨.
(١١) الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٨٥، وتأريخ الطبري: ٣ / ٢٩١، والعقد الفريد: ٢ / ٥٦.
(١٢) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٩١ و٢٩٢.
(١٣) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٤٧٩، وكنز العمال: ٦ / ٣٩.

مسرحيه الشورى:

إذا كانت بيعة السقيفة فلتة وقى الله المسلمين شرها ـ كما قال عمر ـ فإنّ وصيّته لعمر كانت استهزاءً عملياً بوصية الرسول الرسول (صلى الله عليه وآله). والشورى التي ابتدعها عمر هي ثالث مهزلة سياسية في نفس الخط لمواجهة وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) وإبعاد أهل بيته عن الحكم والقيادة وإليك إجمال القصّة:

لمّا يئس **عمر** من حياته وأيقن برحيله عن الدنيا أثر الطعنات التي أصابته قيل له: استخلف علينا، قال: والله لا أحملكم حيّاً وميّتاً، ثمّ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ـ يعني أبا بكر ـ وإن آدَع فقد وَدَع من هو خير منّي ـ يعني النبيّ (صلى الله عليه وآله)ـ[١٤]، ثمّ أبدى أسفه وحسرته على بعض من شاركه مسيرته للخلافة فقال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته لأنّه أمين هذه الأمّة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته لأنّه شديد الحبّ لله، فقيل له: **يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً**.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأُولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى الإمام عليّ (عليه السلام) ـ ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنّة قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصير تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره ومتوفّ عمر، فما أُريد أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً عليكم. هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)عنهم: إنّهم من أهل الجنّة وهم: **عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله**، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه[١٥] وأمرهم أن يحبس هؤلاء الستّة حتى يولّوا أحدهم خلال أيام ثلاثة وأن يضرب عنق المخالف لاتّفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف وأن يصلّي صهيب بالناس ثلاثة أيام حتى تجتمع الأُمّة على خليفة وطلب أن يحضر شيوخ الأنصار وليس لهم من الأمر شيء[١٦].

موقف الإمام (عليه السلام) من الشورى:

وما إن خرج الإمام (عليه السلام) من عند عمر؛ حتى تلقّاه عمّه **العباس** فبادره قائلاً:

يا عمّ، لقد عُدِلَتْ عنّا. وصدق تفرّس الإمام (عليه السلام) فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ **عبد الرحمن**.

إنّ الامام (عليه السلام) دخل مع الباقين في الشورى وهو يعلم بما ستؤول إليه، محاولة منه لإظهار

---

(١٤) الإمامة والسياسة: ٤١. قد عرفت سابقاً أنّ النبي (ص)لم يدع... وقد عيّن خليفته مراراً كيوم الإنذار لعشيرته الأقربين وغدير خم وغيرهما.
(١٥) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٩٣ ط مؤسسة الأعلمي، الكامل في التأريخ: ٣ / ٦٦.
(١٦) تاريخ الطبري: ٢٩٤/٣ ط مؤسسة الأعلمي، طبقات ابن سعد: ٣ / ٢٦١، والإمامة والسياسة: ٤٢، والكامل في التأريخ: ٣ / ٦٨.

تناقض عمر ومن سار على نهجه عند وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله)حين كان يرى أنّه لا تجتمع الخلافة والنبوّة في بيت واحد، أمّا الآن فقد رشّح الإمام (عليه السلام) للخلافة.

روي عن أمير المؤمنين: «ولكنّي أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر قد أهَّلني الآن للخلافة وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: إنَّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأُظهر للناس مناقضة فعله لروايته»[١٧].

و

بايع الإمام (عليه السلام) عثمان بن عفّان سعياً منه أن يصلح الأُمّة ويوجّهها وأن يحافظ على كيانها، فلم يبخل على الأُمّة بالنصيحة والهداية والتربية،

فإن أُبعدت الخلافة عنه (عليه السلام) فإنّه لم يدّخر وسعاً إلاّ وبذله، يوضّح الحقّ ويُرشد إليه ويهدي الى السبيل الصحيح ويُدلّ عليه، ويعين الحاكم حين يعجز ويعلّمه إذ يجهل ويردعه إذ يطيش.

ثالثا: الإمام علي(عليه السلام) في عهد عثمان[١٨]

قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) واصفاً عهد عثمان: «إلى أن قام ثالثُ القوم نافجاً حضنيه بين نَثيله ومعتلَفِه وقام معه بنو أبيه يخضَمون مال الله خِضْمَةَ الإبل نِبْتَةَ الربيع إلى أن انتكث عليه فتلُه وأجهز عليه عملُه وكبَتْ به بِطْنَتُهُ».[١٩]

وما أن فرضه **ابن عوف** بأمر عمر خليفة للمسلمين حتى جاءوا به يزفّونه إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليعلن سياسة حكومته الجديدة وما أعدّ من مواقف لمستجدات الأُمور؛ صعد على المنبر فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يجلس فيه أبو بكر ولا عمر؛ إذ كان أبو بكر يجلس دونه بمرقاة وعمر كان يجلس دونه أيضاً بمرقاة وتكلّم الناس في ذلك، فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ[٢٠].

ولم يستطع أن يتكلّم، فقال: أمّا بعد، فإنّ أول مركب صعب وما كنا خطباء وسيعلم الله وإنّ امرأ ليس بينه وبين آدم إلاّ أب ميّت لموعوظ[٢١].

وقال **اليعقوبي**: فقام مليّاً لا يتكلّم ثم قال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق الخطب وإن تعيشوا فسيأتيكم الخطْب ثم نزل[٢٢].

أبو سفيان بعد بيعه عثمان:

(١٧) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ١٨٦.
(١٨) استخلاف عثمان بن عفان في ذي الحجّة سنة (٢٣) هـ.
(١٩) نهج البلاغة: من الخطبة الشقشقية.
(٢٠) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٣، والبداية والنهاية: ٧ / ١٦٦، وتأريخ الخلفاء: ١٦٢.
(٢١) راجع الموفقيات: ٢ / ٢.
(٢٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٣.

بعد أن تمّت بيعة عثمان؛ أقبل **أبوسفيان** إلى دار عثمان بن عفان وقد غصّت بأهله وأعوانه تسودهم نشوة النصر والفوز بالحكم وقد بدت على ملامحه علامات الفرح والسرور، تعلو شدقه بسمة حقود شامت، ففي الأُفق تلوح بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ كبرياءَهم الإسلام، فأدار وجهه يميناً وشمالاً قائلاً للحاضرين المجتمعين في دار عثمان: **أفيكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي فقال**:

يا بني أُميّة! تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبوسفيان ما من جنّة ولا نار ولا حساب ولا عقاب... ولقد كنت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[٢٣].

ثمّ سار إلى قبر سيّد الشهداء **حمزة بن عبد المطلب**، فوقف على القبر وركله برجله وقال: **يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعّبون به**. [٢٤]

لقد استشرى الفساد ودبَّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية ووقف معه الصحابة الأجلّاء أمثال **عمّار بن ياسر وأبي ذر**، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته.

ملامح حكم عثمان

إن عثمان وصل الى الحكم وقد تجاوز السبعين عاماً وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبّهم وإيثارهم، فقد روي عنه قوله: «**لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم**».

كما أنّ **عثمان** عاش غنيّاً مترفاً قبل الإسلام وظلّ على غناه في الإسلام، فلم يكن ليتحسّس معاناة الفقراء وآلام المحرومين، فكانت شخصيته مزدوجة في التعامل مع الجماهير المحرومة التي تطالبه بالعدل والسوية، فيعاملها بالشدّة والقسوة، كما في تعامله مع عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر وغيرهم.

وأمّا من جهة أقربائه فقد أدناهم وقلّدهم الأمور[٢٥].

وكان عثمان ضعيفاً أمام **مروان بن الحكم**، يسمع كلامه وينفّذ رغباته، حتى أنّه عندما تألّبت الأمصار على عثمان وتأزّمت الأوضاع؛ تدخّل الإمام ليهدّئ الحالة ويرجع الثائرين ـ الذين جاءوا يطالبون بإصلاح السياسة الإدارية والمالية وتبديل الولاة ـ الى بلدانهم وأخذ من عثمان شرطاً أن لا يطيع مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.

ولكن بمجرد أن هدأت الأوضاع؛ عاد مروان وحرّض عثمان على أن يخرج وينال من الثوار، فخرج إليه الإمام

---

(٢٣) مروج الذهب: ١ / ٤٤٠.
(٢٤) راجع الغدير: ٨ / ٢٧٨، والاستيعاب: ٢ / ٦٩٠، وتأريخ ابن عساكر: ٦ / ٤٠٧، والأغاني: ٦ / ٣٣٥.
(٢٥) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٠ وتأريخ الطبري: ٣ / ٤٤٥ ط مؤسسة الأعلمي، وأنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٩، وحلية الأولياء: ١ / ١٥٦، وشيخ المضيرة أبو هريرة: ١٦٦، والغدير: ٨ / ٢٣٨ ـ ٢٨٦ والنص والاجتهاد: ٣٩٩.

عليّ (عليه السلام) مغضباً فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به؟ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه».[٣٦]

وأمّا سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقية وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلاّ أنّها أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بني أُميّة ثراءً فاحشاً.

لقد نقم المسلمون على عثمان وتصلّب خيار الصحابة في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة وجهازه الحاكم وفي قبال ذلك أمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين والمندّدين بسياسته المنحرفة وبالغ في ذلك دون أن يرعوي لصحابة رسول الله، فمن ذلك أنّ **أباذر** الصحابيّ الجليل أكثَرَ من اعتراضه على مساوئ عثمان، فسيّره إلى الشام ولم يطق معاوية وجوده فأرجعه إلى المدينة واستمرّ أبوذر بجهاده وإنكاره السياسة الأمويّة، فضاق عثمان به ذرعاً فقرّر نفيه الى الربذة ومنع الناس من توديعه.

الإفرازات السلبيه لحكومه عثمان فى الأمّه:

لقد كان لحكومة عثمان عدة إفرازات سلبية، منها:

١ ـ **إنّ حكومة عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية**، فعطّلت الحدود وأشاعت الفساد وتهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك وهذا ما فسح المجال لشيوع الفوضى في السلوك الاجتماعي وبثّ روح التمرّد على القانون.[٣٧]

٢ ـ **ركّزت حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي شرّعها أبوبكر** في نهجه السياسي القبلي، وأصبح بنو أُميّة جبهة سياسية قويّة لها توجّهها المناوئ للإسلام وخصوصاً لخطّ آل البيت (عليهم السلام) فأصبحوا فيما بعد العقبة الرئيسة أمام حكم الإمام عليّ(عليه السلام)، حيث تكتّلوا حول معاوية بن أبي سفيان في مواجهة الإمام عليّ (عليه السلام).

٣ ـ **اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم** ولا يحقّ لأحد انتزاعه واتخذوه وسيلةً لإرضاء رغباتهم المنحرفة وشهواتهم الشيطانية ولم تجعل من الحكم وسيلةً للإصلاح الاجتماعي ونشر الرّسالة الإسلامية في بقاع الأرض.[٣٨]

٤ ـ **خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء**[٣٩] تتضرّر مصالحها مع الحكومة القائمة في مواجهةِ حكومة تطالب بتطبيق الحقّ والشرع، ممّا أدّى إلى تحرّك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبة بالقوّة في إصلاح النظام المالي وتطوير الحياة الاقتصادية وتنظيم الدخل الفردي.

٥ ـ **إنّ استعمال العنف والقوّة والشدّة والقسوة في التعامل مع المعترضين** وإهانتهم ولّد ردّة

(٣٦) الطبري: ٣ / ٣٩٧ ط مؤسسة الأعلمي.
(٣٧) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ٧ / ١٧٩.
(٣٨) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣ / ٦٤، وتأريخ الطبري: ٥ / ٣٤١ ـ ٣٤٦.
(٣٩) مروج الذهب: ٢ / ٣٤٢.

فعل معاكسة للثورة على النظام القائم عسكرياً وكان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأُمّة وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أُمية ومن والاهم على تحدّي الحقّ ورغبة الأُمّة في الإصلاح.

٦ ـ من نتائج الثورة على عثمان أن وجدت فئات مسلّحة من مختلف الأقطار الإسلامية لا زالت تحيط بالمدينة تنتظر مصير الحكومة، كما أنّ الأحداث أثبتت وشجّعت على تحرّك الجماهير لتغيير الحكم بالقوّة وهذا يعتبر ورقةَ ضغط قويّةً تؤثّر على الحكم الجديد.

الخلاصه

أولا: الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر:

إن كانت بيعة أبي بكر قد استلبت حقّ الإمام في إدارة شؤون الأُمّة مباشرة واضطرّته إلى أن يعتزل الى حين، فإنّ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) له وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأُمّة ثمّ حرصه العميق على الرسالة الإسلامية والمجتمع من التمزّق والضياع جعل من أميرالمؤمنين القدوة المُثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا وقف علي (عليه السلام) ليدلي بآرائه الصائبة، موضّحاً قواعد الدين الصحيحة في كلّ موقف يستعصي على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب.

ثانيا: الإمام علي (عليه السلام) في عهد عمر:

١ـ مهّد أبو بكر كرسيّ الخلافة لعمر بن الخطاب فتولاّها بسهولة ويسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين والأنصار وقد قبض على زمام الحكم بقوة وساس الأُمّة بشدّة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة.

٢ـ لقد ساهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الحياة العامّة ما وسعه من جهد وأدّى ما عليه من تكليف في تعليم وتفقيه وقضاء بصورة أوسع من دوره في عهد أبي بكر حيث اقتضت الضرورة ذلك.

٣ـ من جملة ملامح سيرة عمر:

أ ـ الشدّة والقسوة في التعامل مع الناس وفرض السلطان بالعنف والقوة.

ب ـ عدم مساواته في العطاء بين المسلمين.

ج ـ استثناء معاوية من المحاسبة والمراقبة التي كان يشدّدها على ولاته وتركه على هواه يعمل ما يشاء لسنين طويلة.

٤ـ الشورى التي ابتدعها عمر هي ثالث مهزلة سياسية في نفس الخط لمواجهة وصية الرسول (صلى

الله عليه وآله) وإبعاد أهل بيته عن الحكم والقيادة.

ثالثا: الإمام علي(عليه السلام) في عهد عثمان.

١ـ لقد استشرى الفساد ودبَّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية ووقف معه الصحابة الأجلاّء أمثال عمّار بن ياسر وأبي ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته.

٢ـ من جملة الإفرازات السلبية لحكومة عثمان في الأُمّة:

١ ـ الابتعاد عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطّلت الحكومة الحدود وأشاعت الفساد وتهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك.

٢ ـ تركيز حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي شرّعها أبوبكر في نهجه السياسي القبلي، وأصبح بنو أُميّة جبهة سياسية قويّة لها توجّهها المناوئ للإسلام.

٣ ـ اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم ولا يحقّ لأحد انتزاعه.

٤ ـ خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 5

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(5)

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي (عليه السلام) في الفترة التي مع الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، ننتقل في هذا الدرس وما بعده إلى أهم تلك الخطوط في فترة توليه (عليه السلام) للخلافة وذلك بعد قتل عثمان.

المحتوى العلمى

بيعه المسلمين للإمام عليّ (عليه السلام)(١):

تحرّكت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ (عليه السلام) لتضغط عليه كي يقبل قيادتها ولكنّ الإمام (عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردّد، فقد حُرم منها وهو صاحبها وجاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافاً والأُمّة تردّياً وتجذّرت فيها مشاكل تستعصي دون النجاح في المسيرة، فقال لهم: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم رضيت به فاختاروا»(٢). وقال (عليه السلام): «لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»(٣).

وأوضح لهم الإمام (عليه السلام) عمّا سيجري فقال: «أيّها الناس! أنتم مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم به القلوب ولا تثبت له العقول...»(٤) وأمام إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم: «إنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم... وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم ألا وإني من أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم»(٥).. وتكاثرت جموع الناس نحو الإمام وقد وصف (عليه السلام) توجّههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافة بقوله: «فما راعني إلاّ والناس كعرف الضبع ينثالون عليَّ من كلّ جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم»(٦).

لم يكن الإمام حريصاً على السلطان، بل كان حرصه أن ينقذ ما بقي من الأمّة وأن يحافظ على الشريعة الإسلامية نقيّةً من الشوائب والبدع، فَقبِلَ أن يتولّى أمر الخلافة ولكنّه أخَّر القبول إلى اليوم الثاني وأن تكون بيعة الجماهير علنيةً في المسجد رافضاً بذلك أسلوب بيعة السقيفة والتوصية والشورى وفي الوقت ذاته ليعطي الأُمّة فرصةً أُخرى كي تمتحن عواطفها وقرارها في الخضوع له، فقد ضَيَّعَتْ فيما سبق نصوص النبيّ (صلى الله عليه وآله) على خلافته فانحرفت. ومن هنا قال (عليه السلام): «والله ما تقدّمت عليها ـ أي الخلافة ـ إلاّ خوفاً من أن ينزو على الأُمّة تيسٌ علج من بني أُميّة فيلعب بكتاب الله عز

(١) تمّت بيعة الإمام عليّ (ع) في ذي الحجّة عام (٣٥) هـ.
(٢) تاريخ الطبري: ٤٥٠/٣ ط مؤسسة الأعلمي.
(٣) المصدر السابق.
(٤) نهج البلاغة: الكلمة (٩٢).
(٥) المصدر السابق.
(٦) نهج البلاغة: الخطبة (٣) المعروفة بالشقشقية.

وجل»[٧].

وما أن أقبل الصباح؛ حتى حفّت الجماهير بالإمام (عليه السلام) تسير نحو المسجد، فاعتلى المنبر وخاطب الجماهير: «يا أيّها الناس! إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلاّ من أمَّرْتُم وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم، ألا وإ نّه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم وإلاّ فلا آخذ على أحد...».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.. وقالوا: نبايعك على كتاب الله، فقال (عليه السلام): اللّهمّ اشهد عليهم[٨].

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة، فكان أوّل من بايع **طلحة** بيده الشلاّء والذي سرعان ما نكث بها عهد الله وميثاقه وجاء بعده **الزبير** فبايع، ثمّ بايعه أهالي الأمصار وعامّة الناس من أهل بدر والمهاجرين والأنصار عامّة.

كانت بيعة الإمام عليّ (عليه السلام) أول حركة انتخاب جماهيرية ولم يحضَ أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة

وبلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه،لكنّنا نجد أنّ فئة قليلة اتّسمت بالانحراف عن الحقّ والجبن في مواجهته بدأت ترتدّ عن بيعتها.

لقد كان تخلّفهم خرقاً لإجماع الأُمّة وتحدّياً لبيعتها وبذلك فتحوا باباً جديدة في تأجيج الفتنة واستمرار الصراع الداخلي ومن هؤلاء المتخلّفين: **سعد ابن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر ومعاوية بن أبي سفيان** وغيرهم[٩].

وأما موقف الإمام (عليه السلام) من هؤلاء فإنّه لم يتعرّض لأحد منهم بأيّ سوء وتركهم وحالهم في الأُمّة لهم ما للناس وعليهم ما على الناس.

عقبات في طريق حكومه الإمام (عليه السلام):

وقد كان هناك عقبات كثيرة في طريق حكومة الإمام (عليه السلام)، منها:

١ ـ وصل الإمام عليّ (عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي وقيادة الأُمّة والدولة. فطوال الفترة السابقة أَلِفَ الناس أن يروا الإمام محكوماً لا حاكماً، محكوماً لأُناس أقلّ كفاءةً وشأناً منه..

٢ ـ كما أنّ عدداً من الشخصيات تنامى لديها الشعور بالمنافسة وبلوغ قمّة السلطة لتحقيق أغراضهم

(٧) عن أنساب الأشراف ١: ق ١ / ١٥٧.
(٨) أنساب الأشراف: ٥ / ٢٢.
(٩) تاريخ الطبري: ٤٥٢/٣ ط مؤسسة الأعلمي.

الشخصية، فالزبير في السقيفة كان يدافع عن حقّ الإمام (عليه السلام) مقابل الفئات المندفعة نحو السلطة، ثمّ نجده اليوم ينازع الإمام على السلطة ومعاوية الطليق ابن الطليق أصبح بعد هذه المدّة مناوئاً قويّاً يهدّد كيان الدولة.

٣ ـ أنّ العناصر التي وقفت ضدّه على الخطّ المنحرف كان أغلبها ممّن له صحبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا ممّا انخدع به أعداد كبيرة من المسلمين وعقّد الأمر على نجاح حكومته (عليه السلام) واستمراره في الحكم.

٤ ـ أنّ الإمام (عليه السلام) استلم دولة مترامية الأطراف، فإنّها تمتد الى شمال أفريقيا وأواسط آسيا إضافةً إلى تمام الجزيرة والعراق والشام وقد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب وهؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظلّ حكومة غير معصومة.

وكان على حكومة الإمام القيام بمهامّ رئيسية في أقصر وقت مع وجود الصراع الداخلي فمنها:

سياسه الإمام على(عليه السلام) الإصلاحيه:

وأما بالنسبة إلى سياسة الإمام علي(عليه السلام) الإصلاحية، فقد من خطوطها العامة ما يلي:

١ ـ هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء.

وذلك عبر:

أ ـ *المساواة في العطاء بين المسلمين جميعاً*، متّبعاً في ذلك سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أهملها من كان قبله من الخلفاء وقد أوضح في خطبته سياسة التوزيع النابعة من حكم الله «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» فقال:

«ألا وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخَل في ديننا واستقبل قبلتنا؛ فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب»(١٠).

ب ـ *استرجاع الأموال المنهوبة من بيت المال في عهد عثمان*، فقد أعلن الإمام أنّ الأموال المأخوذة بغير حقّ ـ وما أكثرها في عهد عثمان ـ لابدّ أن ترجع إلى بيت المال، حيث كانت الأموال الطائلة عند طبقة محيطة بالخليفة أو أنّ عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه. فقال (عليه السلام): «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لا يبطله شيء ولو وجدته قد تُزوج به النساء ومُلك به الإماء وفرّق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[١١].

(١٠) بحار الأنوار: ٣٢/١٧ و١٨.
(١١) نهج البلاغة: الخطبة (١٥).

أنّ **طلحة والزبير** جاءا إلى الإمام (عليه السلام) يعترضان على ذلك، فقالا: إنّ لنا قرابةً من نبي الله وسابقةً وجهاداً وإنّك أعطيتنا بالسوية ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضّلونا على غيرنا. فقال (عليه السلام): «*فهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حقّ فخذوه، قالوا: فسابقتنا! قال (عليه السلام): أنتما أسبق منّي؟ قالا: لا، فقرابتنا من النبيّ (صلى الله عليه وآله)! قال (عليه السلام): أقرب من قرابتي؟ قالا: لا، فجهادنا، قال (عليه السلام): أعظم من جهادي؟ قالا: لا، قال (عليه السلام): فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلاّ بمنزلة سواء*»[١٢].

ج ـ *المساواة أمام حكم الله تعالى*:

لم يكن الإمام (عليه السلام) غافلاً عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم ويفصل بالحقّ والعدل، إذ يعجز غيره وما أن استلم زمام اُمور الدولة؛ حتى ضرب أروع صنوف العدل وسلك أوضح سبل الحقّ مظهراً عدل الشريعة الإلهية وقدرة الإسلام على إقامة دولة تنعم بالحرية والأمان والعدل. ومواقف الإمام (عليه السلام) كثيرة وما كان يتحرّج أن يجري القانون على نفسه وأهل بيته وأصحابه، فقد ترافع مع اليهودي الى شريح القاضي ليفصل بينهم في درع افتقده (عليه السلام)[١٣].

وقد كانت أحكام الإمام في فصل القضاء نابعة من عمق الشريعة وسعة علم الإمام باُمور الدين والدنيا وتدلّ على العصمة في الفكر والعمل.

٢ ـ التنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة:

وذلك من خلال ما يلي:

أ ـ *قيام الإمام (عليه السلام) بإعفاء الولاة الذين عيّنهم عثمان من مناصبهم ونصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمّة وهم محلّ ثقة المسلمين*، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري بدلاً عن عبد الله بن عامر الى البصرة وعلى الكوفة أرسل عمارة بن شهاب بدلاً عن أبي موسى الأشعري وعلى اليمن عبيد الله بن عبّاس بدلاً عن يعلى بن منبه وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدلاً عن عبدالله بن سعد وعلى الشام سهل بن حنيف بدلاً من معاوية بن أبي سفيان.

ب ـ *وفي عملية اختيار الولاة الجدد كان الإمام (عليه السلام) دقيقاً وموضوعياً وحريصاً على تطبيق الشريعة الإسلامية* بجهازه الإداري الجديد وقد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم ورفع معنويّاتهم، إذ أشركهم في الحكم.

ج ـ *حاول الإمام فرض سيطرة الخلافة المركزية على ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية فيها عن البيعة*،

---

(١٢) بحار الأنوار: ٤١ / ١١٦.
(١٣) السنن الكبرى: ١٠ / ١٣٦، وتأريخ دمشق: ٣ / ١٩٦، وقد وردت مواقف الإمام هذه في عدّة مصادر منها: الأغاني: ١٦ / ٣٦، والبداية والنهاية: ٨ / ٤، والكامل في التأريخ: ٣ / ٣٩٩، والصواعق المحرقة: ٧٨.

فدفع الراية الى ولده **محمد بن الحنفية** وولّى **عبدالله بن عبّاس** على ميمنته وعمر **بن أبي سلمة** على الميسرة ودعا **أبا ليلى** بن عمر بن الجرّاح فجعله على مقدّمة الجيش وخطب في أهل المدينة وحثّهم على القتال ولكن حال دون التحرّك وصول خبر خروج طلحة والزبير على حكم الإمام الى البصرة بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعمرة فأذن لهم وكان قد حذّرهم من نكث البيعة(١٤).

٣ ـ تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الحقيقية لطبيعة وشكل الحكم والمجتمع الإسلامي وقد ظهر هذا واضحاً في فترة حكومة الإمام (عليه السلام) وعلى هذا الأساس استند قبول الإمام للحكم بعد أن رفضه، فقد مارس دور القائد السياسي المحنّك والحاكم العادل ونموذج الإنسان الذي صاغته الرسالة الإسلامية وكان مثالاً يُحتذى به لبلوغ هدف الرسالة، فهو المعصوم عن الخطأ والزلل والدنس في الفكر والعمل والسيرة.

٤ ـ تربية وبناء ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام (عليه السلام) في حركته الإصلاحية والتغييرية وذلك عبر تحرّكها في وسط الأمّة لإنضاج أفكارها وتوسيع قاعدة الفئة الواعية الصالحة، وتستمر في مسيرها عبر التأريخ لتتواصل الأجيال اللاحقة في العمل وفق النهج الإسلامي(١٥).

٥ ـ إحياء سنّة رسول الله (**صلى الله عليه وآله**) **والاهتمام بالقرآن** تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ هما عماد الشريعة ولابدّ أن تدرك الأمّة حقائق القرآن والسنّة كما شُرّعت وكما أُريد لها أن تفهمها.

جهود الإمام (عليه السلام) في إحياء الشريعه الإسلاميه:

كان الإمام عليّ (عليه السلام) يرى أن من أوليّات مهامّه بعد غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو صيانة الشريعة المقدسة من الزيغ والانحراف ورعاية شؤون الدّولة الإسلامية حتى تستمر من دون تلكؤ أو توقّف وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء متغاضياً بمرارة وألم عن حقّه في إدارة شؤون الأُمّة مباشرة وما أن أمسك زمام الحكم؛ حتى خطا خطوات عظيمة في إحياء سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي الدعوة الى الحياة في ظلّها واهتم اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وتفسيره وتربية الأُمّة وإصلاح الفساد أينما وجد ويمكننا أن نلحظ الخطوات التي قام بها الإمام عليّ (عليه السلام) كما يلي:

١ ـ فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين عليه.

٢ ـ الاهتمام بالقرّاء مراعياً لشؤونهم ومتّبعاً فيهم سنّة الرسول (**صلى الله عليه وآله**) **في التعليم**، فكان تعليم قراءة القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة ما فيه من العلم والعمل والتفقّه في أحكام الدين.

---

(١٤) تأريخ الطبري: ٣ / ٤٦٩.
(١٥) أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف للشهيد السيد محمّد باقر الصدر: ٥٩ ـ ٦٩.

٣ ـ **الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب** أو من الذين لا يحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام[١٦].

٤ ـ **دعا الإمام (عليه السلام) الى رواية السنّة النبوية وتدوينها ومدارستها**، فكان يقول: «*قيّدوا العلم بالكتابة*»[١٧] وأمر (عليه السلام) بالبحث في علوم السنّة فيقول: «تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس»[١٨].

٥ ـ ركّز الإمام على مصدرية القرآن والسنّة في التشريع والأحكام وأدان المصادر الأُخرى كالاستحسان والقياس وغيرهما ممّا لا يكون مصدراً شرعياً للأحكام الإلهية[١٩].

كما أنّ الإمام (عليه السلام) أحيى سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبداع من سبقه من الخلفاء[٢٠].

وحين استلم أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة؛ احتفّت به جماعة من المؤمنين الأوفياء الأشدّاء، فازداد الإمام (عليه السلام) اعتناءً بهم وأعدّهم إعداداً رسالياً خاصاً وأودعهم علوماً شتّى في مختلف نواحي الحياة وقام هؤلاء الصحابة الأجلاّء بدورهم في دعم الرسالة الإسلامية ومساندة الإمامة والمحافظة على الشريعة من الزيغ والانحراف والاندثار فكانت مواقفهم رائعة وبطولية مقابل الحكّام الطواغيت والمتسلّطين بغير حقّ على أُمور المسلمين ومن هؤلاء: **مالك الأشتر، كميل بن زياد النخعي، محمد بن أبي بكر، حجر بن عدي، عمرو بن الحمق الخزاعي، صعصعة بن صوحان العبدي، رشيد الهجري، هاشم المرقال، قنبر، سهل ابن حُنيف** وغيرهم.

الخلاصه

١ـ تحرّكت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ (عليه السلام) لتضغط عليه كي يقبل قيادتها، ولكنّ الإمام (عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردّد.لم يكن الإمام حريصاً على السلطان، بل كان حرصه أن ينقذ ما بقي من الأُمّة وأن يحافظ على الشريعة الإسلامية نقيّةً من الشوائب والبدع.

٢ـ كانت بيعة الإمام عليّ (عليه السلام) أول حركة انتخاب جماهيرية.

٣ـ كان هناك عقبات كثيرة في طريق حكومة الإمام (عليه السلام)، منها:

أ ـ وصول الإمام عليّ (عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي

---

(١٦) الأغاني: ١٢ / ١٣، الفهرست لابن النديم: ٥٩، وفيات الأعيان: ٢ / ٢١٦، والبداية والنهاية: ٨ / ٣١٢.
(١٧) الطبقات الكبرى: ٦ / ١٨٦، وتدوين السنّة الشريفة للسيد الجلالي: ١٣٧.
(١٨) كنز العمال: ١٠ حديث ٢٩٥٢٢.
(١٩) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٥).
(٢٠) صحيح مسلم: كتاب صلاة التراويح، ومسند أحمد: ٥ / ٤٠٦، وصحيح البخاري: كتاب الخمس: باب ٥ / حديث ٢٩٤٤، وسنن أبي داود: ٢ / حديث ١٦٢٢.

وقيادة الأُمّة والدولة.

ب ـ كما أنّ عدداً من الشخصيات تنامى لديها الشعور بالمنافسة وبلوغ قمّة السلطة لتحقيق أغراضهم الشخصية.

ج ـ أنّ العناصر التي وقفت ضدّه على الخطّ المنحرف كان أغلبها ممّن له صحبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا ممّا انخدع به أعداد كبيرة من المسلمين.

د ـ أنّ الإمام (عليه السلام) استلم دولة مترامية الأطراف.

٤ـ وأما بالنسبة إلى سياسة الإمام علي(عليه السلام) الإصلاحية، فقد من خطوطها العامة ما يلي:

أ ـ هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء.

ب ـ التنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة.

ج ـ تربية وبناء ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام(عليه السلام)في حركته الإصلاحية والتغييرية.

د ـ إحياء سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ هما عماد الشريعة ولابدّ أن تدرك الأُمّة حقائق القرآن والسنّة كما شُرّعت وكما أُريد لها أن تفهمها.

هـ ـ تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الحقيقية لطبيعة وشكل الحكم والمجتمع الإسلامي.

٥ـ من جملة جهود الإمام (عليه السلام) في سبيل إحياء الشريعة الإسلامية:

أ ـ فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة.

ب ـ تعليم قراءة القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة ما فيه من العلم والعمل والتفقّه في أحكام الدين.

ج ـ الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب.

دـ دعا الإمام (عليه السلام) الى رواية السنّة النبوية وتدوينها ومدارستها.

هـ ـ ركّز الإمام على مصدرية القرآن والسنّة في التشريع والأحكام.

كما أنّ الإمام (عليه السلام) أحيى سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبداع من سبقه من الخلفاء.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 6

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(6)

الناكثون

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي (عليه السلام) في أول فترة تسلمه للخلافة، نتعرض في هذا الدرس وما بعده إلى حركات التمرد التي تعرض لها الإمام في فترة خلافته، بدأ بمن سماهم النبي (صلى الله عليه واله) نفسه بالناكثين.

المحتوى العلمی

مثيرو الفتن:

كانت بيعة الناس **لأميرالمؤمنين** (**عليه السلام**) بمنزلة صاعقة حلّت بقريش وكلّ من يكنّ العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله (صلى الله عليه واله) التي أذلّت الظلم والعدوان والبغي وجاءت بالعدل والمساواة والحقّ والفضيلة وحطّمت المصالح الاقتصادية القائمة على الربا والاحتكار والاستغلال، فعزّ على كثير من كبار قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مواطن آخر من أيّ فئة كانت في حكومة الإمام عليّ(عليه السلام)الذي طالت إصلاحاته ولاة عثمان.

طلحة والزبير وعائشة ومعاوية

وقد كان كلّ من **طلحة والزبير** يرى نفسه قريناً لأميرالمؤمنين (عليه السلام)، بعدما رشّحهما عمر للخلافة فكان يتوقّع كلّ منهما أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية على أقلّ تقدير وكان **لعائشة** المقام المرموق لدى الخلفاء السابقين حيث كانت تتحدّث كما تشاء وهي الآن تعلم أن لا مجال لها في حكومة تعتمد القرآن والسنّة مصدراً ودستوراً للتشريع والتنفيذ.

وكان **معاوية** يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرّد والطامع في السيادة الإسلامية العظمى جادّاً في تولّي أُمور الأمّة الإسلامية بصورة تامّة فكانت المفاجأة لجميع هؤلاء بقرارات الإمام وتخطيطه للإصلاح الشامل إضافةً الى تضرّر مجموعة أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها.

من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد

ولم يكن تقلّب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للاتّجاه الصحيح لمسيرة الحكومة الإسلامية غريباً على الإمام عليّ (عليه السلام)؛ فقد أخبره **النبي** (**صلى الله عليه واله**) بتمرّد بعض الفئات على حكمه وعهد إليه بقتالهم كما أ نّه قد سمّاهم له **بالناكثين والقاسطين والمارقين**[1].

عائشة تعلن التمرّد على حكومة الإمام علي(عليه السلام):

(١) مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٩، وتأريخ بغداد: ٨ / ٣٤٠، ومجمع الزوائد: ٩ / ٢٣٥، وكنز العمال: ٦ / ٨٢.

كان موقف **عائشة** من عثمان غريباً متناقضاً لا يليق بمقام امرأة تعدّ من نساء النبي (صلى الله عليه واله)، فكانت تردّد قولها: «**اقتلوا نعثلاً**» وتحرّض الناس على التمرّد عليه وعلى قتله[٢].

وقد خرجت من المدينة الى مكّة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوار وهي تتوقّع النهاية السريعة لعثمان ومن ثمَّ فوز قريبها طلحة بالخلافة والاستيلاء على الحكم.

وحين فوجئت بأنّ الأمر قد استقرّ ـ بعد بيعة الناس الى الإمام عليّ(عليه السلام)، كرّت راجعة نحو مكّة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع الى المدينة[٣] وأعلنت حزنها وتظلّمها على عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله، فاختلقت عذراً واهياً، فقالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه[٤]. وكأنّها كانت حاضرة تشهد مقتله.

وأعلنت السيدة **عائشة** حربها ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[٥].

عائشه وأزواج النبيّ (صلى الله عليه واله)

وطمعت **عائشة** في توسيع جبهتها ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) فحاولت مخادعة أزواج النبيّ (صلى الله عليه واله) للخروج معها ضدّ الإمام، فامتنعن من ذلك وحاولت **أُمّ سلمة** أن تنصحها عسى أن ترجع عن غيّها وتجنّب الأُمّة البلاء والدماء، فقالت لها: إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً وإنّك لتعرفين منزلة **عليّ بن أبي طالب** عند رسول الله (صلى الله عليه واله) أفأُذكّرك؟ قالت **أُمّ سلمة**: أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتِني فهجمتِ عليهما، فما لبثتِ أن رجعت باكية، فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعليّ: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه واله) إلاّ يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه واله) عليَّ وهو غضبان محمرّ الوجه، فقال:

«ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإيمان»،

فرجعتِ نادمة ساخطة، قالت عائشة: نعم أذكر ذلك، قالت أُمّ سلمة: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت أُمّ سلمة: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها[٦].

---

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ٦ / ٢١٥، وكشف الغمة: ٣ / ٣٢٣.
(٣) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٠٦.
(٤) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٠٦.
(٥) تأريخ الطبري: ٣ / ٤٧٤.
(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦ / ٢١٧، وبحار الأنوار: ٣٢ / ١٤٩.

جهود معاويه

وبدأ **معاوية** تحرّكه السياسي لتأجيج الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان ومن ثَمَّ ليستثمرها لصالحه، فخاطب **الزبير وطلحة** بصيغة تحرّك فيهما الأطماع والرغبات للدخول في الصراع الجديّ ضدّ الإمام (عليه السلام) فتزداد الفتنة في العاصمة المركزية. فكتب رسالة الى الزبير خاطبه فيها بإمرة المؤمنين وأنه قد أخذ البيعة له من أهل الشام(٧).

ولمّا وصلت رسالة معاوية إلى **الزبير**؛ خفّ لها طرباً واطمأنّ الى صدق نيّة معاوية واتفق هو وطلحة على نكث بيعة الإمام والخروج عليه، فأظهرا الحسرة والتأسّف على بيعتهما للإمام مردّدين: بايعنا مكرهين وما أن وصلت الى أسماعهما صيحة السيدة عائشة محرّضة على الإمام؛ حتى اجتهدا في إيجاد الحيلة للخروج إليها. وروي أنّهما جاءا يطلبان من الإمام المشاركة في الحكم فلم يتوصّلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشة ثمّ عادا ثانية إلى الإمام (عليه السلام) ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما الإمام (عليه السلام): «نعم والله ما العمرة تريدان وإنّما تريدان أن تمضيا لشأنكما»(٨). وروي أ نّه (عليه السلام) قال لهما: «بل تريدان الغدرة»(٩).

لقد أجمع رأي الخارجين على بيعة الإمام (عليه السلام) في بيت **عائشة** في مكّة بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمان، فضمّ الاجتماع **الزبير وطلحة ومروان بن الحكم** على أن يتّخذوا من دم **عثمان** شعاراً لتعبئة الناس لمحاربة الإمام عليّ (عليه السلام)، فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمرّد والعصيان وأنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) هو المسؤول عن إراقة دم عثمان، لأنّه آوى قتلته ولم يقتصّ منهم وقرّروا أن يكون زحفهم نحو البصرة واحتلالها واتّخاذها مركزاً للتحرّك ومنطلقاً للحرب، حيث أ نّ معاوية يسيطر على الشام والمدينة لا زالت تعيش حالة الاضطراب(١٠).

تحرّك عائشه باتجاه البصره:

مضت عائشة في خطّتها لإثارة الفتنة، فحشدت أعداداً من الناس وجهّزهم **يعلى بن منية** بمستلزمات الحرب من السيوف والإبل التي سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها وقدم عليهم عبدالله بن عامر بمال كثير من البصرة سرقه أيضاً(١١). وجهّزوا لعائشة جملها المسمّى (**عسكر**) وقد احتفّ بها بنو أُميّة وهي تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجّهين نحو البصرة، تسبقهم كتبهم التي أرسلوها الى عدد من وجوه

(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ٢٣١.
(٨) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٧٠.
(٩) شرح النهج: ١ / ٢٣٣.
(١٠) تأريخ الطبري: ٣ / ٤٧١ ط مؤسسة الأعلمي.
(١١) الإمامة والسياسة: ٧٩، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢٠٧.

البصرة، يدعونهم فيها للخروج على بيعة الإمام (عليه السلام) بدعوى المطالبة بدم عثمان[١٢].

ووصل الجيش الى مكان يقال له: **«الحوأب»** فتلقّتهم كلاب الحيّ بنباح وعواء، فذعرت عائشة وسألت محمد بن طلحة عن المكان فقالت: أيّ ماء هذا؟ فأجابها: **ماء الحوأب** يا أُمّ المؤمنين.. فهلعت وصرخت: ما أراني إلاّ راجعة، قال: لِمَ، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول لنسائه: كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب وإيّاك أن تكوني يا حميراء[١٣]. ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردّوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة وجاءها عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله أنّه ليس ماء الحوأب وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك[١٤]. فكانت أوّل شهادة زور في الإسلام.

عائشه تدخل البصره

حاول **عثمان بن حنيف** والي الإمام (عليه السلام) على البصرة أن يثني عائشة ومَن معها من غيّهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم **عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي** ليحاججوا عائشة ومن معها ببطلان موقفهم ولكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة ومعها طلحة والزبير مصرّين على نيّتهم في إثارة الفتنة وإعلان الحرب[١٥].

وأقبلت عائشة ومن معها حتى انتهوا إلى **«المربد»** فدخلوا من أعلاه وخرج إليهم عثمان بن حنيف ومن معه من أهل البصرة، فتكلّم طلحة والزبير وعائشة يحرّضون الناس على الخروج على بيعة الإمام (عليه السلام) بدعوى الثأر لعثمان، فاختلف الناس بين معارض ومؤيّد.

افتتن الناس بقدوم عائشة على البصرة، فبين منكر ومؤيّد ومصدّق ومكذّب افترقت جماهير البصرة وتأزّم الموقف، فاصطدم الناس واقتتلوا على فم السكّة ولم يحجز بينهم إلاّ الليل وكان عثمان بن حنيف لا يريد إراقة الدماء ويجنح للسلم وينتظر قدوم الإمام عليّ (عليه السلام) الى البصرة، فلمّا عضّت الحرب الطرفين؛ تنادوا للصلح، فكتبوا كتاباً لعقد هدنة مؤقّتة على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة؛ خرج ابن حنيف عن البصرة وإلاّ خرج عنها طلحة والزبير[١٦].

وعاد **كعب بن مسور** رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء أُسامة بن زيد أنّ طلحة والزبير بايعا مكرهين ومخالفة أهل المدينة لرأي أُسامة فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلة ذات رياح ومطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه وأسروه ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه ولكنّهم خافوا من قتله لأنّ أخاه سهل بن حنيف والي الإمام على المدينة[١٧].

---

(١٢) الإمامة والسياسة: ٨٠، الكامل في التأريخ: ٣ / ٢١٠.
(١٣) الإمامة والسياسة: ٨٢، وأخرج الحديث أحمد في مسنده: ٦ / ٥٢١، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢ / ٤٩٧.
(١٤) الإمامة والسياسة: ٨٢، مروج الذهب: ٢ / ٣٩٥.
(١٥) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٧٩ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢١١.
(١٦)الإمامة والسياسة: ٨٧، والطبري: ٤٨٣/٣ و٤٨٤ ط مؤسسة الأعلمي، وراجع الكامل في التأريخ: ٣ / ٢١٥.
(١٧) الإمامة والسياسة: ٨٩، وتأريخ الطبري: ٣ / ٤٨٤ ط مؤسسة الأعلمي، ومروج الذهب للمسعودي: ٢ / ٣٦٧.

تحرّك الإمام (عليه السلام) للقضاء على التمرّد[١٨]:

وما أن أُحيط الإمام (عليه السلام) علماً بحركة **عائشة وطلحة والزبير** نحو البصرة وإعلانهم العصيان عدل عمّا كان يخطّط لمعالجة موقف معاوية والشام، فاتّجه (عليه السلام) نحو البصرة بجيش يضمّ وجوه المهاجرين والأنصار.

وصل الإمام (عليه السلام) الى منطقة **«الربذة»** فكتب الى الأمصار يستمدّ العون ويوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة وحصرها في أضيق نطاق، فأرسل الى الكوفة **محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر**، فأبى أبو موسى الأشعري الاستجابة للإمام ومارس دور المثبّط عن مناصرة الإمام (عليه السلام) في موقفه، ثمّ أرسل عبد الله بن عباس ولم يتمكّن من إقناع أبي موسى بالانصياع والكفّ عن تثبيط الناس عن نصرة الإمام، فأرسل (عليه السلام) ولده الحسن وعمار بن ياسر ثمّ تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أبا موسى وتحرّكت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلحقت به في **«ذي قار»**.

ولم يتوقّف الإمام (عليه السلام) في مراسلة طلحة والزبير وإيفاد الرسل إليهم، عسى أن يعودوا لرشدهم ويدركوا خطورة فتنتهم فيجنّبوا الأمّة المصائب والبلايا وسفك الدماء فأوفد الى عائشة زيد بن صوحان وعبدالله بن عباس وغيرهما، فحاوروهم بالحجّة والدليل والعقل حتى أنّ عائشة قالت لابن عباس: **لا طاقة لي بحجج عليّ**، فقال ابن عباس: لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق[١٩]؟!

نصح الإمام (عليه السلام) للمتمرّدين:

أكثَر الإمام (عليه السلام) من مراسلة طلحة والزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة ومن معها من اقتناع قادتها وجموع الناس معها بحجج الإمام (عليه السلام)؛ فخرجوا لملاقاته، فلمّا توقّفوا للقتال أمر الإمام (عليه السلام) منادياً ينادي في أصحابه: لا يرمينّ أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أُعذر القوم فأتّخذ عليهم الحجّة البالغة[٢٠].

فلم يجد الإمام (عليه السلام) منهم إلاّ الإصرار على الحرب، ثمّ خرج الإمام (عليه السلام) الى الزبير وطلحة فوقفوا ما بين الصفّين، فقال الإمام (عليه السلام) لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عندالله عذراً فاتّقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما

(١٨) الإمامة والسياسة: ٧٤، وتأريخ الطبري: ٥ / ٥٠٧.
(١٩) الإمامة والسياسة: ٩٠، وبحار الانوار: ٣٢ / ١٢٢.
(٢٠) الإمامة والسياسة: ٩١، ومروج الذهب: ٢ / ٢٧٠.

في دينكما؟ تحرّماني دمي وأُحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟

ثمّ قال (عليه السلام) **لطلحة**: أجئت بعرس رسول الله (صلى الله عليه واله) تقاتل بها وخبّأت عرسك في البيت؟! أما بايعتني؟ ثمّ قال (عليه السلام) **للزبير**: قد كنا نعدّك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبدالله ففرّق بيننا، ثمّ قال (عليه السلام): أتذكر يا زبير يوم مررت مع رسول الله(صلى الله عليه واله) في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله (صلى الله عليه واله): ليس بِمُزه ـ أي: ليس به زهو ـ لتقاتله وأنت له ظالم؟! قال الزبير: اللهم نعم.

وروي: أنّ **الزبير** اعتزل الحرب وقتل بعيداً عن ساحة الحرب بعد أن استعرت الفتنة[٢١]. كما أنّ **طلحة** قتله مروان بن الحكم في ساحة المعركة[٢٢].

كان الإمام (عليه السلام) طامحاً حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال (عليه السلام) لأصحابه: «لا يرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أُحدث إليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال والقتل»[٢٣].

وشرع أصحاب الجمل بالرمي فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثمّ قتل ثان وثالث، عندها أذِنَ (عليه السلام)[٢٤] بالردّ عليهم والدفاع عن الحقّ والعدل.

إلتحام الجيشين

التحم الجيشان يقتتلان قتالاً رهيباً، فتساقطت الرؤوس وتقطّعت الأيادي وأُثخنت الجراحات في الفريقين، ووقف أميرالمؤمنين ليشرف على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادى بأعلى صوته:

«*ويلكم، اعقروا الجمل فإنّه شيطان...*».

فهجم الإمام (عليه السلام) وأصحابه حتى وصلوا الجمل فعقروه، ففرّ من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر (عليه السلام) بعد ذلك بحرق الجمل وتذريّة رماده في الهواء لئلاّ تبقى منه بقية يفتتن بها السذّج والبسطاء، ثمّ قال الإمام (عليه السلام): لعنه الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني اسرائيل.

ومدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى: «.. وانظر إلى إلهك الذي ظلْت عليه عاكفاً

(٢١) الإمامة والسياسة: ٩١، ومروج الذهب ٢/٢٧٠.
(٢٢) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٥٨، والإمامة والسياسة: ٩٧.
(٢٣) شرح النهج: ٩ / ١١١.
(٢٤) الإمامة والسياسة: ٩٥.

لنحرّقنّه ثمّ لننسفنّه في اليمّ نسفاً»[٢٥].

مواقف الإمام بعد المعركه:

كتب الله النصر لأمير المؤمنين (عليه السلام) على مخالفيه ووضعت الحرب أوزارها وانقشع غبار المعركة ونادى منادي الإمام (عليه السلام) يعلن العفو العام: ألا لايجهز على جريح ولا يتبع مول ولا يطعن في وجه مدبر ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلاّ ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره ممّا استخدم في القتال وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم[٢٦].

وأمر الإمام عليّ (عليه السلام) **محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر** أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى وسط ساحة المعركة وينحّوه جانباً وأن يتعهّد محمد أمر أُخته عائشة، فلمّا كان من آخر الليل أدخلها محمد البصرة فأنزلها في دار **عبدالله بن خلف الخزاعي**.

وأقام الإمام (عليه السلام) في ظاهر البصرة ولم يدخلها وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم[٢٧]، ثمّ دخل (عليه السلام) مدينة البصرة معقل الناكثين، فانتهى الى المسجد فصلّى فيه ثمّ خطب في الناس وذكّرهم بمواقفهم ومواقف الناكثين لبيعته، فناشدوه الصفح والعفو عنهم، فقال (عليه السلام): «قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأُمّة». ثمّ أقبلت الجماهير ووجوه الناس لمبايعة الإمام(عليه السلام)[٢٨].

وبعد ذلك دخل أمير المؤمنين بيت المال في البصرة، فلمّا رأى كثرة المال قال: «غُرّي غيري..» وكرّرها مراراً وأمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلّ فرد منهم خمسمائة درهم وأخذ هو كأحدهم ولم يبقَ شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الوقعة يطالب بحصّته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه ولم يصب شيئاً[٢٩].

ثمّ أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشة وتسريحها الى المدينة وأرسل معها أخاها وعدداً من النساء ألبسهنّ العمائم وقلّدهن السيوف لرعاية شؤونها وأوصلنها الى المدينة ولكنّ عائشة لم تحسن الظنّ بأمير المؤمنين وتصوّرت أنّ الإمام لم يرعَ حرمتها وما أن علمت أنّ الإمام (عليه السلام) بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها وفشلها وإثارتها للفتنة، فكانت تكثر من البكاء[٣٠].

---

(٢٥) طه (٢٠): ٩٧.
(٢٦) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٢، ومروج الذهب: ٢ / ٣٧١.
(٢٧) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٥٥.
(٢٨) تأريخ الطبري: ٣ / ٥٤٤، والإرشاد للشيخ المفيد: ١٣٧.
(٢٩) شرح النهج: ١ / ٢٥٠.
(٣٠) الإمامة والسياسة: ٩٨، ومروج الذهب للمسعودي: ٢ / ٣٧٩، والمناقب للخوارزمي: ١١٥، والتذكرة للسبط ابن الجوزي: ٨٠.

الكوفه عاصمه الإمام على(عليه السلام)

بعد أن هدأت الاُمور تماماً تحرّك الإمام عليّ (عليه السلام) نحو الكوفة ليتّخذها مقرّاً بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث[٣١]، كما أنّ الإمام أمّر **عبدالله بن عباس** على البصرة وشرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم[٣٢].

وكان لاختيار الإمام (عليه السلام) الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباب عديدة منها:

١ ـ توسّع رقعة العالم الإسلامي ولابدّ أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرّك نحو جميع نقاط الدولة.

٢ ـ إنّ الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام (عليه السلام) في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيّات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها.

٣ ـ الظروف السياسية والتوتّرات الناجمة عن مقتل عثمان وحرب أصحاب الجمل كلّ ذلك جعل الإمام (عليه السلام) أن يستقرّ في الكوفة، ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة.

الخلاصه

١ـ جمعت المصالح الشخصية والأحقاد كلا من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية على حرب الإمام علي (عليه السلام).

٢ـ كانت موقف أزواج النبي (صلى الله عليه واله) وخاصة أم سلمة حازما إزاء حركة عائشة.

٣ـ قام معاوية بتأجيج نار الحرب بين الطرفين.

٤ـ افتتن أهل البصرة فيما بينهم عند وصول جيش عائشة إليهم حتى أنه وقعت الحرب بينهم.

٥ـ كان الإمام (عليه السلام) طامحاً حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب.

٦ـ كان موقف الإمام بعد الحرب نبيلا إزاء الجميع حتى أنه بذل لهم ما كان في بيت مال البصرة. كما أنه أرجع عائشة معززة إلى المدينة.

---

(٣١) تأريخ الطبري: ٣ / ٥٤٥ و٥٤٦.
(٣٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٦ ط مؤسسة الأعلمي.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی (2)

الدرس 10

تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)(1)

المقدمه

تناولنا في الدروس السابقة تاريخ الإمام الإمام علي(ع) منذ الولادة حتى الممات، وتصل النوبة اليوم إلى تاريخ الإمام من بعده وهو الإمام الحسن(ع) حيث نتناول أهم الخطوط العامة في حياته عليه السلام.

المحتوى العلمى

فى ولادته(ع)

ولد **الحسن بن علي**(ع) في المدينة النصف من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث من الهجرة، وكان **الحسن** أول أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام). وروي مرفوعا إلى علي بن أبي طالب قال: لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله(ص) لأسماء بنت عميس وأم سلمة: احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا في أذنه اليمني، وأقيما في أذنه اليسري، فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان، ولا تحدثا شيئا حتى آتيكما. فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله(ص) فسره ولثاه بريقه، وقال: **اللهم إني أعيذه بك** [**وذريته**] **وولده من الشيطان الرجيم**[١].

فى نسبه وكنيته

قال الشيخ **كمال الدين بن طلحة**: *حصل للحسن وأخيه الحسين (عليهما السلام) ما لم يحصل لغيرهما، فإنهما سبطا رسول الله(ص) وريحانتاه، وسيدا شباب أهل الجنة، جدهما رسول الله(ص)، وأبوهما علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمهما الطهر البتول فاطمة ابنة الرسول.*

نصّ الرسول الأعظم(ص) على إمامة سبطه الحسن(ع)

الإمامة بعد رسول الله(ص) تُعيّنُ بالنصّ، ولا تُتْرَك لاختيار الأمّة، فهي عهد من الله لرسوله، ومنه(ص) إلى مَن بعده، ويستمرّ العهد الإلهي متنقّلاً من إمام إلى إمام يليه، حتّى يصل إلى آخر الأئمّة وهو **المهديّ المنتظر** (**عج**).

فقد نصّ رسول الله(ص) على إمامة اثني عشر رجلاً من قريش[٢]، ثمّ خصّص العموم ببني هاشم[٣]، ثمّ ضيّق دائرته وحصرها في العترة الطاهرة.[٤]

---

(١)نظر جواهر العقدين: ٢ / ٢٢٣، نظم درر السمطين: ١٨٤.
(٢)مسند أحمد بن حنبل ٦: ٩٢ إلى ١٢٤، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، سنن أبي داود ٤: ١٠٦، سنن الترمذي ٤: ٥٠١.
(٣)مودّة القربى: ٤٤٥، ينابيع المودّة ١: ٣٠٨، إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل ١٣: ٣٠.
(٤)كفاية الأثر في النص على الأئمّة الإثني عشر: ٨٩، ينابيع المودّة ٢: ٥٣٤.

ووردت روايات عديدة عن رسول الله(ص) ذكر فيها إمامة أمير المؤمنين(ع) ثمّ إمامة ابنه الحسن ومن بعده إمامه الحسين ومنها:

قوله(ص): «يا عليّ، أنا وأنت وإبناك الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين أركان الدين ودعائم الإسلام، مَنْ تبعنا نجا، ومن تخلّف عنّا فإلى النار».[٥]

وقال(ص) للإمام الحسين(ع): «أنت إمام ابن إمام أخو إمام...».[٦]

وقال(ص) محدّداً أوصياءه: «أوّلهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمّتي، ووليّ كلّ مؤمن بعدي... ثمّ ابني الحسن... واحداً بعد واحد حتّى يردوا عليّ الحوض، هم شهداء الله في أرضه وحجّته على خلقه، وخزّان علمه، ومعادن حكمته من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله».[٧]

أمير المؤمنين(ع) يؤكّد إمامه العتره الطاهره

حينما تصدّى أمير المؤمنين(ع) للقيادة وأصبح على رأس السلطة في الدولة الإسلامية، كثر أنصار أهل البيت(ع) وقاموا بنشر أحاديث رسول الله(ص) عن إمامة أهل البيت(ع)، كان أمير المؤمنين(ع) يؤكّد هذه الحقيقة ويوجّه الأنظار إلى خطّ الإمامة الحقّة، ومما قاله في ذلك: «وكيف تَعْمَهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردُوهم ورودَ الهيم العطاش».[٨]

وقال(ع): «انظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».[٩]

وقال(ع): «ألا إنّ مثل آل محمّد(ص) كمثل نجوم السماء، إذا هوى نجم طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع».[١٠]

وقال(ع): «لا يقاس بآل محمّد(ص) من هذه الأُمّة أحد، ولا يسوّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة».[١١]

---

(٥)أمالي المفيد: ٢١٧.
(٦)الخصال: ٤٧٥، جامع الأخبار: ٦٢.
(٧)فرائد السمطين ١: ٣١٨.
(٨)نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة: ٨٧.
(٩)نهج البلاغة: ١٤٣، باب كلامه: ٩٧.
(١٠)نهج البلاغة: ١٤٦، الخطبة: ١٠٠.
(١١)شرح نهج البلاغة ١: ١٣٨، ١٣٩.

توجيه الأنظار إلى إمامه الحسن(ع).

كان أمير المؤمنين(ع) يوجّه الأنظار إلى إمامة ولده الحسن(ع) ومقامه السامي وخصائصه وكفاءته، فقد كان(ع) يسأله عن المسائل المختلفة أمام مرأى ومسمع الملأ من أصحابه، فقد تركّزت أسئلته على: الزُّهد والسداد، والشرف، والنجدة، المجد، المروءة، والكرم، الإخاء، الجبن، المنعة[١٢] وكان الإمام(ع) يجيب عليها بأجوبة مختصرة شافية.

وبعث ملك الروم إلى معاوية من يسأله عن مسائل، فعجز معاوية وبعث رجلاً متنكّراً ليسأل أمير المؤمنين(ع)، فاعترف ا لرجل بحاله فقال له(ع): هذان إبنا رسول الله(ص) فسل أيّهما أحببت، فسأل الشامي الإمام الحسن(ع)فأجابه عن تلك المسائل. [١٣]

وكان(ع) يكلّف الإمام الحسن(ع) بالمهام الصعبة، ويبعثه لحلّ الأزمات، ويُشركه في المواقف الحرجة فقد بعثه إلى أهل الكوفة لعزل الأشعري، وأمره بإجابة عبدالله بن الزبير في الجمل، وأمره بنقض حكم الحَكَمَيْن لمخالفتهما القرآن.

عهد أمير المؤمنين(ع) بالإمامه لابنه الحسن(ع).

في اليومين الأخيرين من حياة أمير المؤمنين(ع) ـ وبعد أن ضربه ابن ملجم ـ أدنى ابنه الحسن(ع) وأوصى إليه قائلاً: «يا بنيّ! إنّه أمرني رسول الله(ص) أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين...». [١٤]

وفي ليلة استشهاده(ع) دعا إليه ولديه الحسن والحسين، وقال لهما: «إنّي مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعا قولي، وأنت يا حسن وصيّي والقائم بالأمر من بعدي، وأنت يا حسين شريكه في الوصيّة، فاصمت وكن لأمره تابعاً ما بقي، فإذا خرج من الدنيا فأنت الناطق من بعده، والقائم بالأمر عنه». وكتب له كتاباً بذلك نقله جمهور المؤرّخين. [١٥]

وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسن(عليهما السلام)

انطلاقاً من استخلاف الإمام الحسن(ع) لأبيه؛ قام(ع) بإيصائه بوصايا عديدة، فعند انصرافه من صفّين أوصاه بتقوى الله، وإحياء القلب بالموعظة، والنظر في أحوال الماضين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللجوء إلى الله تعالى في جميع الأمور.

وأوصاه بالإيثار، وذمّ الإعجاب بالنفس، والصبر على المكاره والشدائد.

---

(١٢)تحف العقول: ١٥٨.
(١٣)تحف العقول: ١٦٢.
(١٤)إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢٠٧.
(١٥)المصدر السابق.

وأوصاه بدوام العلاقة مع الله عن طريق المداومة على الدعاء، وذكر الموت. (١٦)

وكانت آخر وصيّة له بالخصوص قوله: «أُوصيك، أي بنيّ، بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسن الوضوء... وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش». (١٧)

البيعه للإمام الحسن(ع) بالخلافه

بعد استشهاد أمير المؤمنين(ع) وبعد دفنه قام الإمام الحسن(ع) خطيباً فقال: «قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله(ص) فيسبقه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه، ولقد توفّي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، والتي توفّي فيها يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم من عطائه».

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه ثمّ قال: «أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد رسول الله(ص)، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه...».

ثمّ قام **عبدالله بن العبّاس** بين يديه؛ فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا، وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة! فبايعوه. (١٨)

وكان عدد المبايعين له أكثر من أربعين ألفاً، كانوا قد بايعوا أباه على الموت.(١٩)

وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالعراق، وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن(٢٠).

اعتراف معاصريه بمؤهلاته

اعترف المعاصرون للإمام الحسن(ع) بمؤهّلاته وفضائله التي تؤكّد استحقاقه للخلافة ـ إضافة إلى النصّ والبيعة ـ وقد جاء هذا الإعتراف من قبل شخصيات مخالفة لأهل البيت(ع) بشكل عام.

قال **عبدالله بن الزبير**: «*والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن عليّ*».(٢١)

وقال **واصل بن عطاء**: «*كان الحسن بن عليّ عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك*».(٢٢)

---

(١٦)نهج البلاغة: ٣٩١، وما بعدها.
(١٧)الكامل في التاريخ ٣: ١٧٠.
(١٨)شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٠، ٣١.
(١٩)أسد الغابة ١: ٤٩١.
(٢٠)تاريخ ابن كثير ٨: ٣٧.
(٢١)أئمّتنا ١: ١٦٨.

وقال **معاوية** لابنه يزيد: «*إنّ الحقّ حقّهم*».[٢٣]

وقال عنه **مروان بن الحكم**: «*أحلم من هذا*» ـ وأشار إلى الجبل ـ [٢٤]

وكتب إليه **الحسن البصري**: «أمّا بعد: فإنّكم معشر بني هاشم الفلك الجارية، واللجج الغامرة، والأعلام النيّرة الشاهرة، أو كسفينة نوح(ع)، التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون». [٢٥]

خصائصه القياديه

كان الإمام الحسن(ع) يتمتّع بخصائص ذاتية تعبّر عن استحقاقه للخلافة، وانطباق شروطها عليه، فقد كان عاقلاً حليماً محبّاً للخير فصيحاً، من أحسن الناس منطقاً وبديهةً، وكان معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورته. [٢٦]

وكان يُبْسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرّ أحد من الناس إلاّ وقف إجلالاً له. [٢٧]

وكان معاوية يخشاه ويتخوّف من عودة الخلافة إليه لتمتّعه بخصائص لا يتّصف بها غيره[٢٨] لذا كبّر عند موته(ع) وقال: «والله ما كبّرت شماتة لموته، ولكن استراح قلبي وصفت لي الخلافة».[٢٩]

وكان أعلم الناس بعد أبيه(عليهما السلام) في جميع العلوم، وكان ذا معرفة تامّة بالأحداث والمواقف الآتية والمستقبلية.

وكان دائم الإرتباط بالله تعالى وأكثر الناس خشيةً منه، فإذا فرغ من الوضوء تغيّر لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حقّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه. [٣٠]

وحجَّ بيت الله الحرام عشرين مرّةً ماشياً على قدميه وقيل خمساً وعشرين حجّة. [٣١]

وامتاز بالكرم وإشباع حاجات الناس، فقد سمع إلى جنبه رجلاً يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة آلاف دينار، فانصرف إلى منزله فبعث بها إليه. [٣٢]

وامتاز بالزهد وهو القائل: [٣٣]

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني *** وشربةٌ من قراح الماء تكفيني

(٢٢)شرح نهج البلاغة ١٦: ١٢.
(٢٣)مختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٩.
(٢٤)تحف العقول: ١٦٦.
(٢٥)الأعلام للزركلي ١: ٢٣٠.
(٢٦)بحار الأنوار ٤٣: ٣٣٨.
(٢٧)ربيع الأبرار ٤: ٢٠٩.
(٢٨)وفيات الأعيان ٢: ٦٩.
(٢٩)مختصر تاريخ دمشق ٧: ٢٣.
(٣٠)مختصر تاريخ دمشق ٧: ٢٥.
(٣١)أعيان الشيعة ١: ٥٧٨.
(٣٢)وفيات الأعيان ٢: ٦٧.
(٣٣)شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨.

وطمرةٌ من رقيق الثوب تسترني *** حيّاً وإن متّ تكفيني لتكفيني

وكان متّصفاً بالحلم إلى أقصى حدوده، وكان يقابل الإساءة بالإحسان، فقد جاء رجل من أهل الشام يبغض أمير المؤمنين(ع) فسبّه وسبّ أباه، فقال له الإمام(ع): «أحسبك غريباً... فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاونّاك».(٣٤)

وكان شجاعاً لا يخشى إلاّ الله تعالى، فقد خطب بعد الصلح ومعاوية حاضر قائلاً: «... وأيْمُ اللهِ، لا ترى أُمّة محمّد خفظاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أُميّة، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتّى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم».(٣٥)

وقال لمعاوية: «إنّ الخلافة لمن سار بسيرة رسول الله(ص)... وليست الخلافة لمن عمل بالجور وعطّل الحدود».(٣٦)

وكانت له مواقف شجاعة في قلب العاصمة الأموية وهو وحيد بين معاوية وأعوانه.

ومن كفاءاته(ع) أنّه وجد أن المصلحة تكمن في الصلح، فصالح معاوية وحقن دماء أنصاره وأتباعه وسائر المسلمين، ولم يدخل في معركة خاسرة لا تحسم لصالحه ولصالح الوجود الإسلامي كما سيأتي الكلام عن ذلك في الدروس التالية إن شاء الله تعالى.

الخلاصه

١ـ نصّ الرسول الأعظم(ص) على إمامة سبطه الحسن(ع) أيام حياته.

٢ـ أكد أمير المؤمنين(ع) إمامة العترة الطاهرة.

٣ـ كان أمير المؤمنين(ع) يوجّه الأنظار إلى إمامة ولده الحسن(ع) ومقامه السامي وخصائصه وكفاءته.

٤ـ عهد أمير المؤمنين(ع) بالإمامة لابنه الحسن(ع).

٥ـ تمت البيعة للإمام الحسن(ع) بعد استشهاد أبيه، وكان عدد المبايعين له أكثر من أربعين ألفاً، كانوا قد بايعوا أباه على الموت، وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالعراق، وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن.

٦ـ تمتع الإمام الحسن(ع) بمؤهلات كثيرة اعترف بها حتى أعداؤه.

---

(٣٤)ربيع الأبرار ٢: ٨٣٧.
(٣٥)شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨.
(٣٦)ربيع الأبرار ٢: ٨٣٧.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی (2)

الدرس 11

تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)(2)

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق تولي الإمام الحسن (عليه السلام) لمقاليد الأمور بعد أبيه، نواصل في هذا الدرس الكلام في أهم الخطوط العامة في حياته عليه السلام، فنتكلم في مرحلة ما قبل صلحه مع معاوية.

المحتوى العلمى

التخطيط للمرحله القادمه

كان الإمام الحسن (عليه السلام) يدرك جيّداً المخطّطات التي كان يضعها معاوية و المتربصون بالإسلام و بأهل البيت(عليه السلام) لإعادة الجاهلية من جديد و بمظهر إسلامي.

و كان معاوية يمتلك جيشاً مطيعاً، ذا قدرة على استمالة قلوب الانتهازيين والنفعيين من القاطنين في الكوفة، إضافة إلى وجود عدد من الموالين لمعاوية فيها؛ لذا جاء تخطيطه منسجماً مع الظروف والأحداث المستقبلية، حيث وضع لكلّ موقف موقفاً يقابله ينسجم مع الظروف و مع المصلحة الإسلامية الكبرى و مصلحة الجماعة الصالحة على وجه الخصوص.

فحينما بويع الإمام الحسن (عليه السلام) بالخلافة، قال *له قيس بن سعد الأنصاري*:

«ابسطْ يَدَكَ أُبايعكَ على كتاب الله و سنّة نبيّه و قتال الُمحلّين».

أجابه(عليه السلام): «على كتاب الله وسنّة رسوله، فإنّهما يأتيان على كلّ شرط». فبايعه الناس، و كان(عليه السلام) يشترط عليهم بقوله: «إنّكم مطيعون تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت».[١]

لقد جعل الأمر إليه في اتّخاذ الموقف المطلوب في السلم و الحرب و من أجل حثّ المبايعين على الطاعة له، قام بزيادة عطاء المقاتلين مائة مائة[٢]

دعوته معاويه للبيعه والطاعه

كتب الإمام الحسن(عليه السلام) لمعاوية كتاباً أرسله مع جندب بن عبدالله الأزدي جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان... إنّ الله تعالى بعث محمّداً(ص) رحمةً للعالمين... فلما توفّي(ص) تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعوا سلطان محمّد في الناس وحقّه... فأنعمت لهم العرب وسلّمت

---

١. الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٢.
٢. مقاتل الطالبيّين: ٥٥.

ذلك، ثمّ حاججنا قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها... واستولوا بالإجتماع على ظلمنا ومراغمتنا... فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين... فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، و لا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب...

إنّ علياً (عليه السلام) لمّا مضى لسبيله... ولاّني المسلمون الأمر بعده... فدع التمادي في الباطل وأدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب.

واتّق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين... فادخل في السلم والطاعة، و لا تنازع الأمر أهله، و من هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، و تجمع الكلمة و تصلح ذات البين.

و إن أنت أبيت إلاّ التمادي في غيّك نهدت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين».

فأجابه معاوية متمرداً عليه و قائلا له: «... فأنت أحقّ أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي و لك الأمر من بعدي ولك..» [٣]

لقد أصرّ معاوية على تمرّده على الإمام و الخليفة الشرعي، وبعث الجواسيس إلى الكوفة والبصرة لإشاعة الاضطراب والبلبلة بين الناس و إفساد الوضع داخل دولة الإمام(عليه السلام)، فألقى(عليه السلام) القبض عليهم و قتلهم، و كتب إلى معاوية: أما بعد فإنّك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، و أرصدت العيون كأنّك تحبّ اللقاء، و ما أوشك ذلك! فتوقّعه إن شاء الله. [٤]

حركه معاويه العسكريه باتجاه العراق.

تبادل الإمام الحسن(عليه السلام) الرسائل مع معاوية لإلقاء الحجّة عليه في حقن دماء المسلمين إلاّ أنّ معاوية تمادى في غيّه و تمرّده، وكان آخر كتاب من معاوية يتضمّن تهديده للإمام(عليه السلام) بقوله: «... فاحذر أن تكون منيّتك على يد رعاع الناس... وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه، وبايعتني، وفيت لك بما وعدت».

فأجابه الإمام(عليه السلام): «أمّا بعد، وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحقّ تعلم أنيّ من أهله، و عليّ إثم أن أقول فأكذب، و السلام».

---

٣. مقاتل الطالبيّين: ٥٥ إلى ٥٧.
٤. الإرشاد: ١٨٩.

فلمّا وصل كتاب الإمام(عليه السلام) قرأه، ثمّ كتب إلى عمّاله على النواحي يأمرهم بالتهيّؤ لقتال الإمام(عليه السلام)، فاجتمعت العساكر لديه، و سار قاصداً العراق[٥]، فلما انتهى إلى جسر (منبج) ـ وهو بلد قديم يبعد عن حلب مسافة يومين ـ أقام فيه، بعد أن اجتمع لديه ستون ألفاً وقيل أكثر.

حركه الإمام الحسن(عليه السلام) لردّ العدوان

واستنهض الإمام الحسن(عليه السلام) الناس للجهاد، فبعث *حِجْر بن عدي* يأمر العمّال والناس بالتهيّؤ للمسير، وقام(عليه السلام) بالناس خطيباً:

«أمّا بعد: فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كُرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إنّ الله مع الصابرين، فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون.

إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا المسير إليه؛ فتحرّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة»[٦]

فسكتوا ولم يجيبوه، فقام *عدي بن حاتم* الطائي وبعده *قيس بن سعد بن عبادة* و *معقل بن قيس الرياحي* و *زياد بن صعصعة التيمي* يؤنّبون الناس ويلومونهم على السكوت ويحرّضونهم على الجهاد.

فتهيّأ الناس للخروج معه، فتحرّك(عليه السلام) حتّى نزل *دير عبد الرحمن*، ثمّ دعا *عبيدالله بن العبّاس* وبعثه مع اثني عشر ألفاً من فرسان أهل الكوفة، وأمره أن لا يقاتل معاوية حتّى يقاتله.

فسار عبيد الله حتّى أتى مسكن، وتحرّك الإمام الحسن(عليه السلام) حتّى دخل دير كعب، ثمّ نزل ساباط، فلمّا أصبح خطب بالناس، وممّا جاء في خطابه:

«إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت حاملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا و إنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه محبّته ورضاه إن شاء الله».

ثم نزل، فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: >نظنّه يريد أن يصالح معاوية، كفر والله الرجل! ثمّ شدّوا على فسطاطه فانتهبوه، وقام إليه رجل من بني أسد فطعنه بمعول، فحمل(عليه السلام) إلى المدائن.
[٧]

---

٥. مقاتل الطالبيّين: ٥٩، ٦٠.
٦. أعيان الشيعة ٤: ١٩.
٧. شرح نهج البلاغة ١٦: ٤١، ٤٢.

مؤامرات معاويه

نزل معاوية قرب مسكن وبعث خيله للإغارة على جيش عبيدالله بن العباس، فرجعت مقهورة، فلمّا كان الليل، أرسل معاوية إليه أنّ الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ، فان دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلاّ دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن اُعطيك ألف ألف درهم، فانطلت الخديعة على عبيد الله، فانسلّ ليلاً ودخل عسكر معاوية ومعه ثمانية آلاف[٨]، فاستلم القيادة من بعده قيس بن سعد بن عبادة، فحثّ الناس على الجهاد، فأجابوه بالطاعة.

وكثّف معاوية مؤامراته الإعلامية، ونادى قائد جيشه: يا أهل العراق! ويحكم! هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلامَ تقتلون أنفسكم؟

و كتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلاّ بيني و بينك الرمح[٩]

و استمر معاوية في دسائسه، فقد دسّ إلى أربعة من كبار الشخصيات دسيساً أفرد كلّ واحد منهم قائلاً: «إنّك إنْ قتلت الحسن بن عليّ؛ فلك مائتا ألف درهم، و جند من أجناد الشام، وبنت من بناتي»، فبلغ الإمام(عليه السلام) ذلك، فكان يخرج لابساً درعه[١٠]

توالى الخيانات فى جيش الإمام(عليه السلام)

بعث الإمام(عليه السلام) قائداً من كندة في أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار أغراه معاوية بمال و منصب، فالتحق به مع مئتي رجل من خواصّه، ثمّ التحق بمعاوية قائد من مراد في أربعة آلاف[١١]

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له، وضمنوا له تسليم الإمام الحسن(عليه السلام) إليه عند دنّوهم من عسكره، أو الفتك به.[١٢]

و أخبر الإمام(عليه السلام) المحيطين به: «أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي».[١٣]

و كان جيشه(عليه السلام) متعدّد الولاءات، فبعضهم شيعة له، وبعضهم خوارج، و بعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم[١٤] وبعضهم له ولاء الأمويّين، وله اتصالات سريّة معهم، فلا غرابة من توالي الخيانات، وعدم الثبات مع الإمام(عليه السلام) حتّى النهاية.

---

٨. تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٤.
٩. شرح نهج البلاغة ٦: ٤٣.
١٠. علل الشرائع: ٢٢١.
١١. الإرشاد: ١٩١.
١٢. الإرشاد: ١٩٠.
١٣. أنساب الأشراف ٣: ٣٩.
١٤. الإرشاد: ١٨٩.

توالي الإشاعات والحرب النفسيه

كان معاوية يدسّ الجواسيس في جيش الإمام(عليه السلام) لخلق البلبلة والاضطراب في صفوفه، فقد دسّ من يتحدّث ـ في عسكر الإمام ـ بأنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار إليه، ودسّ إلى عسكر قيس من يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه.

ووجّه معاوية إلى الإمام الحسن(عليه السلام) المغيرة بن شعبة وآخرين فالتقوا به، وحينما خرجوا، أخذوا يتحدّثون لإسماع الجيش ويقولون: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب عسكره بسبب ما سمعوه، وافترق بعضهم عنه[١٥] وأشاع معاوية أن قيس ابن سعد قد قتل[١٦].

وتوالت الإشاعات ممّا أدّت إلى خلخلة جيش الإمام(عليه السلام) وإضعاف معنوياته، وتشجيع أهل الأهواء والمنافع للالتحاق بمعاوية أو الفرار من معسكرات الجيش، فبدأت القبائل تلتحق به قبيلةً بعد قبيلة حتّى خفَّ عسكره.[١٧]

مراسله معاويه للإمام(عليه السلام) و دعوته لتسليم الأمر إليه

بعد استمرار الفرار من جيش الإمام(عليه السلام) والالتحاق بمعاوية، وبعد تعرّض الإمام(عليه السلام) لعدّة محاولات استهدفت قتله[١٨]، وبعد أن يئس الإمام(عليه السلام) من حسم المعركة لصالحه، وأيقن أنّ بقاء الأوضاع على هذه الحالة يؤدّي إلى قتله وقتل أهل بيته وأصحابه المخلصين، جاءته وفود معاوية تدعوه للصلح، ومعهم كتب رؤساء العشائر الذين ضمنوا لمعاوية فيها قتل الإمام أو تسليمه إليه.[١٩]

وكان مع آخر الوفود صحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها، بخطّ معاوية وختمه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك[٢٠]

ولما راسله معاوية، خطب في البقية المتبقية من جيشه، وأخبرهم بدعوة معاوية للصلح، ثمّ قال: فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظُبى السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا، فناداه الناس من كلّ جانب: البقيّة البقيّة[٢١].

فوجد(عليه السلام) أنّ جيشه غير مستعدّ للقتال لانهياره العسكري والمعنوي، وأنّه لا يقوى على

---

١٥. تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٥.
١٦. الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٣.
١٧. الفتوح ٤: ٢٩١.
١٨. الإرشاد: ١٩٠، حياة الإمام الحسن للقرشي ٢: ١٠٦.
١٩. الإرشاد: ١٩١.
٢٠. تاريخ الطبري ٥: ١٦٢.
٢١. الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٦.

مواجهة جيش معاوية المتماسك في صفوفه، والمستسلم لمعاوية استسلاماً مطلقاً، فأجاب(عليه السلام) إلى الصلح، وكان الصلح أفضل موقف في تلك الظروف، ولا خيار له غيره، فتمّ الصلح.

الخلاصه

١ـ حينما بويع الإمام الحسن (عليه السلام) بالخلافة، كان يشترط على المبايعين بقوله: «إنّكم مطيعون تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت».

٢ـ مع أن معاوية كان قد قاتل الإمام علي (عليه السلام) وتآمر على قتله، إلا أن الإمام الحسن (عليه السلام) واصل دعوته له للبيعة والطاعة قبل القتال.

٣ـ لم يوافق الناس رأي الإمام عندما استنهضهم لقتال معاوية.

٤ـ لم ير الإمام (عليه السلام) بدا من القبول بالصلح بعد ما رآه من تخاذل قومه وخيانتهم له إلا ثلثة قليلة.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 12

تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)(3)

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق تولي الإمام الحسن (عليه السلام) لمقاليد الأمور بعد أبيه، نواصل في هذا الدرس الكلام في أهم الخطوط العامة في حياته عليه السلام، فنتكلم في أسباب وعوامل صلحه مع معاوية بشيء من التفصيل.

المحتوى العلمى

هنالك أسباب وعوامل عديدة اجتمعت وتضافرت لتجعل الإمام الحسن(عليه السلام)مضطرّاً لقبول الخيار الصعب من بين الخيارات المطروحة، والتي منها: الاستمرار في القتال ثمّ التضحية بالنفس في حال عدم إحراز النصر العسكري.

أسباب عدم اختيار موقف التضحيه

إنّ موقف الإمام الحسن(عليه السلام) لابدّ و أن يكون منسجماً مع الأهداف المرحلية والبعيدة المدى لمنهج أهل البيت(عليه السلام) ولحركة الإسلام العامة، لِتستتبعه نتائج إيجابية للمنهج والوجود الإسلامي معاً، فاتخاذ الموقف بجميع ألوانه في سِلْم أو تضحية مقيّد بقيود المصلحة الاسلامية العليا، و تبعٌ لها، و من هنا اختار الإمام الحسن(عليه السلام) موقف التوقف عن القتال المؤدّي إلى التضحية للأسباب التالية:

أوّلاً: إنّ معاوية أحكم خطته وأظهر نفسه بمظهر المسالم المحبّ للصلح، وحقن الدماء، وإعادة الأُلفة بين المسلمين، وأراد أن يُلصق بالإمام الحسن(عليه السلام)رغبته في القتال وإراقة الدماء، وقد استطاع أن يُدخل في عقول المسلمين هذه المغالطات، فلو لم يستجب الإمام الحسن(عليه السلام) للصلح لكان مخطّط معاوية سيجد له قبولاً ورواجاً، وسيلقي المسلمون باللآئمة على الإمام(عليه السلام) وينسبون إليه حبّه للقتال وإراقة الدماء.

ثانياً: إنّ الظروف التي كانت تحيط بالإمام الحسن(عليه السلام) لم تكن في صالحه، فإنّ استمرار القتال سيؤدي إلى قتله من قِبَل عملاء معاوية المندسّين في جيشه، وسيتنصّل معاوية من جريمة قتله. أو قد يؤدّي القتال إلى تسليم الإمام(عليه السلام)إلى معاوية من قبل رؤساء بعض العشائر أو قادة الجيش، وفي جميع التقادير سيكون معاوية هو الغالب، كما ورد ذلك في قول الإمام(عليه السلام):

يزعمون أنّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثِقْلي وأخذوا مالي. والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني، فيضيع أهل بيتي وأهلي. والله لو قاتلت معاوية؛ لأخذوا

بعنقي حتّى يدفعوني إليه سِلماً، فوالله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره، أو يمنَّ عليَّ فتكون سُبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر.[١]

ثالثاً: إنّ تضحية الإمام الحسن(عليه السلام) ستكون بلا صدى؛ وذلك لقدرة معاوية على احتواء آثارها وتشويه أهدافها، وما دام كثير من المسلمين لا يعي طبيعة الصراع، ويسمع الإشاعات المستمرّة بأنّ الإمام الحسن(عليه السلام) كان يقاتل من أجل السلطة، أو بدوافع قبلية موروثة في الصراع بين بني هاشم وبني أميّة.

رابعاً: إنّ التضحية ستؤدّي إلى القضاء على الإمامين الحسن والحسين(عليه السلام) وبقيّة بني هاشم، والصفوة الخيّرة الصالحة من أتباع أهل البيت(عليه السلام)، وبالتالي ستخلو الساحة لمعاوية وأنصاره دون معارضين ودون غيورين ومصلحين، وخلوّ الساحة يشجّع معاوية وأتباعه على قلب المفاهيم الإسلامية، وتغيير القيم، وإعادة الجاهلية بلباس إسلامي من جديد.

وتكفي هذه الأسباب ولئلاّ يستمر الإمام(عليه السلام) في القتال المؤدّي إلى القضاء على رموز المنهج الإسلامي، وإلى تسلّط معاوية على رقاب المسلمين دون قيد أو شرط، ودون رادع أو معارض، فلم يبق له خيار إلاّ الصلح الذي اضطر إليه تحت ضغط الظروف والأوضاع التي عرفناها بالتفصيل.

و تتلخّص الأسباب التى فرضت الصلح على الإمام(عليه السلام) فيما يلى:

أوّلاً: عدم رغبة جيشه في القتال.

ثانياً: التواطؤ مع معاوية من قبل الكثير من القادة والجنود.

ثالثاً: الخيانات الفعلية المتكرّرة، والمتمثّلة بالالتحاق بمعاوية، أو الفرار من المعسكرات.

رابعاً: شيرع البلبلة والاضطراب في صفوف القادة والجنود.

خامساً: عدم الإخلاص للقيادة الشرعية.

و قد عبّر الإمام(عليه السلام) عن الأسباب التي أجبرته على القبول بالصلح في كثير من أقواله، كما ركّز(عليه السلام) على قلّة الأنصار الذين ينهض بهم للقتال، فقال(عليه السلام):

«والله ما سلّمت الأمر إليه إلاّ أنّي لم أجد أنصاراً و لو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي و نهاري».[٢]

و قال(عليه السلام) في موقف آخر:

«و قد خذلتني الأمّة وبايعتك يا ابن حرب، ولو وجدت عليك أعواناً يخلصون ما بايعتك».[٣]

---

١. بحار الأنوار ٤٤: ٢٠.
٢. بحار الأنوار ٤٤: ١٤٧.

شروط الإمام(عليه السلام) و وعود معاويه

إنّ الصلح الذي قرّر الإمام(عليه السلام) قبوله قد أحاطه بشروط تجعل الإمام(عليه السلام) في موقع القوّة دائماً ومعاوية في موقع الضعف على المدى القريب والمدى البعيد معاً سواء كان معاوية يفي بالشروط أم لا يفي بها، فإنّ عدم الوفاء بها يتضمن للإمام(عليه السلام)ولخطّ أهل البيت(عليه السلام) نصراً على المدى البعيد لا محالة.

وقد وعد معاويه الإمام الحسن(عليه السلام) بوعود عديده(4) نذكر منها مايلى:

١ ـ لك الأمر من بعدي.

٢ ـ لك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت.

٣ ـ لك خراج أيّ كور العراق شئت، معونة لك على نفقتك، يجبيها أمينك و يحملها إليك في كلّ سنة.

٤ ـ لك ألاّ نستولي عليك بالإساءة.

٥ ـ لا نقضي دونك الأُمور.

٦ ـ لا نعصيك في أمر أردت به طاعة الله.

و في رواية كتب إليه: إنّـي صالحتك على أنّ لك الأمر من بعدي ولك عهد الله وميثاقه وذمّته... لا أبغيك غائلة و لا مكروهاً و على أن أعطيك في كلّ سنة ألف ألف درهم من بيت المال، و على أنّ لك خراج (منسا) و(دار أبجرد) تبعث إليها عمّالك، وتصنع بهما ما بدا لك[٥].

و أهمّ ما في الوعود هو جعل الخلافة للإمام(عليه السلام) من بعده.[٦]

و أمّا شروط الإمام الحسن(عليه السلام) فيمكن تحديدها بما يلى. (7)

١ ـ أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنّة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسيرة الخلفاء الصالحين.

٢ ـ ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً.

٣ ـ الناس آمنون حيث كانوا في العراق والشام والحجاز وتهامة.

٤ ـ أمان شيعة وأصحاب علي(عليه السلام) على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

٥ ـ أن لا يبغي للحسن ولا لأحد من أهل بيته غائلة سرّاً وعلانيةً، ولا يُخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق.

---

٣. بحار الأنوار ١٠: ١٤٣.
٤. شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٦.
٥. أنساب الأشراف ٣: ٤١.
٦. الإصابة ٢: ١٣، الإستيعاب ١: ٣٧٣.
٧. الفتوح ٤: ٢٩٣، أنساب الأشراف ٣: ٤٢.

٦ ـ أن تكون الخلافة للإمام الحسن(عليه السلام) من بعده. [٨]

٧ ـ أن لا يسمّيه أمير المؤمنين.

٨ ـ أن لا يقيم عنده شهادة.

٩ ـ أن يضمن نفقة أولاد الشهداء من أصحاب الإمام عليّ(عليه السلام).

١٠ ـ ترك سبّ الإمام عليّ(عليه السلام) والعدول عن القنوت عليه في الصلاة.

١١ ـ أن لا يتعرّض لشيعته بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

الدور الإيجابي للوعود والشروط

إنّ الوعود والشروط الممضاة من قبل الطرفين، تفرض منطقياً على كلّ من يفاضل بين الحرب والصلح، أن يختار الصلح مع تلك الظروف والموازنة العسكرية غير المتكافئة، وإلاّ فإنّ معاوية سيتسلم السلطة إمّا بانتصاره العسكري أو بقتل الإمام(عليه السلام) من قبل عملائه المندسين في جيش الإمام(عليه السلام) و ستؤول السلطة إليه دون شروط أو قيود تقيّده أمام المسلمين.

بينما أخذ الإمام(عليه السلام) عهوداً ومواثيق مقرونة بأيْمان مغلّظة من قبل معاوية على أن يفي بها.

فإن وفى بما تعهّد به، فإنّ الأمر سيعود إلى الإمام من بعده، وستكون لأتباع الإمام(عليه السلام) مطلق الحريّة في أداء دورهم الإصلاحي والتغييري.

وإنّ شرط عدم تسميته بأمير المؤمنين يسلب عنه شرعية الخلافة وإمرة المؤمنين، ويبقى مجرّد حاكم أو ملك في أنظار المسلمين.

وإذا لم يف معاوية بالشروط فإنّ الأمّة ستنكشف لها حقيقة معاوية والحكم الأموي، وأنّه مجرّد طالب سلطة منذ أوّل شعار أعلنه حين مطالبته بدم عثمان، وبالتالي فإنّ الأمّة ستشخص قادتها الحقيقيين وهم أهل البيت(عليه السلام) وستعود إلى موالاتهم في الحاضر أو في المستقبل.

الإمام الحسن(عليه السلام) والمبادره الى الصلح

ذكر جماعة من المؤرّخين أنّ الإمام الحسن(عليه السلام) علم أنّه لن تغلب إحدى الفئتين حتّى يقتل أكثر الأُخرى، ورأى تفرّق الأمر عنه فبادر إلى الصلح مع معاوية، ففرح معاوية بذلك وأجابه طبقاً للشروط التي وضعها الحسن(عليه السلام). [٩]

وهذا الرأي له وجاهة وقبول، فالإمام الحسن(عليه السلام) وإن تفرّق عنه كثير من قادة جيشه، وحاول

---

٨. أسد الغابة ١: ٤٩١.
٩. بحار الأنوار ٤٤: ٢، ٤٨، ٦٥.

بعضهم اغتياله، إلاّ أنه كان يشكِّل خطراً حقيقياً على معاوية، وهذا ما عبّر عنه معاوية في قوله لعمرو بن العاص ـ في شأن قيس بن سعد ـ: على رَسْلِكَ، فإنّا لا نخلص إلى قتلهم حتّى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنّي والله لا أقاتله أبداً حتّى لا أجد من قتاله بدّاً.[١٠]

وعلى هذا فإنّ الإمام(عليه السلام) قد صالح من موقع القوّة، فإنّ معاوية كان يعلم أن الإمام(عليه السلام) إن استمر على القتال فانّه سيخسر كثيراً من قادته وجنوده، ولا يستطيع معاوية حسم المعركة إلاّ بتضحيات جسيمة يخرج منها منهوكاً لا يقوى على النهوض.

ويمكن أن نستشهد بشخصية معاوية أيضاً، وذلك أنّ معاوية كان متيقّناً من صعوبة حسم الموقف لصالحه إلاّ بتقديم خسائر جسيمة، إذ لو كان يرى سهولة القضاء على جيش الإمام(عليه السلام) لما كان يصالح الإمام(عليه السلام) ويقيّد نفسه بشروط وقيود صعبة، فشخصيته ترفض أن يكون لها ندّ يعارضها، أو ينافسها في مجالات الحياة المختلفة، وبالخصوص في مجال الحكم والرئاسة، وترفض أيضاً أن يمنح الحرية لمعارضيه.

فمن المنطقيّ أن يكون الإمام الحسن(عليه السلام) هو الذي قد بادر إلى الصلح، وعلى ضوئه يكون الإمام(عليه السلام) قد فوّت الفرصة على معاوية لأن يظهر بمظهر المصلح والمحبّ لحقن الدماء، ويكون له قَصب السَبْق في ذلك.

وممّا يؤيّد ذلك أنّ الإمام(عليه السلام) كان قد اشترط على المبايعين له بعد استشهاد أبيه(عليه السلام) أن يستسلموا لأوامره إن حارب أو سالم.

وعلى كلا الرأيين فإن الإمام(عليه السلام) قد اتخذ الصلح من أجل حقن الدماء والتفرّغ للعمل الإصلاحي والتغييري بعده، وبناء القاعدة الشعبية التي أنهكتها حروب ثلاث في أقلّ من أربع سنين.

الخلاصه

١ـ هنالك أسباب وعوامل عديدة اجتمعت وتضافرت لتجعل الإمام الحسن(عليه السلام)مضطراً لقبول الخيار الصعب من بين الخيارات المطروحة، والتي منها: الاستمرار في القتال ثمّ التضحية بالنفس في حال عدم إحراز النصر العسكري.

٢ـ من جملة أسباب عدم اختيار موقف التضحية من قبل الإمام الحسن (عليه السلام):

أوّلاً: إنّ معاوية أحكم خطته وأظهر نفسه بمظهر المسالم المحبّ للصلح.

ثانياً: إنّ الظروف التي كانت تحيط بالإمام الحسن(عليه السلام) لم تكن في صالحه.

١٠. تاريخ الطبري ٥: ١٥٩، أُسد الغابة ١: ٤٩١، تاريخ الخميس ٢: ٢٩٠، البداية والنهاية ٨: ١٧، المنتظم ٥: ١٨٣.

ثالثاً: إنّ تضحية الإمام الحسن(عليه السلام) ستكون بلا صدى.

رابعاً: إنّ التضحية ستؤدّي إلى القضاء على الإمامين الحسن والحسين(عليهما السلام)وبقيّة بني هاشم، والصفوة الخيّرة الصالحة من أتباع أهل البيت(عليهم السلام).

٣ـ وتتلخّص الأسباب التي فرضت الصلح على الإمام(عليه السلام) فيما يلي:

أوّلاً: عدم رغبة جيشه في القتال.

ثانياً: التواطؤ مع معاوية من قبل الكثير من القادة والجنود.

ثالثاً: الخيانات الفعلية المتكرّرة، والمتمثّلة بالالتحاق بمعاوية، أو الفرار من المعسكرات.

رابعاً: شيوع البلبلة والاضطراب في صفوف القادة والجنود.

خامساً: عدم الإخلاص للقيادة الشرعية.

٤ـ إنّ الصلح الذي قرّر الإمام(عليه السلام) قبوله قد أحاطه بشروط تجعل الإمام(عليه السلام) في موقع القوّة دائماً ومعاوية في موقع الضعف على المدى القريب والمدى البعيد معاً سواء كان معاوية يفي بالشروط أم لا يفي بها.

٥ـ من المنطقيّ أن يكون الإمام الحسن(عليه السلام) هو الذي قد بادر إلى الصلح، وعلى ضوئه يكون الإمام(عليه السلام) قد فوّت الفرصة على معاوية لأن يظهر بمظهر المصلح والمحبّ لحقن الدماء، ويكون له قَصب السَبْق في ذلك.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 13

تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)(4)

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق تولي الإمام الحسن (عليه السلام) لمقاليد الأمور بعد أبيه، نواصل في هذا الدرس الكلام في أهم الخطوط العامة في حياته عليه السلام، فنتكلم في نتائج الصلح مع معاوية وبعض آثاره.

المحتوى العلمي

انكشاف حقيقه معاويه والحكم الأموي.

في أجواء الكيد و الدسّ، و التربّص بقادة الأُمّة الحقيقيين، و في خضّم تزيّين الضلال، و تزّييف الحقائق، و إشاعة اللبس والغبش في الرؤية من قبل معاوية لإبقاء المسلمين بعيداً عن الوعي وإدراك الحقائق؛ كان للصلح دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية و نواياه الخفيّة، فبعد أن استلم معاوية زمام الأمور استسلم لزهو الإنتصار، و لم يتمالك نفسه حتّى كشف عن سريرته و مكنونات أهوائه، و لم يلتفت إلى الآثار المترتّبة على هذا الكشف، فأعلن لأهل العراق عن أهدافه الحقيقية و هي تتلخّص في الوصول إلى قمّة السلطة، كما جاء ذلك في خطابه حين قال:

«إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، و إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم». [١]

و هذا التصريح قد كشف عن الوجه الحقيقي لمعاوية كشفاً لا يمكن بعد ذلك التستّر عليه بتزوير الأحاديث، وتحريف الوقائع، ولا تقوى المبرّرات الموضوعة للتستّر عليه والتّي كان منها عدالة جميع الصحابة، وغيرها من الفضائل التي أدلى بها الوضّاعون من وعّاظ السلاطين.

وانكشفت حقيقة معاوية أمام الأمويّين وخصوصاً *أمام عائلة عثمان*، إذ قد رفع معاوية شعار الطلب بدم عثمان وتمرّد على الإمامة الشرعية المنصوبة من قبل رسول الله(صلى الله عليه و آله) وبالبيعة من قبل أهل الحلّ والعقد ـ كما هو الرأي السائد آنذاك ـ ثمّ تمرّد على خلافة الإمام الحسن(عليه السلام) بعد أن بايعه عامّة المهاجرين والأنصار، تخلّى عن شعاراته حين تمّ الصلح، وترك متابعة قتلة عثمان، وحينما دخل دار عثمان قالت عائشة بنت عثمان: واأبتاه، وبكت، فأجابها معاوية: ياابنة أخي إنّ الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أماناً... وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كلّ إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا؟ ولأن تكوني بنت عمّ أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من

---

١. مقاتل الطالبيّين: ٧٠.

عرض المسلمين. [٢]

انكشاف انحراف معاويه وعدم وفائه بالشروط.

لقد كشف معاوية عن نواياه في عدم الوفاء بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه و قال: «ألا أنّ كلّ شيء أعطيته للحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به». [٣]

و كان لهذا التصريح دور واضح في تقييم الأشخاص والأحداث والمواقف من قبل عموم المسلمين، حيث استطاعوا تشخيص القيادة الحقيقية عن القيادة المزيّفة و انكشفت لهم طبيعة الصراع القائم، فهو ليس صراعاً بين قبيلتين أو شخصين، و إنّما هو صراع بين منهجين: منهج الاستقامة الذي يمثّله أهل البيت(عليهم السلام)و منهج الانحراف و الجاهلية الذي يمثّله الأمويّون.

و كان هذا التصريح فرصة للجماعة الصالحة لتبيان الحقائق و إقناع الأُمّة بمخطّطات معاوية التخريبيّة النابعة من أهوائه.

خصائص معاويه الإرهابيه

كان معاوية يتظاهر بالعفو والحِلم والسماحة، ويتظاهر بحبّ السلام والأمان، وكراهة إراقة الدماء، فقد رفع المصاحف في صفّين ودعا إلى الصلح مبرّراً ذلك بحقن الدماء وهكذا فعل قبل الصلح، إلاّ أنّه سرعان ما كشف القناع عن زيفه، فبعد أن تمّ تسليم السلطة إليه بأيّام قلائل؛ نادى ـ وهو في المدائن ـ بأعلى صوته: «ألا إنّ ذمّة الله بريئة ممّن لم يخرج فيبايع... ألا وإنّا قد أجّلنا ثلاثاً، فمن لم يبايع فلا ذمّة له ولا أمان له عندنا».

فقد خالف معاوية أساسيات المنهج الإسلامي المتفق عليه بين عموم المسلمين وهو عدم الإكراه على البيعة، وقد قامت سيرة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) على ذلك، فلم يكرهوا أحداً على البيعة لأنّها اختيارية.

بينما أعلن معاوية عن طبيعته الإرهابية في ملاحقة ومطاردة وقتل الرافضين لبيعته.

معارضه حريه الجماعه الصالحه

لم يستطع معاوية في حياة الإمام الحسن(عليه السلام) أن يقيّد حرية الجماعة الصالحة، خوفاً من إعلان المواجهة المسلّحة ضدّ حكمه، فكان لها دور في التحرّك في أوساط الأُمّة، وكان كثير من أعضائها البارزين يعترضون على معاوية، ويكشفون عن الحقائق دون أن يعمل معاوية شيئاً.

---

٢. عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٦٧.
٣. مقاتل الطالبيين: ٦٩.

فقد صرّح عبدالله بن عبّاس بتباطئ معاوية عن نصر عثمان[٤] وحمّله قسطاً من المسؤولية عن قتله دون أن يجيب على شيء.

وهدّده جارية بن قدّامة قائلا: (فإن وفيت لنا وفينا، وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً وأذرعاً شداداً وأسنّةً حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر، زلفنا إليك بباع من ختر.... [٥]

وكان الأنصار لا يلتقون به إن قدم المدينة، وحينما سأل أبا قتادة عن ذلك، قال: «لم يكن لنا دوابّ، وحينما قال له: أين النواضح؟ أجابه: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر». [٦]

رقابه الإمام الحسن(عليه السلام) لتصرّفات معاويه.

تمتّع الإمام الحسن(عليه السلام) بحريّة كاملة في الاعتراض على معاوية وكشف انحرافه عن المنهج الإسلامي.

فقد قام خطيباً(عليه السلام) ـ ومعاوية جالس ـ فقال: «أيّها الناس إنّ معاوية زعم: أنّي رأيته للخلافة أهلاً، و لم أرَ نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية؛ أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله...». [٧]

وهكذا بيّن الإمام(عليه السلام) إحدى الحقائق الأساسية و هي عدم أهلية معاوية للخلافة وكذّب مدعياته، وأكّد إمامة أهل البيت(عليه السلام) ونفى الشرعية عن حكم معاوية فلم يخاطبه إلاّ باسمه.

و في خطاب آخر وضع(عليه السلام) منهجاً لتشخيص الخليفة الحقّ و بيّن انحراف معاوية عن المنهج السياسي الإسلامي، فخاطب معاوية أمام جمهور من المسلمين بقوله:

ويلك يا معاوية إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله(صلى الله عليه و آله) وعمل بطاعة الله، ولعمري إنّا لأعلام الهدى ومنار التقى، ولكنّك يا معاوية ممّن أبار السنن وأحيا البدع، و اتّخذ عباد الله خولاً و دين الله لعباً، فكان قد أخمل ما أنت فيه، فعشت يسيراً و بقيت عليك تبعاته. [٨]

و في داخل البلاط في عاصمة الأمويّين أراد معاوية وبعض رجال الحكم انتقاصه، فلمّا أكملوا كلامهم، تكلّم الإمام (عليه السلام) متحدّياً الحكم الأموي في عقر داره و قال: «أمّا بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني، فحشاً أَلِفته و سوء رأي عُرفتَ به وخُلقاً سيّئاً شبتَ عليه و بغياً علينا؛ عداوةً منك لمحمّد و أهله... وأنّك يا معاوية و أباك من المؤلّفة قلوبهم، تُسرّون الكفر و تظهرون الإسلام و تُستمالون

---

٤. أنساب الأشراف ٣: ٤٧.
٥. شرح نهج البلاغة ١٦: ١٥٥.
٦. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٥٩.
٧. تاريخ الخلفاء: ١٦٠.
٨. الإحتجاج ٢: ٨.

بالأموال».

ثمّ بيّن(عليه السلام) فضائل أبيه(عليه السلام)، ومساوئ أعدائه، فابتدأ بمعاوية وأبيه ثمّ ابن العاص، والوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة ثمّ خرج.

فقال معاوية: «والله ما قام حتّى أظلم عليَّ البيت، قوموا عنّي، فلقد فضحكم والله وأخزاكم». [٩]

حريّه التحرّك والعمل الرسالي.

لم يستطع معاوية تحجيم التحرّك والعمل الرسالي للإمام الحسن(عليه السلام)و أنصاره، بل كان يزجر من يريد أن يتدخّل لتقييد هذه الحركة في حياة الإمام الحسن(عليه السلام)، فقد كتب زياد بن أبيه إليه: إنّ ابن عباس يفسد الناس عليّ، فإن أذنت لي أن أتوعّده فعلت.

فكتب معاوية: «إنّ أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد، وذلك حلف لا يحلّه سوء رأيك»[١٠]

ومن خلال هذين الكتابين نرى أن للمقرّبين من الإمام الحسن(عليه السلام) مطلق الحرية في التحرّك والعمل الرسالي، حيث إنّ إفساد الناس الذي ورد في كتاب زياد، يعني تبيان فضائل أهل البيت(عليه السلام) والدعوة إلى التمسّك بمنهجهم، وفضح ممارسات الحكم الأموي وانحرافه عن الأُسس الإسلامية الثابتة، والتحريض على مخالفة حكمهم، وكان موقف معاوية هو ردع زياد عن توعّد ابن عبّاس وتهديده.

وحينما لاحق زياد رجلاً من أصحاب الإمام الحسن(عليه السلام)، كتب الإمام الحسن(عليه السلام) إلى زياد كتاباً جاء فيه: «من الحسن بن عليّ إلى زياد، أمّا بعد... قد ذكر لي فلان أنّك تعرّضت له، فأحبّ ألاّ تعرض له إلاّ بخير و السّلام».

فغضب زياد وكتب له: «... وأيم الله، لأطلبنّه بين جلدك ولحمك».

فبعث الإمام(عليه السلام) بكتاب زياد إلى معاوية، فلمّا قرأه غضب وكتب له: «من معاوية ابن أبي سفيان إلى زياد. أمّا بعد، فإنّ لك رأيين: رأياً من أبي سفيان ورأياً من سميّة، فأمّا رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم، وأمّا رأيك من سميّة، فما يكون من مثلها، إنّ الحسن بن عليّ كتب إليّ بأنّك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له، فإنّي لم أجعل لك عليه سبيلاً... ».[١١]

وهدم زياد دار أحد الشيعة ـ وهو سعيد بن سرح ـ، فكتب الإمام(عليه السلام) إليه كتاباً فلم يستجب له،

---

٩. تحف العقول: ١٦٤.
١٠. شرح نهج البلاغة ٦: ٢٨٨ إلى ٢٩٤.
١١. العقد الفريد ٥: ٢٧٣.

فأخبر معاوية بالأمر، فكتب معاوية إلى زياد: «... كتابك إلى الحسن تشتم أباه، وتعرض له بالفسق، ولعمري إنّك الأولى بالفسق من أبيه... فإذا ورد عليك كتابي، فخلّ ما في يديك لسعيد بن سرح، وابن له داره، واردد عليه ماله، ولا تعرُض له، فقد كتبت إلى الحسن أن يخيّره، إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلده، ولا سلطان لك عليه، لا بيد ولا لسان».

وكتب في أسفل الكتاب شعراً، من جملته:

أما حسنٌ فابن الذي كان قبله *** إذا سار سار الموت حيث يسير

و هل يلد الرئبال إلاّ نظيره *** و ذا حسنٌ شبهٌ له ونظير. [١٢]

و في إمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة كان لأصحاب الإمام الحسن(عليه السلام)مطلق الحريّة في التحرّك والعمل الرسالي، فلم يتعرّض لأحد منهم بسجن أو قتل أو ملاحقة، وكان يقال له: «إنّ فلاناً يرى رأي الشيعة، وفلاناً يرى رأي الخوارج»، فيقول: «قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده». [١٣]

توسّع القاعده الشعبيه لأهل البيت(عليهم السلام).

استثمر الإمام(عليه السلام) الفرصة المتاحة له في توسيع القاعدة الشعبية لأهل البيت(عليه السلام)بنشر الأفكار والمفاهيم السليمة، ونشر فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام)ونشر الأحاديث التي توجّه الأنظار إلى إمامة أهل البيت(عليه السلام) ودورهم القيادي في الأمّة، ونشر مطلق أحاديث رسول الله(صلى الله عليه و آله) بعد أن منع الخلفاء الثلاثة نشرها في العهود السابقة، واستطاع(عليه السلام) أن ينشر الوعي في صفوف المسلمين حتّى أصبحوا يميّزون بين منهجين: منهج الإستقامة على خطّ الرسالة بقيادة أهل البيت(عليه السلام)، ومنهج الأمويّين المنحرف وهكذا وضع الامام الحسن (عليه السلام) اللبنات الأُولى لتعرية الحكم الأموي وبيان حقيقته الجاهلية لكي تأتي اللبنة الأُخرى في مراحل الحركة الرسالية ولتكون الأُمّة في حالة تعبئة نفسية وروحية للتفاعل مع ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) فيما بعد، فقد تفاعل صلح الحسن (عليه السلام) مع ثورة الحسين (عليه السلام) ليؤدّيا بالنتيجة إلى تبنّي الجهاد المسلّح لإيقاف انحراف الحاكم أو إزالته، فكانت ثورة أهل المدينة وثورة التوّابين والمختار وغيرها من الثورات، التي كسرت الطوق المفروض على أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم فانطلقوا لأداء دورهم الرسالي في الأُمّة رغم التخطيط الجاهلي لهدم أُصول الإسلام وحصونه.

١٢. شرح نهج البلاغة ١٦: ١٨، ١٩، أنساب الأشراف ٣: ٥٣.
١٣. شرح نهج البلاغة ١٦: ١٩٤، ١٩٥.

غدر معاويه واغتيال الإمام الحسن (عليه السلام).

أيقن معاوية أنّ بقاء الإمام (عليه السلام) حيّاً يشكِّل تهديداً واضحاً لنظامه القائم على أساس الخداع والتضليل وتزوير الحقائق وشراء الضمائر، وإشاعة الإرهاب، وقد منعته الهيبة من الإمام (عليه السلام) من ممارسة كثير من الانحرافات المخالفة للكتاب والسنّة والمنهج الإسلامي الثابت، وبقيت تراوده الهواجس من وقوف الإمام (عليه السلام) بوجه مؤامراته والتي كان منها ترشيح يزيد للخلافة، فنفّذ أوّل غدر له، حين نسّق مع زوجة الإمام (عليه السلام) ـ جعدة *بنت الأشعث* ـ لدسّ السمّ إليه.

وبالفعل نفّذت جعدة المؤامرة وسمّت الإمام، فاستشهد الإمام مسموماً، وحينما وصل الخبر إلى معاوية كبّر في جمع من أهل الشام، وقال: والله ما كبّرت شماتة بموته، ولكن استراج قلبي[١٤]وصَفَتْ لي الخلافة.[١٥]

ثمّ استمر معاوية بنقضه للعهود بعد استشهاده (عليه السلام) حتّى قيل إنّ: أوّل ذُلّ دخل على العرب موت الحسن بن عليّ.[١٦]

وكان معاوية يخطّط لبيعة يزيد إلاّ أنه لم يكشف عنها إلاّ بعد استشهاد الإمام[١٧]، و لمّا استشهد الإمام (عليه السلام) لعن معاوية أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر و كتب إلى عمّاله أن يلعنوه ففعلوا.[١٨]

و ازداد البلاء بعد استشهاده، فلم يبق أحد من أتباعه إلاّ و هو خائف على دمه، أو طريد في الأرض[١٩]، حيث أصدر معاوية أوامره ببراءة الذمّة ممّن يذكر أهل البيت(عليه السلام) بخير، وملاحقة أتباعهم بقطع أرزاقهم وهدم منازلهم[٢٠]، و أصدر أوامره بقتل من اتّهم بحبّ عليّ(عليه السلام) و إن لم تقم عليه بيّنة[٢١]، فقتل حجر بن عدي وعمرو ابن الحمق وخيرة صحابة رسول الله(صلى الله عليه و آله) و أمير المؤمنين(عليه السلام).

وصايا الإمام(عليه السلام).

دخل عليه الصحابي الجليل جنادة بن أبي أُميّة، و قال له: عظني يابن رسول الله، فأجابه ـ وهو في أشدّ الأحوال ـ وأوصاه قائلاً: استعد لسفرك... واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك... واعلم أنّ الدنيا في

١٤. وفيات الأعيان ٢: ٦٦.
١٥. ربيع الأبرار ٤: ٢٠٩.
١٦. مختصر تاريخ دمشق ٧: ٤٦، شرح نهج البلاغة ١٦: ١٠.
١٧. الإستيعاب ١: ٣٧٦.
١٨. العقد الفريد ٥: ١١٤.
١٩. شرح نهج البلاغة ١١: ٤٦.
٢٠. شرح نهج البلاغة ١١، ٤٤ وما بعدها.
٢١. بحار الأنوار ٤٤: ١٢٦.

حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب... واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً و اعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً.... [٢٢]

وأوصى أخاه الإمام الحسين(عليه السلام) بوصايا عديدة تتعلّق بالشؤون العامّة، وبشؤونه الخاصّة، وأن يدفن مع رسول الله(صلى الله عليه و آله) فإن رفض الحكّام ذلك دفن في البقيع، وأوصاه أن لا تراق محجمة دم من أجله.[٢٣]

وأوصى أخاه محمّد بن الحنفية قائلاً: (... كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى... علم الله أنّكم خير خلقه فاصطفى منكم محمّداً (صلى الله عليه و آله).... فأجابه محمّد بالطاعة والتسليم. [٢٤]

الخلاصه

١ـ كان للصلح الذي عقده الإمام الحسن مع معاوية دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية ونواياه الخفيّة، فبعد أن استلم معاوية زمام الأمور استسلم لزهو الإنتصار، ولم يتمالك نفسه حتّى كشف عن سريرته ومكنونات أهوائه. و الذي كان له دور واضح في تقييم الأشخاص والأحداث والمواقف من قبل عموم المسلمين، حيث استطاعوا تشخيص القيادة الحقيقية عن القيادة المزيّفة.

٢ـ أعلن معاوية عن طبيعته الإرهابية في ملاحقة ومطاردة وقتل الرافضين لبيعته ومعارضةحرية الجماعة الصالحة.

٣ـ تمتّع الإمام الحسن (عليه السلام) بحريّة كاملة في الاعتراض على معاوية وكشف انحرافه عن المنهج الإسلامي.

٤ـ لم يستطع معاوية تحجيم التحرّك والعمل الرسالي للإمام الحسن (عليه السلام) وأنصاره، بل كان يزجر من يريد أن يتدخّل لتقييد هذه الحركة في حياة الإمام الحسن (عليه السلام). الفرصة التي استثمرها الإمام (عليه السلام) في توسيع القاعدة الشعبية لأهل البيت (عليهم السلام) بنشر الأفكار والمفاهيم السليمة، ونشر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ونشر الأحاديث التي توجّه الأنظار إلى إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم القيادي في الأُمّة، ونشر مطلق أحاديث رسول الله (صلى الله عليه و آله).

٥ـ أيقن معاوية أنّ بقاء الإمام (عليه السلام) حيّاً يشكّل تهديداً واضحاً لنظامه، فنفّذ أوّل غدر له، حين نسّق مع زوجة الإمام (عليه السلام) ـ جعدة بنت الأشعث ـ لدسّ السمّ إليه.

---

٢٢. أعيان الشيعة ٤: ٨٥.
٢٣. أعيان الشيعة ٤: ٧٩.
٢٤. حياة الإمام الحسن ٢: ٤٨٧، ٤٨٩.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 14

تاريخ الإمام الحسين (عليه السلام)

المقدمه

بعد أن تناولنا في الدرس السابق تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)، نواصل في هذا الدرس الكلام في أهم الخطوط العامة في تاريخ الإمام الحسين (عليه السلام) بادئين بولادته عليه السلام.

المحتوى العلمى

فى ذكر ميلاده وكنيته وألقابه عليه السلام.

ولد الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالمدينة لخمس خلون من شعبان المكرم سنة أربع من الهجرة. [1]

و لما ولد الحسين (عليه السلام) أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) به فجاءه و أخذه و أذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، و استبشر به (صلى الله عليه و آله) وسماه حسينا وعق عنه (صلى الله عليه و آله) كبشا و قال لأمه: احلقي رأسه و تصدقي بوزنه فضة وافعلي به كما فعلت بأخيه الحسن (عليه السلام). [2]

و أما كنيته (عليه السلام) فقال الشيخ كمال الدين بن طلحة: كنيته أبو عبدالله لا غير

ألقابه(ع)
- الرشيد
- الطيب
- الوفي
- السيد
- الزكي
- المبارك
- السبط

أما ألقابه فكثيرة: الرشيد، والطيب، والوفي، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله تعالى، والسبط. فكل هذه كانت تقال له وتطلق عليه وأشهرها الزكي ولكن أعلاها رتبة ما لقبه بها رسول الله (صلى الله عليه و آله) في قوله فيه وفي أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة[3] .

---

١. أنظر الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٢٧ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، مصباح المتهجد: ٥٩٣ عن الإمام الصادق (عليه السلام) ولكن في: ٥٧٥ ذكر أنه (عليه السلام) ولد يوم الثالث من شعبان.
٢. كشف الغمة: ٢ / ٢١٦، دعائم الإسلام: ١ / ١٧٨، ٢ / ١٨٥، أسد الغابة: ٢ / ١١، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٨٨.
٣. انظر وفي البخاري في الأدب المفرد: باب معانقة الصبي ح ٣٦٤، وصحيح الترمذي: ١٣ / ١٩٥، وسنن ابن ماجة: كتاب المقدمة باب ١١ / ١٤٤، مسند أحمد: ٤ / ١٧٢، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٧٧، أسد الغابة: ٢ / ١٩، و: ٥ / ١٣٠.

الإمام الحسين (عليه السلام) و معاويه

لقد مهّد الإنحراف الذي خضع له المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه و آله) و الاستيلاء غير المشروع على منصب الخلافة إلى أن يستولي الطلقاء على كرسيّ الحكم الإسلامي واشتداد زاوية الانحراف حتّى تحوّلت الخلافة الإسلامية بالتدريج إلى ملك عضوض يتوارثه شرار الخلق مع الاستخفاف التام بالقيم الإسلامية واستبدالها بقيم جاهلية بائدة.

لقد عاصر الإمام الحسين (عليه السلام) ـ بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن(عليه السلام) ـ عشر سنوات من حكم معاوية الذي كشف واقع أهدافه بكلّ صراحة بعد إبرام وثيقة الصلح مع الإمام الحسن(عليه السلام) ولخّصها في حبّ السيطرة على الحكم كما مر معنا في الدروس السابقة.

وكان معاوية يتدرّج في تنفيذ المخطّط الأموي الذي أفصح عنه أبو سفيان حين تولىّ عثمان منصب الحكم إذ اعتبر خلافة النبيّ(صلى الله عليه و آله) كرة يتلاعب بها صبيان بني اُمية.

منهج معاويه لهدم الإسلام

لقد كانت الخطوات التي خطاها معاوية بعد إبرام الصلح مع الإمام الحسن(عليه السلام) تشكِّل مخطّطاً متكاملاً لهدم الإسلام و إعادة الجاهلية إلى المجتمع الإسلامي باسم الإسلام وخلافة الرسول(صلى الله عليه و آله) وإمرة المؤمنين. وتتلخّص هذه الخطوات فيما يلي:

١ ـ إشاعة الإرهاب والتصفية الجسدية وأسلوب التجويع لكلّ القوى المعارضة للحكم الأموي سيّما أتباع الإمام عليّ(عليه السلام) منهم، ومتابعتهم، وإخراس كلّ لسان حُرّ بكلّ وسائل التنكيل والاضطهاد.

فقد كتب معاوية إلى ولاته في جميع الأمصار: انظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه[٤].

وكتب كتاباً آخر جاء فيه: مَنْ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره[٥].

وقد صوّر الإمام محمد الباقر(عليه السلام) تلك المأساة الدامية بأقصر عبارة وأدقّها حين قال: فقُتِلتْ شيعتُنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان مَنْ يُذكَر بحبّنا والإنقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين(عليه السلام)[٦].

---

٤. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢: ٨٦.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.

٢ ـ إغداق الأموال من أجل شراء الضمائر والذمم إمعاناً في إذابة الشخصيّة الإسلامية وتمكيناً للسياسة المنحرفة من تحقيق أهدافها السوداء، وقد تمّ فعلاً شراء نوعين من الناس:

أ ـ بعض الوعّاظ والمحدّثين الذي كان لهم دور مفضوح في العمالة لمعاوية وافتراء الأحاديث الكاذبة ونسبتها إلى الرسول(صلى الله عليه و آله) للنيل من عليّ(عليه السلام) وأهل بيته قاطبة.

ب ـ شراء ضمائر الوجوه الإجتماعية التي يخشى من تحرّكها ضدّ الحكم الأموي، وهو أسلوب مارسه معاوية وغيره من ساسة الحكم حتّى صار إحدى متبنّيات السياسة الأموية في جميع مراحلها.

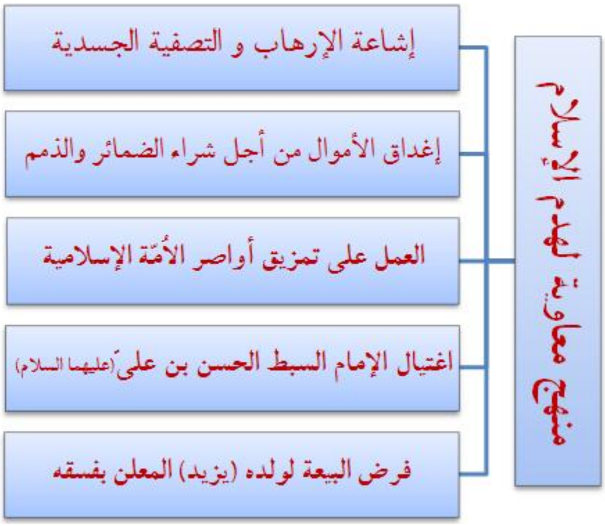
٣ ـ العمل على تمزيق أواصر الأُمّة الإسلامية بإثارة الروح القومية والقبلية والإقليمية بين قطّاعاتها المختلفة إمعاناً منه في إلهاء الأمّة في تناقضات جانبية على حساب تناقضها الأساسي مع الحكم الأموي الجائر، وذلك في ممارسة إثارة الضغائن بين القبائل العربية وإشغالها بالصراعات الجانبية فيما بينها، كالصراع الذي نشب بين قيس ومضر، وأهل اليمن والمدينة، وبين قبائل العراق فيما بينها، وإثارة العنصرية عند العرب ضدّ المسلمين من غيرالعرب الذي يُعرفون تاريخياً باسم الموالي، وبمقدور المرء أن يجد آثار تلك السياسة الجاهلية جليّاً في أشعار مسكين الدارمي والفرزدق وجرير والأخطل وسواهم[٧].

٤ ـ اغتيال الإمام السبط الحسن بن عليّ(عليه السلام) بالرغم من أنّه كان قد تعهّد بأن لا يبغي له ولا لأخيه الغوائل.

٥ ـ فرض البيعة لولده (يزيد) المعلن بفسقه وتحكيمه في رقاب المسلمين تحت ظلال الكبت والإضطهاد والإغراء والترغيب، خلافاً للوثيقة التي تقضي أن يكون الحسن(عليه السلام)خليفة للمسلمين بعد موت معاوية، فإن كان الحسن(عليه السلام) هو الآخر قد رحل إلى ربّه يومها فالحسين(عليه السلام) ولي الأمر من بعده؛ إنّ منح يزيد السلطة ليقود الأمّة الإسلامية، ويخطّط لمستقبلها، ويحدّد مسارها؛ معناه الإنهاء العملي للوجود الإسلامي على الإطلاق، وردّة واقعية عن مبادئ السماء، وعودة للجاهلية ولكن في ثوب جديد وبشكل صريح.

---

٧. ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين، طـ دارالأندلس (بيروت)، إحياء النزعة القبليّة واستغلالها، ص ٦١ ومابعدها.



فيزيد ـ كما تؤكّد المصادر التاريخية ـ كان يغلب عليه طابع الشذوذ في شتّى أفكاره وممارساته ومشاعره، الأمر الذي يحمل المنصف على القول بأنّ يزيداً لم يتوفّر له أي انفتاح واع على الرسالة الإسلامية وأهدافها العليا التي تحقّق أرقى صياغة للإنسان ـ كفرد وكعضو في المجتمع ـ صياغة لا تتّصل مطلقاً بمرتكزات الجاهلية من قريب أو بعيد.

وحين يعدم يزيد الجو التربوي الذي يوفّره الإسلام عادة لأبنائه؛ فإنّ الأمر لا يدعو إلى العجب بعد ذلك إذْ أطلعنا التاريخ الإسلامي على نشاطات مشبّعة بروح الإنحراف عن الإسلام ممّا كان ابن معاوية يمارسها على مسمع ومرأى من كثير من المسلمين في بلاد الشام، كاللّهو الماجن واللّعب الخليع وشرب الخمر ومنادمة الفتيات والغناء، بل كان يُلبس كلابه أساور الذّهب[٨].

قال البلاذري: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه ويكنّيه أبا قيس ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع، وكان يحمله على أتان وخشبة ويرسلها مع الخيل[٩].

وقال المسعودي: وكان يزيد صاحب طرب وجوارح[١٠] وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب،وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربة تروي مشاشي[١١] *** ثم مِل فاسقِ مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والأمانة عندي *** ولتسديد مغنمي وجهادي

٨. الإمام الحسين، عبدالله العلايلي، ط دار مكتبة التربية (بيروت)، ١٩٧٢م: ٣٤٥؛ أنساب الأشراف، البلاذرى: ٤ ١و٢.
٩. أنساب الأشراف، البلاذرى ٤: ١و٢.
١٠. الجوارح: السباع وطير الصيد، تاريخ الخلفاء، السيوطي: ١٩٦ ـ ١٩٧.
١١. مشاشي: عظامي.

ثم أمر المغنّين فغنّوا به.

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق،

و في أيّامه ظهر الغناء بمكّة و المدينة و استعملت الملاهي و أظهر الناس شرب الشراب[١٢].

و هكذا وقفت الأُمّة على عتبة تاريخ جديد من حياتها، و أصبحت أمام خيارين: ـ إمّا أن تتبنّى سياسة الرفض القاطع للواقع الذي فرض عليها مهما كان الثمن.

أو القبول بسياسة الأمر الواقع، حيث عليها أن تتنازل عن رسالتها وسرّ عظمتها وعنوان عزّتها في الحياة، فكيف كان الأمر[١٣]؟

الخلاصه

١ـ يتلخص منهج معاوية لهدم الإسلام في إشاعة الإرهاب والتصفية الجسدية لكلّ القوى المعارضة وإغداق الأموال لشراء الضمائر وسياسة التجويع وتمزيق أواصر الأُمّة بإثارة الروح القومية واغتيال الإمام الحسن(عليه السلام) وفرض البيعة ليزيد الفاسق ـ المعلن بالفسق ـ.

٢ـ وهكذا جرّ الأُمّة إلى وضع جديد وجعلها أمام أحد خيارين؛ هما رفض الحكم والحاكم المنحرف عملاً بالأُصول السياسية للشريعة الإسلامية، أو الخضوع للإنحراف الذي يمثّل عودة الجاهلية بكلّ ثقلها إلى الساحة السياسة من جديد.

١٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، طـ دارالأندلس (بيروت) ٣: ٦٧.
١٣. سيرة رسول الله وأهل بيته ٢: ٦٤ ـ ٧١ بتصرّف.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 15

منهج الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام)

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة لتاريخ الإمام الحسين مع معاوية أيام حياته، نواصل الكلام في هذا الدرس في تاريخه عليه السلام حيث نتكلم في منهجه بعد استشهاد الإمام الحسن(عليهما السلام).

المحتوى العلمى

لم يسكت الإمام الحسين(عليه السلام) بعد إبرام الصلح مع معاوية، بل كان يتحرّك وفق مسؤوليته تجاه شريعة ربّه و أُمّة جدّه (صلى الله عليه و آله) بصفته و ريث النبوّة ـ بعد أخيه الإمام الحسن(عليه السلام) ـ مراعياً ظروف الأُمّة ومراقباً لمدى تدهورها وساعياً للمحافظة على ثمرة جهود الرسول الكريم(صلى الله عليه و آله) وصحابته الأبرار.

لقد عمل الإمام(عليه السلام) في فترة حكم معاوية على تحصين الأُمّة ضدّ الانهيار التامّ و إعطائها من المقوّمات القدر الكافي، كي تتمكّن من البقاء صامدةً في مواجهة المحن التي تستولدها الجاهلية الأموية.

و يمكن أن نلخّص مجمل نشاطه في هذه الفترة فيما يلي:

1 ـ مواجهه معاويه و بيعه يزيد

أعلن الإمام الحسين(عليه السلام) رفضه القاطع لبيعة يزيد بعدما قرّر معاوية أن يسافر إلى يثرب ليتولّى بنفسه إقناع المعارضين، وبعد أن اجتمع بالإمام(عليه السلام) وعبدالله بن عباس أشاد بالنبيّ(صلى الله عليه و آله) وأثنى عليه، وعرض بيعة ابنه ومنحه الألقاب الفخمة ودعاهما إلى بيعته، فانبرى الإمام(عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال(عليه السلام):

«أمّا بعد يا معاوية! فلن يؤدّي المادح وإن أطنبَ في صفة الرسول(عليه السلام) وقد فهمتُ ما لبست به الخلف بعد رسول الله(صلى الله عليه و آله) من إيجاز الصفة، و التنكّب عن استبلاغ النّعت و هيهات هيهات يا معاوية!! ففضح الصبحُ فحمةَ الدّجى، و بهرت الشمس أنوار السرج و لقد فضّلت حتّى أفرطت، واستأثرت حتّى أجحفت،ومنعت حتّى بخلت و جُرت حتّى تجاوزت، ما بذلت لذي حقّ من إسم حقّه من نصيب، حتّى أخذ الشيطان حظّه الأوفر ونصيبه الأكمل.

و فهمتُ ما ذكرته عن يزيد من اكتماله و سياسته لأُمّة محمّد(صلى الله عليه و آله) تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصفُ محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من

نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش و الحمام السّبق لأترابهنّ و القيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجدْه ناصراً...»[١].

2 ـ محاوله جمع كلمه الأمّه والاستجابه لحركه الجماهير

و أخذت الوفود تترى على الإمام من جميع الأقطار الإسلامية وهي تعجّ بالشكوى وتستغيث به نتيجة الظلم والجور الذي حلّ بها، وتطلب منه القيام بإنقاذها من الإضطهاد، ونقلت العيون في يثرب إلى السلطة المحلّية تجمّع الناس واختلافهم على الإمام(عليه السلام)، وكان الوالي مروان بن الحكم، ففزع من ذلك وخاف إلى حدّ بعيد من عواقبه، فرفع مذكّرة إلى معاوية جاء فيها: أمّا بعد فقد كثر اختلاف الناس إلى الحسين، والله، إنّي لأرى لكم منه يوماً عصيباً[٢].

3 ـ فضح جرائم معاويه

كتب الإمام(عليه السلام) إلى معاوية مذكّرةً خطيرةً كانت جواباً لرسالته يحمّله فيها مسؤوليّات جميع ما وقع في البلاد من سفك الدماء وفقدان الأمن وتعريض الأُمّة للأزمات، وتعدّ من أروع الوثائق الرسمية التي حفلت بذكرالأحداث التي صدرت من معاوية، وهذا نصّها: «أمّا بعد، بلغني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي أمور أنت عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير، و إنّ الحسنات لا يهدي لها و لا يسدّد إليها إلاّ الله تعالى. أمّا ما ذكرت أنّه رقى إليك عنّي فإنّه إنّما رقاه إليك الملاّقون المشاّؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، و كذب الغاوون، ما أردت لك حرباً و لا عليك خلافاً، و إنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك، و من الإعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين حزب الظلمة.

ألستَ القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم،ويستعظمون البدع و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و لا يخافون في الله لومة لائم؟ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم الأيمان المغلّظة و المواثيق المؤكّدة، جرأةً على الله واستخفافاً بعهده.

أولست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله(صلى الله عليه و آله) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونهُ؟ فقتلته بعدما أمّنته وأعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال.

أولست بمدّعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنّه ابن أبيك؟ و قد قال رسول الله(صلى الله عليه و آله):«الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنّة رسول الله(صلى الله عليه و آله)

---

١. كتاب سليم بن قيس: ١٦٦، ط طهران.
٢. كتاب سليم بن قيس: ٢٢٣.

تعمّداً، وتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم و يسملُ أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك.

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنّه على دين عليّ كرّم الله وجهه، فكتبتَ إليه أن اقتل كلّ من كان على دين عليّ؟ فقتلهم و مثّل بهم بأمرك، ودينُ عليّ هو دين ابن عمّه(عليه السلام) الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه و لولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف[٣].

ولا توجد وثيقة سياسية في ذلك العهد عرضت لعبث السلطة و سجّلت الجرائم التي ارتكبها معاوية غير هذه الوثيقة، و هي صرخة في وجه الظلم والاستبداد.

4 ـ تذكير الأُمّة بمسؤوليتها.

عقد الإمام(عليه السلام) مؤتمراً سياسياً عامّاً دعا فيه جمهوراً غفيراً ممّن شهد موسم الحجّ من المهاجرين و الأنصار و التابعين و غيرهم من سائر المسلمين، فانبرى(عليه السلام)خطيباً فيهم، وتحدّث بما ألمّ بعترة النبيّ(صلى الله عليه و آله) وشيعتهم من المحن و الإحن و التي صبّها عليهم معاوية و ما اتّخذه من الإجراءات المشدّدة في إخفاء فضائلهم و ستر ما أُثر عن الرسول(صلى الله عليه و آله)في حقّهم، وألزم الحاضرين بإذاعة ذلك بين المسلمين، وفيما يلي ما رواه *سليم بن قيس* عن هذا المؤتمر ونصّ خطاب الإمام(عليه السلام) حيث قال: ولمّا كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن عليّ وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر، فجمع الحسين بني هاشم ونساءهم ومواليهم ومن حجّ من الأنصار ممّن يعرفهم الحسين وأهل بيته، ثم أرسل رسلاً وقال لهم: لاتدعوا أحداً حجّ العام من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه و آله) المعروفين بالصلاح والنسك إلاّ إجمعوهم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادق، وعامّتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ(صلى الله عليه و آله)، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فإنّ هذا الطاغية ـ يعني معاوية ـ قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، و إنّي أُريد أن أسألكم عن شيء فإنْ صدقت فصدّقوني و إن كذبتُ فكذّبوني،اسمعوا مقالتي و اكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم منْ آمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ و يذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

قال الراوي: فما ترك الحسين(عليه السلام) شيئاً ممّا أنزل الله فيهم إلاّ تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله(صلى الله عليه و آله) في أبيه وأخيه وأُمّه و في نفسه وأهل بيته إلاّ رواه، و في كلّ ذلك يقول

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٣٢٧، الطبعة الأُولى وناسخ التواريخ ١: ١٩٥.

أصحابه: اللّهمّ نعم قد سمعنا و شهدنا، وممّا ناشدهم(عليه السلام) أن قال: أُنشدكم الله، أتعلمون أنَّ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) كان أخا رسول الله حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللّهم نعم، قال: أُنشدكم هل تعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه ثمّ ابتنى فيه عشرة منازل تسعة له، وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثمّ سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه؟ فتكلّم في ذلك من تكلّم، فقال: ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحت بابه، و لكن الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره، و كان بجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله(صلى الله عليه و آله)، فولد لرسول الله(صلى الله عليه و آله) وله فيه أولاد، قالوا: اللهمّ نعم، قال: أفتعلمون أنّ عمر بن الخطاب حرص على كوّة قدر عينه يدعها في منزله إلى المسجد فأبى عليه، ثمّ خطب فقال: إنّ الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) قال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى(عليه السلام)، و أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلاّ به وبصاحبته وابنيه؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) دفع إليه اللواء يوم خيبر، ثمّ قال: لأدفعه إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كرّار غير فرّار، يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله)بعثه ببراءة وقال: لايبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) لم تنزلْ به شدّة قطّ إلاّ قدّمه لها ثقةً به وأنّه لم يدعه باسمه قطّ، إلاّ يقول يا أخي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال: يا عليّ أنت منّي وأنا منك و أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله(صلى الله عليه و آله) كلّ يوم خلوة، وكلّ ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) فضّله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة(عليها السلام): زوّجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) قال: أنا سيّد ولد آدم، وأخي عليّ سيّدالعرب،

وفاطمة(عليها السلام) سيّدة نساء أهل الجنّة، والحسن والحسين(عليهما السلام) إبناي سيّدا شباب أهل الجنّة؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) أمره بغسله، وأخبره أنّ جبرئيل يعينه عليه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) قال في آخر خطبة خطبها: إنّي تركتُ فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي فتمسّكوا بهما لن تضلّوا؟ قالوا: اللهمّ نعم.

فلم يدع(عليه السلام) شيئاً أنزله الله في عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) خاصّة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيّه إلاّ ناشدهم فيه فيقول الصحابة: اللهمّ نعم قد سمعناه، ويقول التّابع: اللهمّ قد حدّثنيه من أثق به فلان وفلان، ثمّ ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب، ليس يحبّني ويبغض عليّاً، فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: لأنّه منّي وأنا منه، من أحبّه فقد أحبّني ومَن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، فقالوا: اللهمّ نعم، قد سمعناه،وتفرّقوا على ذلك[٤].

و كان هذا المؤتمر يتضمّن الإعداد لوضع مستقبلي كان قد خطّط له الإمام الحسين(عليه السلام).



الخلاصه

١ـ كان للإمام الحسين(عليه السلام) بعد استشهاد أخيه الحسن السبط(عليه السلام) نشاط سياسي واضح تجاه معاوية، فهو لم ينقض بنود الصلح التي أمضاها أخوه الحسن(عليه السلام) مع معاوية كما

٤. حياة الإمام الحسين(ع) ٢: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

نقضها معاوية ولكنّه بدأ يتحرّك باتجاه إعداد وتجنيد الطاقات المستعدة للمعارضة وابتدأ بمواجهة معاوية بكلّ جرأة وصراحة لأخذه البيعة اللاّ مشروعة ليزيد كوليّ للعهد بعده.

٢ـ حاول الإمام الحسين(عليه السلام) أن يجمع كلمة الأُمّة ويوحّدها باتجاه واحد. وكان مراقباً لكلّ تصرفات معاوية وفاضحاً لجرائمه باستمرار، ولم يزل يستفيد من كلّ الفرص الممكنة للاستعداد للمرحلة المقبلة من المواجهة.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 16

هجره الامام الحسين (عليه السلام) إلى مكّه المكرّمه

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة لتاريخ الإمام الحسين، حيث تكلمنا في منهجه بعد استشهاد الإمام الحسن (عليهما السلام).
و نواصل في هذا الدرس الكلام في حياته عليه السلام، حيث نتناول بالبحث هجرته عليه السلام الى مكة المكرمة والخطوات التي اتخذها هناك لتهيئة الظروف المناسبة لثورته المباركة.

المحتوى العلمى

لمّا استشهد الإمام الحسن(عليه السلام) تحرّكت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين(عليه السلام) في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة فإذا مات معاوية نظر في ذلك.
فلمّا مات معاوية منتصف رجب سنة ستين من الهجرة وتخلّف بعده ولده يزيد، كتب يزيد إلى ابن عمه الوليد بن عتبة والي المدينة مع مولى لمعاوية يقال له ابن أبي زريق يأمره بأخذ البيعة على أهلها وخاصّة على الحسين(عليه السلام) و لا يرخص له في التأخر عن ذلك ويقول: إنْ أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكان معاوية قبل وفاته قد حذّر يزيد من أربعة: الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر ولا سيّما من الحسين وابن الزبير.

أمّا ابن الزبير فهرب إلى مكّة و أرسل الوليد خلفه واحداً وثمانين راكباً فلم يدركوه وكان ابن عمر بمكّة.
و أمّا الحسين(عليه السلام) فأحضر الوليدُ مروانَ بنَ الحكم و استشاره في أمره، فقال: إنّه لا يقبل، و لو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً.
ثم بعث إلى الحسين(عليه السلام) في الليل فاستدعاه فعرف الحسين(عليه السلام) الذي أراد فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه و كانوا ثلاثين رجلاً وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت و لست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه و هو غير مأمون فكونوا معي فإذا دخلت فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي.
فصار الحسين(عليه السلام) إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى الوليد معاوية فاسترجع الحسين(عليه السلام)، ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه لزيد، فلم يرد الحسين(عليه السلام) أن يصاحره بالامتناع من البيعة وأراد التخلّص منه بوجه سلمي، فورّى عن مراده وقال(عليه السلام):
«إني أراك لا تقنع ببيعتي سرّاً حتّى أُبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس»،
فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين(عليه السلام)
«تصبح وترى رأيك في ذلك»،
فقال له الوليد انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة الناس.
فقال له مروان والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه.
فلما سمع الحسين(عليه السلام) هذه المجابهة القاسية من مروان الوزغ ابن الوزغ صارحهما حينئذ بالامتناع من البيعة و أنّه لا يمكن أن يبايع ليزيد أبداً، فوثب الحسين(عليه السلام) عند ذلك و قال(عليه السلام) لمروان: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي؟! كذبت واللهِ ولؤمت».

ثمّ أقبل على الوليد فقال(عليه السلام): «أيّها الأمير! إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»، ثمّ خرج يتهادى بين مواليه.

دخول الإمام الحسين(عليه السلام) مكّه المكرّمه.

خرج الامام الحسين(عليه السلام) ليلة الأحد ليومين بقين من رجب متوجهاً إلى مكّة وهو يقرأ قوله تعالى (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ)
و كان دخوله(عليه السلام) إلى مكّة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، ودخلها وهو يقرأ: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ).
فأقام بمكّة باقي شعبان وشهر رمضان و شوّالاً و ذا القعدة و ثماني ليال من ذي الحجّة.

و أقبل أهل مكّة ومن كان بها من المعتمرين و أهل الآفاق يختلفون إليه وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلّي عندها عامّة النهار و يطوف و يأتي الحسين(عليه السلام)فيمن يأتيه اليومين المتواليين وبين كلّ يوم مرّة ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لأنّه قد علم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين(عليه السلام)باقياً في البلد وأنّ الحسين(عليه السلام) أطوع في الناس منه وأجلّ.

دعوه أهل الكوفه والإعلان عن الاستعداد للبيعه

و لمّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين(عليه السلام) من البيعة ارجفوا بيزيد و عُقد اجتماع في منزل *سليمان بن صرد الخزاعي*، فلمّا تكاملوا قام سليمان فيهم خطيباً و قال في آخر خطبته: إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد هلك وصار إلى ربّه وقدم على عمله وقد قعد في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحسين بن عليّ قد خالفه وصار إلى مكّة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلاتغرّوا الرجل من نفسه. قالوا: بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه.
فأرسلوا وفداً من قبلهم وعليهم *أبو عبدالله الجدلي* و كتبوا إليه معهم
(بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن عليّ من سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة و رفاعة بن شدّاد البجلي وحبيب بن مظاهر وعبدالله بن وال وشيعته من المؤمنين و المسلمين، سلام عليك أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل الجبّار العنيد الغشوم الظلوم الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضاً منها ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها فبعداً له كما بعدت ثمود وإنّه ليس علينا إمام غيرك فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنّك أقبلت أخرجناه حتّى يلحق بالشام إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله ياابن رسول الله وعلى أبيك من قبلك ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم).
ثمّ لبثوا يومين وأنفذوا *قيس بن مسهر الصيداوي* و*عبد الرحمن بن عبدالله* بن شدّاد الأرحبي و*عمارة بن عبدالله السلولي* إلى الحسين(عليه السلام) ومعهم نحو مائة وخمسين صفحة من الرجل والإثنين والأربعة وهو مع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب وتواترت الكتب حتّى اجتمع عنده إثنا عشر ألف كتاب ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي

وكانا آخر الرسل وكتبوا إليه: [بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين أمّا بعد فحيّهلا فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل ثمّ العجل العجل والسلام].

رسول الحسين(عليه السلام) إلى الكوفه.

ثم كتب الإمام الحسين(عليه السلام) مع هاني بن هاني وسعيد بن عبدالله: (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أمّا بعد فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والهدى وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأتُ في كتبكم فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذلك لله والسلام).

و دعا الحسين(عليه السلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل، وقيل إنّه كتب معه جواب كتبهم فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي ورجلين آخرين وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك، فأقبل مسلم(رحمه الله) حتّى أتى المدينة واستأجر دليلين من قيس فأقبلا به يتنكبان الطريق وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير فاوماً له إلى سنن الطريق ومات الدليلان عطشاً.
ثمّ أقبل حتّى دخل الكوفة فنزل دار المختار، وأقبلت الناس تختلف إليه فكلّما اجتمع إليه جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين(عليه السلام) وهم يبكون، وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحسين(عليه السلام): أمّا بعد فإنّ الرائد لا يكذب أهله وإنّ جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا والسلام.

و جعل الناس يختلفون إليه حتّى عُلم بمكانه فبلغ النعمان بن بشير ذلك «وكان والياً على الكوفة» فصعد المنبر وخطب الناس وحذّرهم الفتنة، فقام إليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أُميّة

فقال له: إنّه لا يصلح ما ترى إلاّ الغشم إنّ هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين، فقال له النعمان: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبُّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل.

موقف يزيد من أخبار الكوفه

كتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول: إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوّك فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف.
و كتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بنحو ذلك فدعا يزيد سرجون الرومي مولى معاوية (وكان سرجون مستولياً على معاوية في حياته وهو من النصارى) و استشاره في من يولّي على الكوفة وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد وهو يومئذ وال على البصرة وكان معاوية قد كتب لابن زياد عهداً بولاية الكوفة ومات قبل إنفاذه، فقال سرجون ليزيد: لو نشر لك معاوية، ما كنت آخذاً برأيه؟ قال: بلى. قال: هذا عهده لعبيد الله على الكوفة.
فضمّ يزيد البصرة والكوفة إلى عبيدالله وكتب إليه بعهده وسيّره مع مسلم بن عمرو الباهلي و كتب إلى عبيدالله معه: أمّا بعد فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام.
فخرج مسلم ابن عمرو حتّى قدم على عبيدالله بالبصرة فأمر عبيدالله بالجهاز من وقته والتهيّؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

ابن زياد يتدارك الوضع فى الكوفه

عمل ابن زياد فى الكوفه:

- تجهيز جيش جرا المحاربة الامام الحسين و توجهه نحو كربلاء
- خطب بالناس و وعو للمطيع اليه بالاحسان و توعد لمن
- عصاه بالعقوبة
- خوف الناس بقدوم اهل الشام
- القبض على مسلم بن عقيل و أمر بقطع راسه و رميه من فوق القصر

و أقبل ابن زياد إلي الكوفة، وعندما دخلها خطب الناس، و توعّد العاصي منهم بالعقوبة، و الإحسان للمطيع منهم، وخوفهم بخبر الشام القادم، فأثر ذلك في الناس و بدأ الناس بالتخاذل ونكث بيعتهم للإمام الحسين(عليه السلام)، و بالأخص عندما استعان ابن زياد بما كان عنده من الأشراف الذين خاطبوا الجماهير المتجمعة حول القصر بقيادة مسلم بن عقيل، فكانوا يمنوا أهل الطاعة ليزيد الزيادة والكرامة، ويخوّفوا أهل المعصية بالحرمان والعقوبة، وبالفعل أخذ الناس يتفرقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب، فتصرف الناس عن ابن عقيل حتى أمسى ولم يكن معه أحد يدله على الطريق، و حينها صار هدفاً لابن زياد وشرطته حتى قبضوا عليه وأخذوه إلى ابن زياد فأمر بقطع رأسه و إلقاء جثّته من أعلى القصر إلى الناس وبهذا أحكم ابن زياد سيطرته على الكوفة، ثمّ أخذ يجند الناس لحرب الإمام الحسين(عليه السلام) حتى اجتمع من الجيش ثلاثون ألفاً بين فارس وراجل،فسار بهم بقيادة عمربن سعد إلى كربلاء حيث محطّ رحال الإمام الحسين(عليه السلام)وبعد مفاوضات بين الإمام الحسين وعمر بن سعد لم تسفر عن نتيجة، و بعد خطب ألقاها الإمام الحسين(عليه السلام) على المجتمعين على قتاله و تذكيرهم بمراسلاتهم وبيعتهم له، وخطب بعض أصحاب الإمام الحسين(عليه السلام) التي كلّها لم تسفر عن نتيجة إيجابية في صالح الإمام الحسين(عليه السلام) بدأت الحرب بين طرفين غير متكافئين بالعدد والعدّة، وانتهت باستشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه، وقام ابن سعد بقطع الرؤوس ورفعها على الرماح، وسبي النساء والأطفال، والسير بهم بطريقة وحشية لا يفعلونها مع أسرى الكفار إلى الكوفة حيث مقرّ ابن زياد، ثمّ السير بهم إلى الشام، حيث يزيد بن معاوية، وبعد معاناة شديدة أطلق سراحهم ليذهبوا إلى المدينة المنوّرة وبهذا تنتهي المرحلة الأُولى من الجهاد ضد الظلم والطغيان، ليواصله الإمام زين العابدين علي بن الحسين(عليهما السلام) مع عقيلة الهاشميين زينب أخت الإمام الحسين(عليه السلام).

الخلاصه

١ـ أمر يزيدُ واليَ المدينة بأن يأخذ البيعة له من الحسين (عليه السلام)، وامتنع الحسين معلناً بأنّ مثله لا يبايع مثل يزيد. و هنا قرّر الهجرة من المدينة و اتجه إلى مكّة، فدخلها في الرابع من شعبان سنة ٦٠ هجرية.
٢ـ ثقل على ابن الزبير تواجد الحسين(عليه السلام) في مكّة. و بدأت دعوات الكوفيين تترى عليه و تطلب منه التوجّه إلى العراق ليقاتلوا معه الحزب الأموي الحاكم.
٣ـ وجّه الحسين(عليه السلام) رسوله مسلم بن عقيل ليستخبر الوضع له. وتدارك يزيد وضع الكوفة بإرسال عبيد الله بن زياد إليها.
٣ـ تراجع الكوفيون وسجن هانئ والمختار ويحاصر مسلم بن عقيل بعد تفرّق أصحابه ثمّ استشهد هو وهانئ وجرّا في سكك الكوفة لإرعاب أهلها والحيلولة دون أيّ تحرّك آخر بعدها.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 17

الثوره الحسينيّه(1)

العوامل والأهداف

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق تاريخ الإمام الحسين (ع) إلى حين هجرته الى مكة وتوضيحه للحقائق المخزية المختفة التي أخفاها الخليفة الظالم وبعثه لابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة لتهيئة الأمور للثورة. ونواصل في هذا الدرس تاريخه (عليه السلام) فنتناول ثورته المباركة فنتكلم في العوامل والأهداف.

المحتوى العلمى

بعد استشهاد الإمام الحسن(عليه السلام) واغتياله من قبل معاوية ونقض معاوية لبنود الصلح تحرّكت الشيعة وطالبت الإمام الحسين(عليه السلام) بالتحرّك والثورة ضد معاوية،حيث إنّ الحسين(عليه السلام)كان يملك الدليل المقبول لثورته.ولكنّه لم يستجب لطلباتهم وآثر السكون ما دام معاوية حيّاً.
والسرّ ـ كما يبدو ـ كان يكمن في أمرين على الأقل:
الأوّل: إنّ الوفاء بالعهد خُلق إسلامي *رفيع يمثّله الإمام المعصوم أحسن تمثيل*، ولا يسوّغ الإمام لنفسه أن يهبط إلى مستوى معاوية في نقضه للعهد، بالرغم من أنّ نقض العهد من قِبل معاوية مسوّغ شرعي وأخلاقي للخروج من تعهّده، ولكنّ معاوية كان بإمكانه أن يستغلّ هذا النقض كورقة رابحة يستعملها ضدّ الإمام الحسين(عليه السلام) ويضلّل به الرأي العام.
الثاني: إن السبب الذي من *أجله عقد الإمام الحسن*(عليه السلام) الصلح مع معاوية ما دام مستمراً ونافذ المفعول، فالإمام الحسين(عليه السلام) لا يتحرّك ولا يثور، إلاّ إذا تهيّأت الظروف الموضوعية التي تضمن لثورته تحقيق أهدافها.
وكان السبب في إبرام الصلح مع معاوية أنَّ الأمة الاسلامية ـ ولا سيّما القطّاع الواسع من الموالين لأهل البيت(عليهم السلام) ـ كانت قد سيطرت عليه حالة الشكّ في رساليّة خطّ أهل البيت(عليهم السلام) حينما لاحظوا مرارة الصراع بين معاوية والإمام عليّ(عليه السلام)، وطلحة والزبير وعائشة مع عليّ(عليه السلام) والخوارج مع عليّ(عليه السلام) وأنزلوا عليّاً(عليه السلام)إلى مستوى معاوية الذي كان يرمي للوصول إلى الحكم بكلّ سبب، ولم يكن لهذا التصدّي منه والحرص على استلام السلطة أيّ مسوّغ رسالي، وقد سرى هذا الشكّ في مدى رسالية حروب الإمام(عليه السلام)إلى جمع من الموالين لأهل البيت(عليهم السلام) حتّى أنّهم استبعدوا أن يكون مثل عائشة أو طلحة أو الزبير على باطل، فكيف يقاتلهم الإمام عليّ(عليه السلام) وكلّهم صحابة رسول الله(عليه السلام)؟
وحينما يستفحل هذا الشكّ و يتحوّل إلى حالة مرضيّة ـ كما حدث ذلك في عصر الإمام الحسن(عليه السلام) ـ لم يكن بالإمكان علاجها حتّى بالتضحية، بل لابدّ من الصبر والتأنّي ليتّضح لعامّة المسلمين مدى دَجَل معاوية و مدى تظاهره بالإسلام و التزام أهل البيت(عليهم السلام)بمبادئهم الرسالية.
وقد فضح معاوية نفسه و كشف عن واقعه بعد نقضه لكلّ بنودالصلح مع الإمام الحسن(عليه السلام)وكان لابدّ للشاكّين في سلامة خطّ أهل البيت(عليهم السلام) من الاكتواء بلظى النار التي سعّرها لهم معاوية و أخذ يؤجّجها بكلّ ضراوة. و كان ترشيح يزيد و فرض البيعة له بالخلافة هو آخر الخطّ لمعاوية وقد مهّد لذلك باغتيال الإمام الحسن(عليه السلام) ليخلو له الجوّ، و قد ذكر له التاريخ أكثر من محاولة ومراوغة لتحقيق مأربه هذا وتحكيم الجاهلية بثوب جديد في ربوع الدولة الإسلامية.

الدوافع الحقيقيه للثوره الحسينيه

هناك أكثر من دافع وسبب قد ذكره المؤرِّخون لتعليل النهضة الحسينية و لكنّ هذه الأسباب متداخلة و مترتّبة فيما بينها حيث يكون بعضها سبباً أعمق أو كاشفاً عن سبب.
و هناك أسباب مقبولة لدى عامّة المسلمين و قاطعة للعذر بينما لا تكون أسباباً حقيقية و نهائية.
و الأسباب الحقيقية لابدّ أن نستلهمها من صاحب الثورة نفسه و لا يكفي أن نستند فيها إلى تحليلات الآخرين عنها.
و قد لاحظنا نصوص الإمام الحسين(ع) حين أعلن في أكثر من مشهد، ومنذ بداية تحرّكه وحتّى نهاية الشوط من حياته: أنه إنّما قام لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتمثّل في التصدّي للحاكم الجائر المستحلّ لحرمات الله و حيث لا يتحقّق هذا المستوى من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلاّ بالتضحية والشهادة في سبيل الله، تعيّن هذا الأسلوب من الأمر بالمعروف، ولا

سيّما إذا كان تركه يؤدّي إلى محق الشريعة وضياع الرسالة التي لا شيء أغلى منها في ميزان الله تعالى.

وللوصول إلى الجواب التفصيلي ـ الذي كان يحتّم على الإمام الحسين(عليه السلام) اختيار طريق التضحية والشهادة بالنحو الذي اختاره، فضلاً عن تنبّؤات الرسول(عليه السلام) و إخباراته التي كانت تفصح عن الأسباب الكامنة في واقع الأمّة ومدى تردّيها وهبوطها ـ لابدّ أن نقف علي أبعاد المشكلة الحقيقية التي كانت تعانيها الأمّة الإسلامية في عصر الإمام الحسن(عليه السلام). لتتّضح لنا مدى سلامة هذا الطريق أنّه هو الطريق الوحيد الذي كان يستطيع الإمام(عليه السلام)أن يختاره من أجل معالجة هذه المشكلة.

لقد عرفنا أنّ الإمام الحسن(عليه السلام) قد عالج بصلحه مشكلة التشكيك في مدى رسالية خطّ أهل البيت(عليهم السلام)، و لكن بعد أن اكتوت الأمّة بنار المأساة التي أجّجها الحكم الأموي ـ وقد عرفنا أساليبه التي استخدمها لتمييع شخصيّة أبناء الأمّة و سلب إرادتها وإباحة كرامتها وتخديرها ـ حتّى أصبحت تدرك الخطر ولكنّها لا تقدر على مجابهته. و كلمة الفرزدق المعروفة للإمام الحسين(عليه السلام) : «*قلوبهم معك و سيوفهم عليك*» تعبّر عن تصوير دقيق وواقعي لهذه الحالة الاجتماعية المرضية التي انتابت المجتمع الإسلامي في عصر الحكم الأموي.

إنّ هناك أكثر من مشهد لتصوير مدى عمق مرض فقدان الإرادة في جسم الأمّة وعلى مختلف المستويات والقطّاعات الاجتماعية بدءً بأقرب الناس إلى أهل البيت(عليهم السلام)وانتهاءً بالبُعداء عنهم وعن ثقافتهم.

و لابدّ أن نستعرض بعض النماذج لرسم صورة عن هذا الواقع المؤلم الذي كان يلمسه الإمام الحسين(عليه السلام) بكلّ وضوح:

١ ـ لقد أجمعت كلمة عقلاء المسلمين على تخويفه ـ يوم صمّم الحسين(عليه السلام) أن يرفض بيعة يزيد ويثور عليه باعتباره معلناً بفسقه مستحلاً لحرمات الله ـ وكانوا يمنّونه السلامة ويقترحون عليه الحلول التي لا تنتهي به إلى الشهادة وكانوا لا يتصوّرون أنّ التضحية يمكن أن تكون بديلاً للحياة. و لم يتلق الإمام(عليه السلام) هذه النصائح من عوام النّاس بل من سادة المسلمين أمثال: محمّد بن الحنفية و عبدالله بن جعفر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر. لقد كانت تعبّر هذه النصائح عن نوع من الانهيار النفسي الذي شمل زعماء المسلمين فضلاً عن الجماهير التي كانت تعيش هذا الانهيار مضاعفاً في أخلاقها وسلوكها وأطماعها.

٢ ـ موقف عامّة زعماء البصرة الموالين لخطّ الإمام عليّ(**عليه السلام**) الذين كاتبهم الإمام الحسين(عليه السلام) واستنصرهم بعد أن أشعرهم بالخطر الذي تواجهه الأمّة الإسلامية.

لقد كان ردّ الفعل لعامّتهم هو عدم الاستجابة لنداء الإمام الحسين(عليه السلام) بل نرى أثر الانهيار التامّ كان بادياً على عبدالله بن مسعود النهشلي الذي سلّم الرسول و الرسالة إلى ابن زياد لا حُبّاً به بل حفاظاً على نفسه، و لئلاّ يكتشف ذلك ابن زياد فيجعله نقطة ضعف عليه، فلكي يوفّر كلّ ضمانات البقاء الذليل قام بهذا الردّ الخيانّي وتسبّب في قتل رسول الحسين(عليه السلام).

و أمّا الأحنف بن قيس الذي تربّى على يدي الإمام عليّ(عليه السلام) فقد أجاب الإمام(عليه السلام)بآية واحدة فقط يأمره فيها بالتصبّر والتريّث، ونلمس في هذا الجواب أنّ إقدام الحسين(عليه السلام)كان يُعدّ عند هؤلاء نوعاً من العجلة و قلّة الأناة و الخفّة و اللاتعقّل. و هذه هي أخلاقية الهزيمة النفسية التي تقع فيها الأمّة بالتدريج.

٣ ـ حينما لقي الإمام الحسين(**عليه السلام**) **عبيدالله بن الحرّ الجعفي استنصره،** وكان عبيدالله ممّن عرف الحسين(عليه السلام) وعرف خطّ الحسين(عليه السلام) فعزّ عليه أن يقدّم قطرة من دمه في سبيل الله لكنّه كان مستعداً لأن يقدّم فرسه لمولاه.

٤ ـ ذهب حبيب بن مظاهر الأسدي ليدعو عشيرته بني أسد لنصرة سيّده الحسين(**عليه السلام**)، وما كان من العشيرة إلاّ أن غادرت بأجمعها تلك الليلة المنطقة و خشيت أن تبقى حياديّة لا إلى الحسين(عليه السلام) ولا إلى عدوّ الحسين(عليه السلام) و هل هذه إلاّ الهزيمة النفسية التي مُنيت بها قطاعات الأمة بمختلف مستوياتها يومذاك؟

٥ ـ لقد استطاع عبيد الله بن زياد خلال اسبوعين أو ثلاثة بعد مقتل مسلم بن عقيل أن يجنّد الأُلوف من أبناء الكوفة ضدّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام) و هم كانوا قد حاربوا إلى جانب أبيه(عليه السلام) في صفّين و الجمل و النهروان.

و إذا كانت الهزيمة النفسية للأمّة هي الحالة المرضية العامّة التي قد تعرّضت لها الأمّة المسلمة في عصر الحسين(عليه السلام)،فالحسين(عليه السلام) حين يريد معالجة هذا المرض المستشري في جسمها لابدّ له أن يقدّم الموقف النظري والعملي معاً تجاه الوضع القائم و يضع النقاط على الحروف بنحو ينتهي إلى اجتثاث جذور هذا المرض الخبيث.

و من هنا كانت الثورة المسلّحة بالشكل المثير جداً والذي يستنهض النفوس الميّتة و يحييها من سباتها و يبدّل جُبنها إلى الشجاعة و وهنها إلى الإقدام هو الحلّ الوحيد للأزمة التي حلّت بالأمّة المسلمة بعد رسول الله(عليه السلام).
و تفصيل ذلك: أنّ الحسين(عليه السلام) كانت أمامه عدّة حلول ممكنة بعد أن طلب يزيد منه البيعة وهدّده بالقتل إن لم يبايع:
الموقف الأوّل: أن يبايع يزيد كما بايع جملة من الصحابة و أبناءهم.
الموقف الثاني: أن يرفض البيعة و يبقى في مكّة أو المدينة.
الموقف الثالث: أن يلجأ إلى بلد من بلاد العالم الإسلامي كما اقترح عليه أخوه محمّد ابن الحنفية.
الموقف الرابع: أن يتحرّك ويذهب إلى الكوفة مستجيباً للرسائل التي وردته من أهلها ثم يُستشهد بالطريقة التي وقعت.
و كان اختياره للموقف الرابع قائماً على أساس إدراكه لطبيعة الظرف الذي يعيشه، فإنّه كان عليه أن يقف موقفاً يعالج فيه عدّة أقسام من أفراد الأمّة الإسلامية:
القسم الأوّل: ـ و كان يشكّل جزءاً كبيراً من الأمّة ـ كان قد فقد خلال عهد معاوية بن أبي سفيان إرادته و قدرته على مواجهة الوضع القائم و هو يشعر الذل و الاستكانة و أنّ خسارة كبيرة تحيق بالأمّة الإسلامية و هي تبديل الخلافة إلى كسروية وهرقلية.
القسم الثاني: ـ من الأمّة ـ هان عليه الإسلام، فلم يعد يهتم بالرسالة بقدر اهتمامه بمصالحه الشخصية، وتضاءلت أمامه الرسالة وكبر أمامه وجوده و مصالحه واعتباراته.
والقسم الثالث: كان من المغفّلين الذين كان بالإمكان أن تنطلي عليهم حيلة بني أُميّة لو سكت صحابة الرسول عن تحويل الخلافة إلى قيصرية وكسروية.. فإنّ الخلافة و إن انحرفت عن خطّها المستقيم منذ توفّي الرسول(عليه السلام) لكن بقي مفهومها هو مفهوم الخلافة غاية الأمر اغتصبه أبو بكر و من ثمّ عمر وعثمان. بينما في عهد معاوية ابن أبي سفيان طرأ على نفس المفهوم تغيّر أساسي إذ لم تعد الخلافة حكماً للأمّة وإنّما حوّلها معاوية إلى حكم كسرى وقيصر، وهو تحويل خطير في المفهوم أراد معاوية أن يلبسه ثوب الشرعية و لو كان هذا التحويل يواجه بسكوت من قبل الصحابة لأمكن أن تنطلي حيلة معاوية على الكثير من السذّج و البسطاء إذ يرون في سكوت الصحابة إمضاءً له...
و القسم الرابع: ـ وهو ما يرتبط بتنازل الإمام(عليه السلام) عن المعركة مع معاوية و إعلانه الهدنة باعتباره هو الاسلوب الوحيد الذي كان يحتّمه على الإمام الحسن(عليه السلام) موقعه و مركزه كأمين على الإسلام والمسلمين ـ فإنّ هذا الواقع لم يكن مكشوفاً ـ بالدرجة الواضحة إلاّ داخل دائرة الجماهير التي كانت تعيش المأساة عن قرب كالعراق بشكل عامّ دون من كان يعيش في أطراف العالم الإسلامي كأقاصي خراسان حيث لم يعش المحنة يوماً بعد يوم و لم يكتو بالنار التي اكتوى بها الإمام الحسن(عليه السلام) في الكوفة من قواعده وأعدائه، و إنّما كانت تصله الأخبار عبر المسافات الشاسعة بين الكوفة وأطراف خراسان مثلاً.. فهو لم يميز أنّ هذا التنازل هل هو اعتراف بشرعية الأُطروحة الأموية أو هو تصرّف اقتضته الضرورة والظروف الموضوعية التي كان يعيشها الإمام الحسن(عليه السلام) ؟
فكان لابدّ للإمام الحسين(عليه السلام) أن يختار موقفاً يعالج فيه مشكلة كل واحد من هذه الأقسام الأربعة من الأمّة، و ليس هذا تقسيماً حدّياً بحيث لا يمكن أن ينطبق قسمان منهما على فرد واحد، بل يمكن أن يتصادق عنوانان منها على فرد أو أفراد من الأُمّة الإسلامية.
فكان لابدّ أن يختار الموقف الذي يرجع فيه للقسم الأوّل إرادته التي فقدها بالتميّع الأُموي، وإلى القسم الثاني إيمانه بالرسالة و شعوره بأهميّة الإسلام، و أن يسلب الدليل عن معاوية على تحويل الخلافة إلى كسروية وقيصرية، و ذلك عن طريق معارضة الصحابة ـ المتمثّلة فيه وفي البقيّة الباقية من الصحابة و التابعين ـ لعمليّة التحويل هذه.. وأن يختار الموقف الذي يشرح فيه ـ حتّى لمن كان بعيداً عن الأحداث ـ أنّ تنازل الإمام الحسن(عليه السلام) لم يكن إمضاءً لعملية التحويل.
وتقويم المواقف الأربعة من حيث قدرة كل منها على تحقيق الأهداف المُشار اليها كما يلي:
أمّا الموقف الأوّل: ـ و هو أن يبايع يزيد بن معاوية ـ فهو لا يحقّق مكسباً على مستوى معالجة تلك الأقسام من الأمّة... لأنّه لم تكن قصّة يزيد قصّة أبي بكر وعمر وعثمان، لأنّ التحويل هنا على مستوى المفهوم، و لم يكن بالإمكان أن تمضي دون أن يقف أهل البيت الذين هم القادة الحقيقيون للأمّة الموقف الديني الواضح المحدّد من عملية التغيير هذه.
و أمّا الموقف الثاني: فهو لا يحقّق ذلك المكسب الذي يريده الحسين(عليه السلام) أيضاً، وذلك لأنّ الإمام الحسين(عليه السلام) كان يؤكّد ـ و الظروف الموضوعية كانت تشهد على طبق تأكيده ـ أنّه لو بقي في المدينة أو في مكّة رافضاً للبيعة لقتل من قِبل بني أُميّة حتّى و لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.. و هذا القتل ليس كالقتل الذي استطاع أن يحرّك البقيّة الباقية من عواطف المسلمين تجاه رسالتهم ودينهم.. فإرجاع الناس إلى عقيدتهم باستغلال المتبقّي من عواطفهم و مشاعرهم لا يمكن خلال قتل عابر سهل من هذا القبيل، بل لابدّ من أن تحشد له كلّ المثيرات والمحرّكات.

و أمّا الموقف الثالث: فهو وإن كان أسلم من الأوّل و الثاني على الخطّ القصير لأنّه يمكنه أن يعتصم بشيعته في اليمن مثلاً إلى برهة معيّنة لكنّه سوف ينعزل و يحيط نفسه بإطار منغلق عن مسرح الأحداث بينما لابدّ أن يباشر عمله التغييري على مسرح الأحداث الذي كان وقتئذ هو الشام و العراق و مكّة والمدينة كي يمكن لهذا العمل أن يؤثّر تربوياً وروحياً وأخلاقياً في كلّ العالم الإسلامي.
و عليه كان لابدّ أن يختار الموقف الرابع الذي استطاع أن يهزّ به ضمير الأمّة من ناحية و يشعرها بأهمّية الإسلام و كرامة هذا الدين من ناحية ثانية. و أن يدحض عمليّة تحويل الخلافة إلى كسروية وقيصرية من ناحية ثالثة و أن يوضّح لكلّ المسلمين مفهوم التنازل عند الإمام الحسن(عليه السلام) و أنّه لم يكن موقفاً إمضائياً و إنّما كان أسلوباً تمهيدياً لموقف الإمام الحسين(عليه السلام).

الخلاصه

١ـ لم يتحرّك الإمام الحسين(عليه السلام) ـ بعد موت معاوية لأن الحسين(عليه السلام) لم يكن مستعداً لنقض بنود الصلح الموقّعة في زمن الإمام الحسن(عليه السلام) بحال من الأحوال، كما أنه كان ينتظر توفّر كلّ الشروط اللازمة للثورة التي لم تكن متوفّرة على استشهاد الإمام الحسن(عليه السلام).
٢ـ يعود الدافع الحقيقي للثورة بالشكل الذي تحقّق ـ وإن لم يكن فيها أي مكسب آني من حيث الوصول إلى الحكم ـ إلى أنّ إرادة الأمّة كانت قد أصبحت ميّتة بعد أن عرفت حقيقة خطّ أهل البيت(عليهم السلام).
٣ـ لم يكن أيّ إجراء بقادر على تحريك ضمير الأمة إلاّ الشهادة والتضحية التي تغرس في أعماق وجودها عظمة الدين ورخص النفس والحياة المادية بالنسبة إلى دين الله الذي جاء بكرامة الإنسان واستهدف إيصاله إلى الكمال اللاّئق به.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 18

الثوره الحسينيّه (2)

المقومات ـ الخصائص ـ النتائج

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق تاريخ الإمام الحسين (عليه السلام) في ثورته المباركة ضد الحكم الأموي، فتكلمنا في العوامل والأسباب التي أدت الى تلك الثورة، وفي الأهداف التي توخاها الإمام من ثورته.
وأما في هذا الدرس، فنواصل الكلام في الثورة الحسينية من زاوية أخرى، وهي الكلام في مقومات تلك الثورة وخصائصها وأبرز النتائج التي افرزتها.

المحتوى العلمى

مقومّات الثوره الحسينيه وخصائصها

نستطيع أن نحدّد الموقف العملي للحسين(عليه السلام) بأنّه موقف مبني على ضوء النظرة الإسلامية للحكم; لأنّ النظرية الإسلامية في الحكم تبتني على أساس الأطروحة المنفذّة في الواقع والمتجسّدة في الخطوات العملية للسلطة، فإنْ كانت تلك الأطروحة إسلامية فهي، وإلاّ فلا قيمة لإسلامية الحاكم وصلاته وتعبّده، لأنّ المعنى العبادي الحقيقي لابدّ أن ينعكس على سلوك الفرد ومشاعره وأعماله.
ومن هنا، فلا قيمة لإسلامية يزيد أو غيره من حكّام الجور، ولا معنى للشعائرالتي يؤدّونها.
وإذا كان الأمر كذلك، والحكّام الأمويون لا يطبّقون شريعة السماء، فعلى الحسين(عليه السلام) باعتباره أفضل إنسان يجسدِّ الإسلام يومذاك و على المسلمين جميعاً، الوقوف بوجه هؤلاء الطغاة و التصدّي لهم; لأنّهم يريدون حكم الجاهلية و يحاربون شريعة السماء.
و لكنّ هذه الجاهلية ارتدت ثوباً جديداً هذه المرّة يخفي حقيقتها عن الأنظار، ولقد ثار الحسين(عليه السلام) ليكشف للأمّة اختفاء الحكّام خلف اسم الدين، وليفضح أمام المسلمين حقيقة الطواغيت الذين حكموا الناس باسم خلافة الرسول(صلى الله عليه و آله).
لم تكن واقعة الطف قضية مأساوية عابرة حدثت في مرحلة معيّنة من التاريخ فحسب; بل هي صورة متكاملة لتجسيد الصراع بين الحقّ والباطل، هي مسرحية واقعية تنبض بالحياة، أدّى أدوارها كلّ صنف من أصناف البشر و بمختلف الأعمار والأجناس، فيها المعصوم الذي لا يُخطئ ساهياً، و المجرم الذي لا يتورع عن فعل أدنى الأفعال وأبشعها، فيها المرأة والطفل الرّضيع والصّبي والشيخ العجوز، فيها التائب و العاصي، فيها السموّ والرّفعة، وفيها أيضاً الدّناءة والخسّة.
و هي و إن لم تعبِّر عن مرحلة تاريخية لكنّها عبَّرت عن حالة أمّة، انحرف بها الحكّام عن جادّة الصواب و أبعدوها عن رسالتها وعقيدتها، حتى أصبحت أمّة ميّتة، لا تفكّر إلاّ بهذا المقدار من النّفس الصاعد النازل، هذه الأمّة التي بلغ بها الخوف حدّاً لا يوصف، فهي تعرف أنّ الحقّ لا يعمل به والمنكر لا يتناهى عنه، تدرك ذلك و لا تحرِّك ساكناً، إنّ هذه الأمّة جاءها أجلها فماتت، و إن كانت الأجساد متحرِّكة.
و جاءت واقعة الطف كقضية مأساوية مثيرة، لتحرِّك في الأمّة ضميرها و تعيدها نحو رسالتها وتبعث شخصيّتها العقائدية من جديد، و كان من اللاّزم أن يقوم بهذا الدور مجموعة من الناس قادرة بماتمتلك من قدرات ومقوّمات تجعل دورها فاعلاً ومؤثّراً في حياة هذه الأمّة الميّتة؟ كما صوّر ذلك *الفرزدق* بقوله للإمام الحسين(عليه السلام) : النّاس سيوفهم عليك و قلوبهم معك.
و كانت أهمّ هذه المقوّمات ـ التي اجتمعت في ثورة الحسين(عليه السلام) الفريدة ـ ما يلي:
١ ـ المقوّمات الشخصية للثّائر: إنّ الثّائر الذي يقود جبهة الحقّ كان إماماً معصوماً يمتلك كلّ المواصفات القدسيّة بنصّ حديث الرسول(صلى الله عليه و آله):
«الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا»،
فهذه الصفة القدسيّة التي يمتلكها الحسين(عليه السلام) تدركها الأمّة، خصوصاً مع وجود عدد غير قليل من الصحابة الذين عاصروا الرسول(صلى الله عليه و آله) وسمعوا منه تلك الأحاديث بشأن هذا الإمام(عليه السلام).
و بالإضافة إلى ذلك فالإمام(عليه السلام) يمتلك عنصر النسب الذي لا تشوبه شائبة و لا يناله شكّ: *أبوه عليّ(عليه السلام) و أمّه فاطمة(عليها السلام) و جدّه الرسول(عليه السلام)* و الصحابة يتذكّرون حديث الرسول(صلى الله عليه و آله) بشأنه: حسين منّي و أنا من حسين، يدركون هذا التمازج الروحي و التمازج النسبي و الحسين(عليه السلام) يمتلك الجاه والشرف، كيف لا؟! و هو محطّ أنظار المسلمين و كهف المستغيثين واللاجئين، ويمتلك الإمام المال والثروة. أتذكرون يوم عاشوراء حينما خاطب ـ سلام الله عليه ـ أُخته الحوراء قائلاً: ناوليني ملابس استبدل بها ملابسي هذه لئلاّ يطمع القوم فيها فيسلبونيها فلما أعطته ملابس رديئة بالية قال لها مستنكراً (أو يلبس إبن أبيك مثل هذا؟) فلو كان لباسه الأوّل عادياً لقبل تلك الخرق البالية، فلابدّ أن يكون لباسه في أوّل الأمر من أفخر الألبسة و أثمنها

و الروايات تذكر أنَّ القافلة الهاشمية كانت محمّلة بالأموال الكثيرة، فالحسين(عليه السلام) كان يمتلك كلّ المقوّمات الشخصيّة للقداسة، والشرف والجاه، الغنى والثروة، والعصمة.

٢ ـ الحجّة: ولكي لا تكون الثورة هامشيّة، فلا تعطي ثمرتها المرجوة، فقد كان الثائر يمتلك الوثائق الكفيلة بإضفاء المشروعية على هذه الثورة و أنّها الحلّ الوحيد والخيار الذي لا بديل له. فقد كانت الرسائل الواردة من زعماء العراق و من الكوفة خاصّة تطلب من الإمام(عليه السلام) بإلحاح القدوم إلى العراق، و كان مضمون هذه الرسائل ـ كما تنقل الروايات ـ : أقدِم على جند لك مجنّدة، فقد طاب الجنان و اخضرّ المقام.

و لاشكّ أنّ عدم تلبية الإمام(عليه السلام) لهذه الطلبات ـ التي تقدّر على أقلّ الروايات بإثني عشر ألف رسالة ـ سيلزم الإمام(عليه السلام) الحجّة في تفويته للفرصة و بالعكس فإنّ المجيء سيُلزم الأمّة الحجّة إن هي خانت.

و الأمر الآخر أنّ الإمام(عليه السلام) كان أمامه التهديد الأموي إن هو لم يبايع و لو بايع فإنّه سيعطي في مثل هذه الحالة الوثيقة الشرعية للحكّام الأمويين الظّلمة و سيطفئ بالتالي بصيص الأمل الذي ترصده الأمّة في تلك الشخصية المعارضة، أعني شخصيّة الإمام(عليه السلام).

و في حالة رفضه فإنّه أمام خيارين، إمّا الموت الذي قرّره الأمويّون له ـ و لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة ـ وإمّا الرّحيل إلى إحدى المناطق التي يمتلك فيها شعبيّة وشيعة، ولا تتعدّى هذه المناطق اليمن، الكوفة و البصرة، ومن المعلوم أنّ الطلب الأموي سوف يلاحقه في هذه المناطق بلا فرق و ما دامت الكوفة تحتوي أكثر القواعد الشعبية المؤيدة له ـ سلام الله عليه ـ بالإضافة إلى الطلب الشديد من قبل أهلها، فإنّ الخيار الصحيح لابدّ أن يكون بالرحيل إلى الكوفة عاصمة أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام). و لهذا رفض الإمام(عليه السلام) إلحاح أخيه *محمّد بن الحنيفة* وممانعته من الذهاب إلى الكوفة، كما رفض طلب *ابن عبّاس(رحمه الله)*الذي أشار على الإمام(عليه السلام) بالذهاب إلى اليمن.

٣ ـ الشّعار: ولكي لا تشوّه هذه الثورة، خصوصاً وأنّ الإمام(عليه السلام) قد علم بخيانة أهل الكوفة، وكيف أنّهم قتلوا رسوله *مسلم بن عقيل(عليه السلام)* وصاحبه *هانيء بن عروة*، وشرّدوا بقيّة الأنصار واعتقلوا قسماً منهم. إنّ هذه الصورة جعلت الحسين(عليه السلام) أمام مواجهة عسكرية لا مناص له منها، ولكي لا تشوّه هذه الثورة فقد أعلن الحسين(عليه السلام) عن أهدافها وطرح شعاراتها ابتداءً من المدينة حتّى يوم المجزرة الكربلائية، فهو يقول:

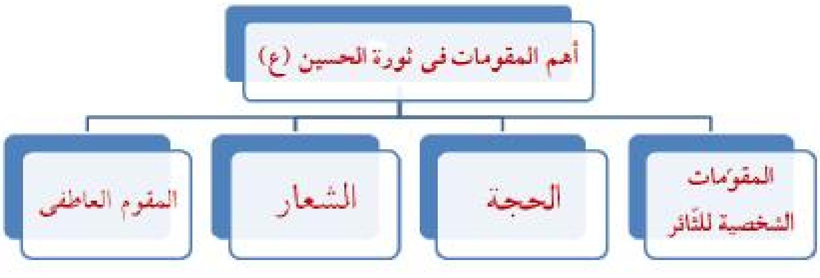
«والله إنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً و لا مفسداً، و إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، لآمر بالمعروف و أنهى عن المنكر».

ثمّ أنّه وضع الأمّة أمام الخيارات التي لا مناص منها ليجعل من ثورته الأسلوب الوحيد أمام التحدّيات الكافرة، فبعد أن التقى *الحرّ بن يزيد الرّياحي* (رضي الله عنه) قال(عليه السلام) : «هذه أرض الله واسعة فدعوني أذهب و شأني»، أو ما يقارب هذه العبارة، وفي هذه الكلمة ـ في أقلّ تقدير ـ أن يُتركَ الإمام(عليه السلام) يختار حياة العزلة، ولكنّ جيش الحرّ رفض التخلّي عن أوامر السلطة الجائرة فجعجعوا به إلى كربلاء، وهناك أيضاً وضع أصحابه أمام الخيار فلم يرد إقحامهم في معركة خاسرة من الناحية العسكرية، لذا جمعهم ليلة العاشر من المحرّم ثمّ خطبهم وقال:

إنّ هذا الليل قد أرخى سدوله فاتخذوه جملاً، ليس عليكم منّي ذمام. ولقد رفض هؤلاء الأخيار هذا الطلب، حينما قام زهير بن القين، فقال: ماذا نقول للعرب ـ أو: لجدّك ـ أيقتل ابن بنت رسول الله ونظلُّ أحياءً؟! لا والله لا نفعل ذلك أبداً. وقال غيره مثل قوله. ولمّا كانت المواجهة حتميّة وأنّ السيف هو الحكم الفصل; أصرّ الحسين(عليه السلام) على خوض هذه الحرب قائلاً: إن كان دين محمّد لم يستقم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني.

و على كلّ حال فقد وضع الإمام الحسين(عليه السلام) أهداف الثورة أمام عينيه منذ حركته من المدينة حتى مصرعه في الطفّ، بل واصلت أخته الحوراء(عليها السلام) حمل تلك الرسالة فكانت الوسيلة الإعلامية التي تذيع أخبار الثورة، والمِعْوَل الهدّام في العرش الأموي الحاكم.

٤ ـ المقوّم العاطفي: وهي عملية إثارة المشاعر في نفوس المسلمين الذين لم تحرِّك الأفكار المنطقية عقولهم.



و يلاحظ المقوّم العاطفي في الثورة الحسينية من خلال أُسلوبين:
أوّلهما: إشراك العقائل من الهاشميات في الثورة بالإضافة إلى إشتراك الأطفال بالدرجة التي يساهم فيها رضيع وُلد في اليوم العاشر من المحرّم أثناء المعركة; فإنّ وجود نساء البيت العلوي ومخدرات الهاشميّين في خضّم هذه المحنة لابدّ أن يثير في النفوس العطف وفي القلوب الإنكسار مهما كانت تلك النفوس متوحّشة والقلوب قاسية. أمّا الأطفال فقد قدّمتهم الثورة كدليل على أنّ هؤلاء القوم يحاربون خوفاً وطمعاً قد بلغ بهم الأمر حينما نسوا الله فأنساهم ذكر أنفسهم، بلغ بهم الأمر حدّاً لا يوصف من الدّناءة و الوضاعة و اللؤم، فلهذا خاطبهم الحسين(عليه السلام) بقوله: (إن كان الذنب ذنب الكبار فما هو ذنب هؤلاء الأطفال؟)
و بهذه المشاركة أضاف للثورة رصيداً عاطفياً ضخماً جعلها تحتلّ مركز القمّة بين الفواجع على طول التاريخ و تحرّك مشاعر المسلمين وعواطفهم و أحاسيسهم إلى يومنا هذا.
و الأسلوب الثاني: هو اسلوب التذكير و الوعظ الذي استخدمه الإمام(عليه السلام) وصحبه (رضوان الله عليهم) فلقد ذكّر الإمام(عليه السلام) القوم بقوله: «إنسبوني من أنا، ألست ابنَ بنت نبيّكم؟ ثمّ يقول لِمَ تحاربونني، ألسنّة غيّرتُها أم لبدعة ابتدعتها؟» و في موضع آخر يقول: «إن لم يكن لكم دين وكنتم عُرُباً ـ كما تزعمون ـ ، فكونوا أحراراً في دنياكم»، كان ذلك في إشارة منه للقوم حينما هجموا على بيوت عقائل الرسالة، إلاّ أنّهم وصلوا حدّاً لم ينسوا دينهم فحسب، بل نسوا حتّى أعرافهم العربية التي تعوّدوها و تسالموا عليها، ولهذا أيضاً نجد الإمام(عليه السلام) يصف حال الناس بقوله: «و الدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا مُحِصّوا بالبلاء قلّ الديّانون».
و على ضوء ما سبق نكون قد رسمنا صورة موجزة لمقوّمات الثورة من جهة ولحالة الأمّة أيضاً، فالأمّة ـ كما قلنا ـ بلغت حالة الاحتضار أو الموت، بحيث لا تقوى على المعارضة إذ كانت تعيش أزمة معقّدة من الخوف في الوقت الذي كان يحاول الحكّام جرّ الأمّة إلى الهاوية و قتل روح العزّة و الكرامة لديها و تفتيت كيانها الحضاري و إبعادها عن رسالتها رسالة السمحاء[1].

نتائج الثوره الحسينيه

و إذا أردنا أن نعرف مدى نجاح الإمام الحسين(عليه السلام) في تحقيق أهدافه فإنّنا نلمس انتصاره في يوم عاشوراء نفسه حيث استطاع أن يستقطب جمعاً ممّن خرج لقتاله وانضوى تحت لواء الجيش الأموي. وما التحاق الحرّ وغيره من أفراد الجيش إلى معسكر الحسين(عليه السلام)واستشهادهم إلاّ بوادر النصر الأولى التي نجدها بوضوح في قدرة الحسين(عليه السلام) على تحريك ضمير الأمة وإحياء روح البسالة والشهادة فيها.
و قد توالت الاستجابة لنداء الحسين(عليه السلام) بعد عاشوراء حتّى يومنا هذا و استطاعت هذه النهضة و روح الشهادة التي أحياها في أمّة جدّه(عليه السلام) أن تزلزل عروش الظالمين بما فيها الحكم الأموي وتسقط عنه كل الأقنعة أوّلاً ثمّ تؤدي به إلى الإنهيار والزوال.
و لم يستطع الحكم العبّاسي الغاشم أيضاً أن يتخلّص من شرر هذه الثورة المقدّسة، و أصبحت الثورة على الظلم هي الشعار الأوّل لأهل البيت(عليهم السلام) و أتباعهم و محبّيهم، بل قد تأثّر من سواهم بهذه الروح العالية، واستطاع المسلمون أن يصمدوا بوجه الاستعمار الصليبي الذي عمّ العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية، وما الثورة الإسلامية في ايران اليوم إلاّ أثرٌ واحدٌ من آثار تلك النهضة المقدّسة المباركة.
إذن لقد أفلح الحسين(عليه السلام) في ثورته حيث استطاع أن يحقّق مكاسبها ويجني ثمارها على مدى القرون محقّقاً النبوءة التاريخية الفريدة التي صدرت من جدّه(عليه السلام): «حسين منّي و أنا من حسين»،
بعد أن استجاب هو لله و لرسوله ملبيّاً دعوة الحقّ إلى الشهادة في سبيل الله متّخذاً منها و سامه الخالد الذي به خلدت ثورته و ستبقى مشعلاً متوهّجاً ينير الدرب في الظلمات و يكتسح كلّ العقبات أمام دين الله حتّى يظهره الله على الدين كلّه و لو كره المشركون و يتحقّق الوعد الإلهي القاطع بانتصار الحقّ بشكل تامّ و زهوق الباطل وزواله من على وجه الأرض ببركة دماء الشهداء من أبناء و أنصار الحسين(عليه السلام) ومحبّيه وشيعته و من حذا حذوهم تحت راية لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله.
و أما ما جرى حين معركة كربلاء من فضائع وحشية يندى لها جبين الإنسانية من جهة، ومن صور للشجاعة و البسالة و التضحية و الإيثار عز نظيرها في التاريخ من جهة أخرى، فتلك أمور نحيل القارئ فيها إلى أمهات الكتب التاريخية للإطلاع وأخذ العبرة.

---

١ . المجموعة الكاملة لآثار الشهيد السيد محمّدباقر الصدر(قدس سره) ١٣ : ٨٣ بتصرّف.

الخلاصه

١ـ من جملة ما تقومت به ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) هو القائد الذي نصبه الله إماماً للمسلمين بنصّ من الرسول الكريم(عليه السلام).
٢ـ تعمد الإمام منذ بداية حركته التصريح بالشعارات التي اعتمدها لتكون واضحة بحيث لا تقبل التشويه و التزّييف مدى العصور.
٣ـ جمع الإمام الحسين في ثورته من عناصر التحريك العاطفي ما يعطي لحركته رصيداً عاطفياً ضخماً بحيث يجعلها تحتل مركز القمّة بين الفواجع على طول التاريخ.
٤ـ آتت الثورة الحسينية ثمارها منذ اليوم الأوّل؛ حيث التحق فيه مجموعة من جنود ابن سعد بمعسكر الحسين(عليه السلام) و آثروا الآخرة على الدنيا.
٥ـ مثّلت واقعة الطفّ كلّ القيم و المبادئ على صعيد الواقع، لتصبّ في خندق واحد، و لتؤدّي دوراً بطولياً متعدّد الوجوه .
٦ ـ كان من جمة نتائج الثورة الحسينية أن سجّلت دفاعاً عن المقدّسات، و إزهاق الباطل، و دحر الشيطان و تبديد الأوهام و كشف الزيف و فشل الأطماع و تصحيح انحراف ساد أوساطاً في ظلّ حاكم جائر كيزيد بن معاوية. كما أنها ظلّت بعد ذلك منطلقاً للحقّ و مسرحاً للفكر النّير و رمزاً خالداً يُشير دائماً و أبداً إلى العزّة و الكرامة و التضحية و الإباء.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 19

تاريخ الإمام زين العابدين (عليه السلام)

المقدمه

انتهينا بحمد الله ومنه من التعرض إلى أهم الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الحسين (عليه السلام)، حتى وصل بنا الكلام إلى استشهاده عليه السلام والثلة الطيبة من أهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء.
وتصل النوبة اليوم إلى الكلام في تاريخ إمام آخر من أئمة الهدى عليهم السلام في خطوطه المهمة العريضة، وهو الإمام زين العابدين عليه السلام.

المحتوى العلمى

الولاده الشريفه

ولد علي بن الحسين (عليه السلام) بالمدينة نهار الخميس الخامس من شعبان المكرم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قبل وفاته بسنتين .

النسب والكنيه

نسبه (عليه السلام) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كنيته المشهورة «أبو الحسن» و قيل : أبو محمد .

ألقابه (عليه السلام)

و أما لقبه (عليه السلام) فله ألقاب كثيرة كلها تطلق عليه أشهرها زين العابدين (عليه السلام) و سيد الساجدين (عليه السلام) و الزكي و الأمين و ذو الثفنات .[1]

النص على إمامه على بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)

بالإضافة إلي النصوص العامّة التي تظافرت عن الرسول(صلى الله عليه و آله) حول إمامة خلفائه الاثني عشر المهديين[2] و النصوص التي تضمّنت ذكرهم بأسمائهم[3]، والنصوص التي وردت عن أهل البيت(عليه السلام) أنفسهم حول إمامة الأئمّة منهم.. نلاحظ أنّ كلّ إمام كان ينصّ على إمامة الذي يليه في الموضع والزمن المناسبين.
و قد نصّ الإمام الحسين(عليه السلام) على إمامة زين العابدين(عليه السلام) في أكثر من موضع وزمان، منها ما ورد عن أمّ سلمة قبيل هجرته من المدينة إلى مكّة فكربلاء حيث دفع إليها كتباً وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعتُ إليك، فلمّا قتل الحسين(عليه السلام) أتى عليّ بن الحسين(عليه السلام) أمّ سلمة فدفعت إليه كلّ شيء أعطاها الحسين(عليه السلام)[4].
و قد ورد في نصٍّ آخر أنّه(عليه السلام) قد جعل طلب ذلك منها علامة على إمامة الطالب، فطلبها زين العابدين(عليه السلام).
كما نصّ الحسين(عليه السلام) على إمامة ولده زين العابدين(عليه السلام) قبل استشهاده حيث دفع كتاباً ملفوفاً و وصيّة ظاهرة إلى ابنته فاطمة الكبرى، و كان عليّ بن الحسين(عليه السلام) مريضاً لا يرون أنّه يبقى بعده، و لمّا قتل الحسين(عليه السلام) و رجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسين(عليه السلام) ثمّ صار الكتاب إلي ابنه الباقر(عليه السلام)[5].

ونصّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) على هذه الوصيّة حين احتجاجه مع عمّه محمّد ابن الحنفية عند الحجر الأسود[6].

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة - ابن الصباغ - ج ٢ - ص ٨٥٣ – ٨٥٦.
٢ و ٣. راجع كفاية الأثر ومنتخب الأثر، وقادتنا، وإثبات الهداة، وأعلام الورى، وإحقاق الحقّ، والأُصول من الكافي التي جُمعت فيها النصوص على إمامة الأئمة (عليهم السلام)، وعيون كراماتهم الدالّة على إمامتهم.

٤ . الغيبة للطوسي: ١١٨ والكافي ١: ٢٤٢ الحديث ٣ .
٥ . أعلام الورى ١ : ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .
٦ . راجع الإحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام) .

تاريخ الإمام (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه.

ردود فعل الثوره الحسينيه

بدأت ردود الفعل على مقتل الحسين (عليه السلام) بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت (عليه السلام) إلى الكوفة. فبالرغم من القمع و الإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كلّ من كان يبدي أدنى معارضة ليزيد، فإنّ أصواتاً بدأت ترتفع محتجّة على الظلم السائد.
فعندما صعد ابن زياد المنبر و أثنى على يزيد و حزبه و أساء إلى الحسين(عليه السلام) و أهل بيت الرسالة، «قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي و قال له: يا عدوّ الله، إنّ الكذّاب أنت و أبوك و الذي ولاّك و أبوه، يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين و تقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟!
فقال ابن زياد، عليّ به، فأخذته الجلاوزة، فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة. فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه و صلبه»[1].
و مع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد، لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات أُخرى.
و ظهرت في الشام أيضاً بوادر السخط و الإستياء، الأمر الذي جعل يزيداً ينحو باللأئمة في قتل الحسين(عليه السلام) على ابن زياد.
إلاّ أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في *الحجاز*. فلقد انتقل عبد الله ابن الزبير إلى مكّة في الأيّام الأولى من حكومة يزيد واتّخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيين بعدم الوفاء، و أثنى على الحسين بن عليّ (عليه السلام) و وصفه بالتقوى و العبادة.
و في المدينة ألقي الإمام زين العابدين (عليه السلام) خطاباً في أهلها لدى عودته من الشام و العراق.
يقول المؤرّخون: إنّ الإمام(عليه السلام) جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله إليها و خطب فيهم قائلاً:

«الحمد لله ربّ العالمين، مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العُلى، و قرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأُمور و فجائع الدهور، ومضاضة اللواذع، و جليل الرزء و عظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة.

أيّها القوم: إنّ الله ـ و له الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين (عليه السلام)، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان و هذه الرزية التي لا مثلها رزيّة.
أيّها الناس! فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها و تضنّ عن انهمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، و بكت البحار بأمواجها و السماوات بأركانها و الأرض بأرجائها و الأشجار بأغصانها و الحيتان في لجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون.
أيّها الناس! أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام و لا يصمّ؟!
أيّها الناس! أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين و شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك و كابل، من غير جرم اجترمناه و لا مكروه ارتكبناه و لا ثلمة في الاسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إن هذا إلاّ اختلاق.
و الله لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في الوصاية بنا; لما زادوا على ما فعلوا. فإنّا لله و إنّا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها و أوجعها و أفجعها و أكظّها و أفظعها و أمرّها و أفدحها!! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فإنّه عزيز ذو انتقام»[2].
لقد جسّد هذا الخطاب ـ على قصره ـ واقعة كربلاء على حقيقتها مركّزاً على المظلومية التي لحقت بأهل البيت(عليه السلام) في قتل الحسين بن عليّ(عليه السلام) من جانب، وأسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التي لحقتهم بعد واقعة الطف إذ نصبت رؤوس الشهداء ـ بما فيهم سيّدهم الحسين(عليه السلام) ـ فوق الأسنة تُنقل ويُتباهى بها من بلد إلى بلد.
وعقّب الإمام زين العابدين(عليه السلام) واصفاً ما لقيه آل النبيّ من السبي والتشريد كما يُعامل الترك والروم الكافرون، وهم أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة وهم قادة الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية.
و أنهى الإمام خطابه بوصف في منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التي ارتكبها جيش السلطة الأموية في حقّ أهل البيت(عليه السلام) ; فإنّ الرسول(صلى الله عليه و آله) لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل بالكلب العقور، وكيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه وقد أوصاهم النبيّ بحفظه في عترته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة

---

١ . الإرشاد: ٢٤٤ .
٢ . اللهوف : ١١٦ ، وبحار الأنوار ٤٥: ١٢٨ ـ ١٢٩ .

في قرباه؟!

ثوره أهل المدينه.

و لم تكن الأوضاع هادئة في المدينة في السنة التي كانت تحت إدارة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. وأوضح شاهد على اضطراب الأوضاع في المدينة هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين[١].

و أراد عثمان بن محمّد بن أبي سفيان أن يكسب رضا أهل المدينة فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب وينالوا نصيبهم من هداياه.

إلاّ أنّ الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين ويقبح.

و لما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب ـ وهم اللصوص ـ وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه.

إنّ نقد الوفد المدني ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد على انحراف يزيد وتنكّره للإسلام ، بل إنّ جور يزيد وعمّاله على البلدان الإسلامية وفسقهم وشدّة بطشهم واستهتارهم بالحرمات الإلهية مثل قتل ريحانة الرسول (صلى الله عليه و آله) الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنّة دليل قويّ على انحرافه عن الإسلام المحمّدي (صلى الله عليه و آله). هذا فضلاً عن حقد الأمويين للأنصار.

و من هنا لم يتلكّأ أهل المدينة في إخراج عامل يزيد عليها. فحاصروا بني أميّة وأتباعهم، و أخرجوهم عن المدينة بشرط عدم الرجوع إليها.

و لمّا بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد، أرسل مسلم بن عقبة ـ *السفّاك* ـ ليقضي على ثورة أهل المدينة ـ مدينة رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومهبط وحي الله ـ وزوّده بتعليمات خاصّة تجاههم قائلاً له:

«أُدع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلاّ فقاتلهم، فإذا ظهرتَ عليهم، فأبحها ـ أي المدينة ـ ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام فهو للجند»[٢].

و أمره أن يُجهز على جريحهم و يقتل مُدْبِرَهم[٣].

وصل جيش يزيد إلى المدينة، و بعد قتال عنيف مع أهلها، استبسل فيه الثائرون دفاعاً عن دينهم، و استشهد أغلب المدافعين و كان *فيهم عبد الله بن حنظلة* و مجموعة من صحابة رسول الله(صلى الله عليه و آله)، و نفّذ قائد الجيش أوامر يزيد و أوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت، و قتلوا الأطفال و النساء و الشيوخ كما أسروا آخرين.

قال ابن كثير: أباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيّام كما أمره يزيد ـ لا جزاه الله خيراً ـ وقتل خلقاً من أشرافها و قرّائها، و انتهب أموالاً كثيرة منها... وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارى. فقال: عجّلوه لها، فضرب عنقه، و قال: أعطوها رأسه. ووقعوا على النساء، حتّى قيل أنّه حبلت ألف امرأة في تلك الأيّام من غير زوج.

قال المدائني، عن هشام بن حسّان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج، و روي عن الزهري أنّه قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين و الأنصار، و وجوه الموالي، ممّن لا أعرف من حرّ و عبد و غيرهم، عشرة آلاف[٤].

ثم نصب كرسي لمسلم بن عقبة، وجيء بالأسارى من أهل المدينة، فكان يطلب إلى كلّ واحد منهم أن يبايع و يقول: إنّني عبد مملوك ليزيد بن معاوية يتحكّم فيّ و في دمي و في مالي و في أهلي ما يشاء[٥]، و كلّ من امتنع و لم يبايع بالعبودية ليزيد و أصرّ على القول بأنّه عبد الله سبحانه وتعالى قتله[٦].

و أُتي بزين العابدين (عليه السلام) إلى مسلم بن عقبة، و هو مغتاظ عليه، فتبرأ منه و من آبائه. فلمّا رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له، و أقعده إلى جانبه ، و قال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلاّ شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه.

فقيل لعلي(عليه السلام) : رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال(عليه السلام):

«قلت: اللهمّ ربّ السماوات السبع و ما أظللن و الأرضين السبع و ما أقللن ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد و آله الطاهرين. أعوذ بك من شرّه، و أدرأ بك في نحره. أسألك أن تؤتيني خيره، و تكفيني شرّه».

قيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه فلما أُتي به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأي

---

١. تاريخ الطبري ٧ : ٤٠٢ .

٢. تاريخ الطبري ٤ : ٣٧٢ والكامل في التاريخ ٤ : ١١٣ .

٣. التنبيه والإشراف : ٢٦٣ ط القاهرة.

٤. البداية والنهاية ٨ : ٢٢٠ ط دار الفكر ـ بيروت سنة ١٣٩٨ ، وتاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

٥. تاريخ الطبري ٤ : ٣٨١، مروج الذهب ٣ :٧٠، الكامل في التاريخ ٤ : ١١٨، البداية والنهاية ٨ : ٢٢٢. وقد جاء في تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١: كان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع أنّك عبد ـ ليزيد، فيقول لا، فيضرب عنقه.

٦. الكامل في التاريخ ٤ : ١١٨ ، مروج الذهب ٣ : ٧٠.

منّي، لقد مُليء قلبي منه رعباً!
ولم يبايع الإمام(عليه السلام) ليزيد كما لم يبايع عليّ بن عبد الله بن العباس. حيث امتنع بأخواله من كندة فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلاّ كبيعة عليّ بن الحسين[1]. على أنّه ابن عمّ أمير المؤمنين وإلاّ فالحرب بيننا فأُعفي عن البيعة.
و ذكر المؤرّخون أنّ الإمام(عليه السلام) كفل في واقعة الحرّة أربعمائة أسرة من عبد مناف و ظلّ ينفق عليها حتّى خروج جيش مسلم من المدينة[2].
و بعد أن قمع مسلم بوحشية ثورة أهل المدينة وأجهض انتفاضتهم، توجّه إلى مكّة التي أعلن *فيها عبد الله بن الزبير ثورته* على الحكم الأموي، لكنّه لقي حتفه في الطريق. فتسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الأموي بناء على أوامر يزيد. و عندما وصل أطراف مكّة فرض حصاراً عليها و ضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها[3].
و في الوقت الذي كانت فيه مكّة تحت حصار الجيش الأُموي، لقي يزيد حتفه. فعقد قائد الجيش الأموي الذي لم يكن و قتذاك يعرف زعيمه الذي يقاتل معه، مفاوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة أن يرافقه إلى الشام. إلاّ أنّ ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين و جيشه إلى الشام.

ثوره التوّابين.

شهد العراق تحرّكاً جديداً وذلك بعد الندم الذي أخذ يقضّ مضاجع الكوفيّين؛ إذ خذلوا سيّدهم الحسين(عليه السلام) ضدّ الحكم الأموي. لكنّهم لم يحقّقوا شيئاً يذكر على صعيد إسقاط الحكم على المدى القريب. فقد قتل سليمان بن صرد قائد التوّابين، ورجع من بقي من جيشه إلى الكوفة.

ثوره المختار.

و في تلك الغضون ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي على مسرح الأحداث مستنهضاً أهل العراق لأخذ الثأر من قَتَلة أبي عبد الله الحسين(عليه السلام)، فبدأ بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين. وكان يعرف جيّداً أنّ أي تحرّك شيعي يقتضي زعامة من أهل بيت الرسالة(عليه السلام)، وأنّ الإنطلاق للثورة ينبغي أن يتمّ باسمه. ومَن أفضل من عليّ بن الحسين(عليه السلام) ؟ وإن رفض الإمام(عليه السلام) الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمّد بن عليّ بن أبي طالب وهو عمّ الإمام السجّاد(عليه السلام).
من هنا كاتب المختار كُلاًّ من الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعمّه محمّد.
أمّا الإمام (عليه السلام) ـ الذي كان قد خَبِرَ عدم وفاء العراقيّين و تذبذبهم و أنّ الدين لعق على ألسنتهم ـ فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه (عليه السلام) أمضى عمله عندما ثأر من قتلة أبيه الحسين (عليه السلام) .
و أرسل المختار رأسَي عبيد الله بن زياد و عمر بن سعد إلى الإمام (عليه السلام) فسجد (عليه السلام) شكراً لله تعالى و قال:
«الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي و جزى الله المختار خيراً»[4].

الخلاصه

١ـ هناك نصوص خاصة وعامة كثيرة على إمامة الإمام زين العابدين (عليه السلام).
٢ـ بدأت ردود فعل الثورة الحسينية قبل استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) حين التحق بمعسكره جمع من معسكر ابن زياد ورجّحوا الموت معه على الحياة مع الطغاة اللئام.
٣ـ استمرّت ردود الفعل بالظهور بعد عاشوراء فقد أدان ابن زياد في الكوفة عبدالله ابن عفيف الأزدي وفي الشام ظهرت ردود فعل أخرى، ثم تمخّضت سنة ٦٢ هجرية عن ثورة أهل المدينة التي انتهك يزيد حرمتها، وبذلك أثبت للتاريخ وللعالم الإسلامي أنّه لا يحترم مسلماً ولا نبيّاً ولا كعبة ولا مسجد النبيّ(عليه السلام) ولا مدينة الرسول(عليه السلام)فضلاً عن أحكام الإسلام وحرماته التي يتحدّاها بانتهاكها على مرأى ومسمع من المسلمين.
٤ـ لم يساهم الإمام زين العابدين(عليه السلام) في ثورة أهل المدينة لأسباب شتّى. وكانت آخر ردود فعل الثورة الحسينية هي انهيار الحكم السفياني وانشقاق البيت الأموي الذي لم ينج من الثورات المتتالية التي تعاقبت لإسقاطه وتفتيته.

---

١ . النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادي: ٢٧٣. المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ .
٢ . كشف الغمّة ٢ : ١٠٧ .
٣ . تاريخ الطبري ٤ : ٣٨٣ (حوادث سنة ٦٤). الكامل في التاريخ ٤ : ٢٤ .
٤ . رجال الكشي: ٨٤ . المختار الثقفي : ١٢٤ .

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 20

ملامح عصر الإمام زين العابدين(ع)

المقدمه

بدأنا في الدرس السابق بالتعرض إلى أهم الخطوط العريضة في تاريخ إمام آخر من أئمة الهدى عليهم السلام وهو الإمام زين العابدين عليه السلام، نواصل اليوم هذه المهمة فنتكلم في أهم ملامح عصر هذا الإمام الهمام.

المحتوى العلمى

أركان الثوره الثقافيه

فجّر الإسلام في غياهب الجاهليّة ثورته الثقافيّة العملاقة

أركان الثورة الثقافية:
- استخدام العقل و طلب العلم
- التسامى نحو الكمال الاخلاقى و المعنوى
- الجهاد فى سبيل الله تعالى و الشهادة

و أرسى بذلك قواعد وأُسس الحضارة الإسلامية العظيمة.
فكانت الدعوة القرآنية إلى استخدام العقل و طلب العلم هي الركن الأوّل في هذه الثورة الثقافية، و التسامي إلى الكمال الأخلاقي و المعنوي هي الركن الثاني في هذه الثورة العملاقة، و جاء الجهاد في سبيل الله و طلب الشهادة كعنصر حيوي في هذه المنظومة الثقافية و الأخلاقية الإلهية التي طلع بها الإسلام على المجتمع البشري آنذاك.
و كانت النتيجة أن تحوّل المجتمع العربي الجاهلي المفتّت في فترة قصيرة جداً ـ في حساب الحضارات ـ إلى دولة عظمى وحضارة جديدة تنطوي على عناصر القوّة و البقاء و الكمال; غير أنّ الاهتمام الكبير بالفتوحات الإسلاميّة لم يرافقه الاهتمام بالصيانة الداخليّة.

و هذا قد عرّض المسلمين لخطرين كبيرين خارج النطاق السياسي و العسكري،خصوصاً و أنّ الحاكمين إنّما اهتموا بالفتوحات لأسباب عديدة منها سياسية، و منها مادية دنيوية.

و **الأوّل** منهما: هو الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجاً.
وهنا كان لابدّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميّزة المستمدّة من الكتاب والسنّة[1].
و**الثاني** منهما: هو الخطر الذي نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الإمتداد الهائل ; لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الإنسياق مع ملذّات الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة.
وقد ساهم الحكّام الأمويون أيضاً بقدر كبير في تشجيع حياة اللهو والطرب والميوعة بين أبناء الأمّة الإسلامية.
هذا كلّه فيما يخصّ الحضارة الإسلامية والشريعة الإلهية والأمّة الإسلامية بمختلف قطاعاتها واتجاهاتها.
و أمّا الأخطار والمحن التي كانت تخصّ الجهاز الحاكم في الدولة الإسلامية أو بعض قطّاعات الأمّة المسلمة فيمكن تلخيصها فيما يلي:

محنه انحراف الحكّام

في نظرة سريعة إلى عصر الإمام زين العابدين ـ بدءً باستلامه لمهامّ الإمامة بعد استشهاد أبيه(عليه السلام) وإلى استشهاده في ٢٥ محرّم الحرام سنة ٩٤ / أو ٩٥ ـ هجرية نلاحظ معاصرته لحكومة يزيد التي انتهت بهلاكه عام ٦٤ هجرية ثمّ حكومة مروان البالغة تسعة أشهر في الشام وحكومة ابن الزبير في مكّة، حيث بويع لعبد الملك بن مروان بعد هلاك أبيه عام ٦٥ هجرية.
وقد استمرّ التنافس بين ابن الزبير وعبد الملك حتّى عام ٧٣ هجرية حيث قتل ابن الزبير وخَلا كرسيّ

---
١ . راجع مقدّمته على الصحيفة السجّادية.

الحكم لعبد الملك حتّى سنة ٨٦ هجرية، ثمّ بويع للوليد بعد هلاك عبد الملك، واستمر حكمه حتّى استشهاد الإمام زين العابدين(عليه السلام) سنة ٩٤ أو ٩٥ هجرية.
إذن فترة حكم عبد الملك هي أطول فترة عاصرها الإمام(عليه السلام) حيث تبلغ العقدين (عشرين سنة) تقريباً.
و قد اجتمعت في هذا العصر عدّة عوامل لانهيار الحزب الأموي الحاكم ولكنّا نلاحظ استمرار الأمويّين في الحكم حتّى عام ١٣٢ هجرية فما هي الأسباب التي أدّت إلى دوام هذا الحكم الجاهلي المنحرف بالرغم من توفّر عناصر الهدم والانهيار؟
إذن لابدّ أن ندرس كلاً من عوامل الهدم إلى جانب عوامل الدوام، ثمّ نقارن بين المجموعتين لنرى الأسباب الواقعية التي وقفت وراء استمرار الحكم الأموي لمدّة تناهز سبعة عقود بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) . و من خلالها نقف على طبيعة الظروف الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي اتّصف بها عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) .

عوامل انهيار الحكم الأموي.

١ ـ ثورة الإمام الحسين(عليه السلام):
استطاعت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أن تكشف زيف الأقنعة الدينية التي كان يتقنّع بها الحكم الأموي الجاهلي حيث بدت القيم الجاهلية التي هدمها الإسلام واضحة في سلوك الأمويّين الحاكمين، واتّضح لكلّ القطاعات زيف الشعارات الدينية التي يرفعها الحاكمون

فإنّ الإمام الحسين(عليه السلام) قد قتل مظلوماً عطشاناً وهو يأمربالمعروف وينهى عن المنكر ويدعوالناس إلى الإلتزام بشريعة جدّه المصطفى(عليه السلام).

لقد أدان يزيد كلّ من اطّلع على أوامره بقتل الحسين بن عليّ(عليه السلام) قال الحافظ السيوطي:
«و لمّا قتل الحسين(عليه السلام) وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسرَّ بقتلهم أوّلاً ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحقّ لهم أن يبغضوه»[١].

وقد أحيت الملحمة الحسينية في سنة ٦١ هـ روح الإباء والعزّة والكرامة لدى المسلمين، وتجلّت هذه الحقيقة في المعارضة الدموية المستمرّة التي تمثّلت في الثورات المتتالية حتّى إسقاط الحكم الأموي فقد كانت ثورة أهل المدينة سنة ٦٢ هـ ، ثمّ تلتها ثورة التوّابين سنة ٦٤ هـ ، ثمّ ثورة المختاربن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة على الحكم الأموي سنة ٦٥ هـ . و غيرها.

٢ـ حركة الإمام زين العابدين(عليه السلام)و عقائل الرسالة:
لقدكانت خطب الإمام زين العابدين(عليه السلام)وعمّته زينب الكبرى(عليها السلام)
عقيلة بني هاشم في كربلاء والكوفة والشام والمدينة أهمّ حواضر العالم الإسلامي تشكّل الدور الثاني والمكمّل للثورة الحسينية العملاقة، وذلك لأنّ رسالة الثورة الحسينية لولا هذه الخطب الفاضحة لحقيقة التعامل الأموي مع أهل بيت الوحي و المفسّرة لأبعاد ومعالم الثورة الحسينية والكاشفة عن حقيقتها؛ لكانت شعارات الأمويّين المضلّلة تقضي على أهداف هذه الثورة العظيمة، فإنّ الأمويين حاولوا بكلّ جهدهم أن يصفوا الإمام الحسين(عليه السلام) بالخروج على شريعة جدّه، على العكس تماماً من واقع ثورته التي استهدف فيها الإطاحة بالحكم الجاهلي وإحياء شريعة جدّه(عليه السلام).
٣ ـ انهيار الحكم السفياني و انشقاق البيت الأموي:
لقد هلك يزيد سنة ٦٤ هـ بعد أن ارتكب الفضائح العظام التي تمثّلت أوّلاً بقتله للإمام الحسين(عليه السلام) ثمّ استباحته لمدينة الرسول(عليه السلام)وقتل الصحابة والتابعين فيها سنة ٦٢ هـ ثمّ هدمه الكعبة واستباحتها سنة ٦٣هـ .
و أمّا ابن يزيد وهو معاوية الذي بايعه أهل الشام، فلم يستمر حكمه أكثر من أربعين يوماً إذ أعلن عن تنازله عن العرش ومات بعدها في ظروف غامضه حتى قيل إنّه مات مسموماً[٢] بل أدان معاوية الأوّل و أباه يزيد بن معاوية، و بهذا انهار الحكم السفياني.

---
١ . تاريخ الخلفاء: ٢٠٨ .
٢ . الفخري: ١١٨.



عوامل استمرار الحكم الأموى

بالرغم من انتهاء الحكم السفياني عام ٦٤ هـ إلاّ أنّه أعقبه الحكم المرواني الذي استمرّ حتّى عام ١٣٢ هـ . وإذن لم يسقط الحكم الأموي الجاهلي بالرغم من تلاحم عدّة عوامل قوية لإبادته، وذلك لوجود عدة أسباب ساعدت على بقائه.
و إليك صورة موجزة و سريعة عن كل واحد من هذه الأسباب:

1 ـ الغطاء الشرعى للحكم المنحرف:

يتمثّل الغطاء الشرعي في مفردتين أساسيتين: الأولى: وعّاظ السلاطين. الثانية: مفاهيم عقائدية ودينية خاطئة.
بعد أن كشفت الثورة الحسينية زيف الخطّ الحاكم وجاهلية الحكم الأموي كان لابدّ للسلطة من استخدام بعض العلماء للتعاون معها وتوجيه خططها وسلوكها مثل محمّد بن مسلم بن شهاب (الزهري) والشعبي.
و كان لارتباط مثل هؤلاء بالسلطة دورإيجابي في إسباغ الطابع الشرعي على الحكم القائم.
كما كان لمفاهيم الجبر وحرمة الخروج على الحاكم المسلم وإسباغ طابع القدسية على الخلافة والخليفة وحرمة ترك الجماعة وحرمة نقض البيعة.. دور إيجابي أيضاً في التوجيه العقائدي والديني لتصرّفات الحاكمين.

2 ـ عدم التعرّض المباشر والصريح لأهل البيت(عليهم السلام) :

عرفنا إنّ أطول فترة حكم في عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) هي فترة حكومة عبد الملك بن مروان، وقد استفاد عبد الملك بن مروان من التجربة الخاطئة للحكم السفياني تجاه أهل البيت(عليه السلام).
فاستعمل سياسة مرنة تجاه الإمام زين العابدين والهاشميّين (بني عبد المطّلب) من جهة بينما شدّد على أتباعهم من جهة أُخرى وذلك امتصاصاً للنقمة ضد حكمه.
و قد أرسل عبد الملك إلى الحجّاج كتاباً جاء فيه:
«أمّا بعد، فانظر دماء بني عبد المطّلب فاحتقنها واجتنبها، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلاً».
و هناك محاولات دون القتل سجّلها التاريخ عن عبدالملك تجاه الإمام(عليه السلام) ، مثل غمزه بتزويج الإمام لمولاته التي أعتقها وتهديده للإمام بقطع رزقه من بيت المال إن لم يسلّمه سلاح رسول الله(ص) وإلقاء القبض على الإمام وتسريحه إلى دمشق[١].

3 ـ تفتيت جبهة المعارضه:

تركّزت سياسة الحاكمين الأمويّين بشكل عامّ على قمع وتفتيت جبهة المعارضة منذ عصر معاوية، وكان ذلك من خلال عدّة وسائل وقنوات:
منها: الرقابة التامّة والضغط الشديد الموجّه إلى مراكز التحرّك التي عرفها السفيانيون و هي مراكز الولاء

١ . انظر بحار الأنوار ٤٦ : ١٤٦ و ١٣٠ وكشف الغمّة ٢ : ٧٦ ـ ٧٩ .

لأهل البيت(عليه السلام) مثل الكوفة وما والاها.
و منها: الضغط الاقتصادي وسياسة التجويع.
لقد سلّط عبد الملك الحجّاج السفّاك للقضاء على حركة ابن الزبير ثمّ سلّطه على العراق حيث توجّه إلى شيعة أهل البيت(عليه السلام) فقتلهم شرّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة حتّى أنّ الرجل كان أحبّ إليه أن يقال له زنديق أو كافر من أن يقال له شيعة عليّ(عليه السلام).
وقد أوصى عبد الملك أبناءه بالحجّاج خيراً وطلب منهم الاستعانة به لأنّه هو الذي وطّأ لهم الملك بسفكه لدماء المعارضين[١].

الخلاصه

١ـ اتّسم عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ والذي أعقب موجة الفتوح الأُولى ـ بانفتاح الأمّة الإسلامية على سائر الشعوب ممّا أدّى إلى أن تواجه خطرين كبيرين: خطر المسخ الثقافي وخطر الانهيار الأخلاقي.
١ـ كانت نشاطات الإمام(عليه السلام) متجهة إلى معالجة الخطرين السابقين من خلال التأصيل العلمي والثقافي والتربية الأخلاقية، عن طريق ربط الإنسان بربّه في عالم المادّة من خلال الدعاء والتفاني في المعبود الحقّ.
٣ـ كان على الإمام (عليه السلام) أن يواجه انحراف الحكّام بنحو لا تتضرّر بذلك الدولة الإسلامية ككيان سياسي إسلامي، ولا يستغل الحكّام ذلك لتثبيت حكمهم المنحرف.
٣ـ جمع الحكّام مجموعة من عوامل البقاء إلى جانب عوامل الهدم التي كانت قد اجتمعت لانهيار الحكم الأموي الظالم، وتمثّلت هذه العوامل بالغطاء الشرعي للحكم المنحرف وعدم التعرّض الصريح والمباشر لأهل البيت(عليهم السلام)، وتفتيت جبهة المعارضة.
٤ـ كان على الإمام (عليه السلام) أن يستجيب لمتطلّبات هذه المرحلة بشكل خاصّ إلى جانب اهتمامه بمتطلبات المسلمين على المدى البعيد بشكل عامّ أيضاً.

---

١ . راجع تاريخ الخلفاء ومروج الذهب واليعقوبي : حياة عبد الملك.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 21

ملامح عصر الإمام زين العابدين(ع)

المقدمه

تعرضنا في الدرسين السابقين إلى أهم الخطوط العريضة في تاريخ إمام آخر من أئمة الهدى عليهم السلام وهو الإمام زين العابدين عليه السلام، نواصل اليوم هذه المهمة فنتكلم في ملامح التخطيط في سيرة هذا الإمام الهمام.

المحتوى العلمى

إذا عرفنا أوّلاً المهامّ الأساسية التي إختارالله لتحقيقها أهل بيت الرسالة بعد الرسول(صلى الله عليه و آله) والتي هي صيانة الرسالة و الأُمّة و الدولة الإسلامية من الضياع، حيث جاهد الرسول(صلى الله عليه و آله)و الصفوة الخيّرة من صحابته من أجل تبليغ وتطبيق النظام الإسلامي و إرساء قواعده على وجه الأرض.
و عرفنا ثانياً التخطيط الماكر الذي قام به أعداء الإسلام لمحو الإسلام المحمّدي المتمثّل في خط أهل بيت الوحي، و ذلك من خلال عزل أهل بيت الرسالة (عليه السلام) عن مزاولة مهامّهم الرسالية في الميدان السياسي و الاجتماعي بالإضافة إلى الميدان التشريعي والتربوي والتثقيفي.
و عرفنا ثالثاً الأساليب و الأُطر و القنوات التي تمّ من خلالها هذا العزل، وعرفنا النتائج التي كان يتوقّع حصولها بعد هذا العزل الذي اقترنت بالتزام أهل البيت(عليه السلام) بالأصول الأخلاقية والمنهج القِيَمي الذي دعا إليه الإسلام وأرسى قواعده الرسول(صلى الله عليه و آله) إلى جانب معرفة الأعداء بالتزام أهل البيت(عليه السلام) بأصول الشريعة و الرسالة وعدم تخطّيهم عن قِيَمِها، وعدم الالتواء في التعامل حتّى مع أعدائهم.
إذا عرفنا جميع ما سبق، نكون قادرين حينئذ على فهم عظمة الدور الذي قام به أهل البيت (عليه السلام) في الظروف الحرجة التي كان ينبغي من خلالها أن يُحفظ تراث الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثمرة جهاده من الضياع ويقاوم الانحراف العميق الذي بدأ بالظهور والتطوّر بسرعة فائقة والنفوذ في جسم الأُمّة والدولة وأخذ يتسرّب إلى الرسالة والشريعة بشكل تدريجي.

و لولا صبر أهل البيت(عليه السلام) وأناتهم وحلمهم، ولولا تخطيطهم الحكيم الذي كان يجمع الأصالة والدقّة والعمق والمشروعية; لما كان ينحدر الباطل القابع تحت ستار الشعارات الإسلامية البرّاقة، ولما كان الباطل المختبئ تحت أُطر ومفاهيم دينية ينكشف لعامّة المسلمين، ولما كان التاريخ يخلّدهم كأبطال حملوا لواء التضحية والفداء من أجل العقيدة الإلهية والشريعة الربّانية.

الأخطار التى واجهت الأمّه فى عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام)

و أما الأخطار التي واجهت الأُمّة في عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) ، فأهمها ما يلي:

1 ـ المسخ الثقافى:

لقد داهم الأُمّة في عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) خطر المسخ الثقافي، وذلك بسبب انفتاحها على الأُمم التي دخلت الإسلام عن طريق الفتوحات، وهذه الأُمم كانت تملك أبعاداً حضارية منحرفة عن خط التوحيد الخالص، كبلاد فارس، والبلدان الخاضعة للروم، وكان حكّام المسلمين غارقين في لهوهم ولا يهمهم ما سوف يصيب الأُمّة من فقدان لأصالتها الفكرية والمبدئية.
تصدي الإمام (عليه السلام) لهذا الخطر
ولكنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) تصدى بكلّ ما أُوتي من قوة إلى ذلك من خلال عدة محاور آخذاً بنظر الاعتبار ظروف التقية التي كانت تحيط به.
المحور الأول: جلوسه في مسجد النبي(صلى الله عليه و آله) في المدينة، يلقي فيه دروساً يتحدث فيها بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وعقائد... .
المحور الثانى: تصديه للرد على الشبهات، وعلى أصحاب العقائد الفاسدة التى بدأت تنتشر في زمانه، كالمجبّرة، والمجسّمة، والصوفية، وأمثال ذلك.
المحور الثالث: تبني مجموعة من النابهين ممن يمكن الاعتماد عليهم كأبان بن تغلب، وإسماعيل بن عبدالخالق، وثابت بن أبي صفية، ورشيد الهجري، وأمثالهم، فأخذ هؤلاء يبثون العلوم الحقة بعد تلقيها من الإمام(عليه السلام) إلى الناس في بقاع الأرض.
المحور الرابع: شراء العبيد ثمّ عتقهم، بعد أن يدخلهم في بيته أو مزرعته دورة عملية في الأخلاق والعبادة، وبعد أن يربهم الإسلام الحقيقي المتمثّل بسلوكه وأفعاله وأقواله، ويمنعهم ما يمكّنهم من

شقّ طريق العيش الكريم بعد عتقهم، وكان(عليه السلام) يعتق الألف أو ما يزيد كلّ عام.
وهذا المحور له بعده في علاج الخطر الوارد من حيث أنّ المعتقين أصبحوا يشكّلون جيلا من التلامذة الواعين للإسلام مما يؤدي إلى انعكاس ما عرفوه من الحق إلى كلّ من يتصل بهم من الأقربين والأبعدين، خصوصاً وأنّ بعض العبيد بعد تحرّرهم كانوا يهاجرون إلى بلدانهم أو بلدان أخرى غير المدينة المنورة.

2 ـ المسخ الأخلاقی:

كما داهم الأُمّة أيضاً المسخ الأخلاقي: ، وهو ما أوجب الانسياق وراء الملذات الدنيوية، حيث انفتح المسلمون على العالم بعد الفتوحات، وهذا الانفتاح أدّى إلى فتح أسواق عديدة وحركة تجارية، واتصال مع ما توصلت إليه تلك الأمم من رقي و وسائل للترف، خصوصاً وأنّ حكّام المسلمين كانوا منساقين وراء هذه الملذات حتى سرت إلى ما هو محرم في الشريعة، كشرب الخمر، والغناء، وأمثال ذلك.
إنّ موجات الرخاء تُعرِّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا والإسراف في زينة الحياة المحدودة وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر وبما تصنعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كثيرة، وهذا ما وقع فعلا. وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ليتّضح الحال[1].



تصدى الإمام (عليه السلام) لهذا الخطر

و قد تصدّى الإمام (عليه السلام) لخطر المسخ الأخلاقي من خلال محاور عديدة، منها:
المحور الأول: الدعاء، فإنّ الإمام بيّن واقع الإسلام مبدءاً، وعقيدة وشريعة ومنهجاً من خلال أدعية المتنوعة والمختلفة وفي مختلف المناسبات، والأزمنة، فقد جمع الإمام بين الدعاء لله والدعوة إلى الله بأدعيته المباركة، ومن جملة تلك الأدعية ما جمع في الصحيفة السجادية المباركة، فإنّ هذه الصحيفة تحدّث عند من يجعلها محور حركته وسلوكه التوازن الحقيقي بين جميع الارتباطات والعلاقات المتنوعة.
المحور الثاني: سلوكه الخاص المتميّز، فقد عرف بالعبادة والورع وكثرة السجود، و معاهدة القرآن، وبالزهد عن ملاذ الدنيا مع التمكّن منها، والسخاء، والإنفاق، و السماحة والحلم، وغير ذلك من السجايا الحميدة الربانية والتي كان المجتمع آنذاك بحاجة ماسة إلى رؤيتها متجسدة في شخص حتى لا يطرق أذهانهم مثالية هذه الخصال إذا لم يشاهدوها متجسدة في شخص.
المحور الثالث: بيان الحقوق كاملة وبأبعاد دقيقة من خلال رسالته المعروفة برسالة الحقوق التي بيّن فيها الإمام حقوق أعلى مقام في الوجود وهو الله عزّوجلّ إلى أدنى مقام كحقّ الأعضاء، كالعين، واليد، واللسان، والسمع، وكذلك بيّن حقوق الرعية بجميع أصنافهم، وهي رسالة لا يقاس بها صحيفة حقوق الإنسان التي يتبجح بها الغرب اليوم، وكانت تلك الرسالة ضرورية في وقتها لعلاج ذلك الخطر كما هي ضرورية اليوم.

الحفاظ على الدوله الإسلاميه:

بالإضافة الى التصدي للخطرين الحساسين السابقين، فقد اتخذ الإمام(عليه السلام) و بدافع من إحساسه بالمسؤولية والقيام بمهمته، المواقف الجليلة للحفاظ على كيان الدولة الإسلامية، وهى عديدة، منها إبداء العلاج الناجح في أزمة النقد التي أراد ملك الروم أن يحدثها.
و حاصل القضية: أنّ الحاكم الأموي عبدالملك بن مروان عندما أمر بتبديل تطريز الثياب و القراطيس الموجودة في البلاد الإسلامية، من تطريز شعار المسيحية ـ الأب والإبن و الروح ـ إلى تطريز ـ شهد الله

١ . راجع مقدمة الصحيفة السّجادية للشهيد الصدر.

أنّه لا إله الاّ هو ـ اعترض ملك الروم وطلب من عبدالملك إرجاع التطريز السابق، ولكنّه رفض، وهذا الرفض أثار غضب ملك الروم وهدّده في حالة عدم إرجاع التطريز السابق بأنه سوف يضرب على النقد المتداول في بلاد الإسلام الذي كان يصنع في بلاد الروم ما فيه شتم النبي(صلى الله عليه و آله) وحينها احتار عبدالملك في علاج الموقف، ولكن أشار روح بن زنباع على عبد الملك بأن يبعث إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) ليبيّن له المخرج من هذه الأزمة، وبالفعل بعث إلى الإمام، ولما أطلعه على المأزق الذي فيه أبدى الإمام(عليه السلام) الحلّ الذي يوجب عزة الدولة الإسلامية وهو بأن يضرب في بلاد الإسلام النقد الخاص بها، ثمّ الأمر بإلغاء النقد السابق والتوعّد بأشدّ العقاب لمن يتداوله في بلادالإسلام،+ ولماعرف ملك الروم ذلك أُسقط ما في يده إذ لافائدة من ضربه نقوداً لاتتداول[١].

تعريه الحكّام المنحرفين:

ومع مواقفة الجليلة للحفاظ على كيان الدولة الإسلامية، كان يسلك عدة طرق يعري من خلالها الحكّام الظلمة من غطاء الشرعية الذين كانوا حريصين على توفره، بعد أن انكشف زيف الخط الأموي الحاكم وانحراف الحكّام لدى قطاع واسع من المسلمين، ومن تلك المحاور.

المحور الأول:

الحرص على طرح البديل الصحيح الذي يمثّل خط أهل البيت(عليه السلام) الذين هم الأُمناء على الرسالة والشريعة وبه ينفضح الخط المنحرف والذي على رأسه الجهاز الحاكم، فقد كان مجموعة من الفقهاء والرواة يشكّلون وجهاً علمياً وثقافياً معترفاً به لدى الحكّام باعتبارهم امتداداً لمدرسة الصحابة التي استهدفوا منها إيجاد بديل مقبول لأهل البيت(عليه السلام).

المحور الثانى:

إظهار الحزن، وكثرة البكاء على انتهاك العنصر المقدس ألاّ وهو الإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة، حتى تعرف الأجيال على مرّ التاريخ ظلامة أهل البيت (عليهم السلام) وما اتّصف به الأمويون من القساوة والفظاعة وخروجهم عن حريم الدين والشريعة، وتنمرهم تجاه العدل والمروءة والإنسانية ... .

المحور الثالث:

بيان زيف وعاظ السلاطين الذين هم المصدر الأساس في إعطاء الغطاء الشرعي لتصرفات الحكّام المنحرفين لدى عامة المسلمين، ببث أفكار ومفاهيم تدعو إلى الاستسلام والخنوع وتشويه خطّ أهل البيت(عليه السلام)، وذلك من خلال مناظراته معهم وبيان زيفهم، وكشف مقامهم الهابط الذي لا يصلح لأن يكون مرجعاً في إعطاء الشرعية لتصرفات الغير.

مدرسه الإمام زين العابدين(عليه السلام)

سارت الحكومة الأموية من أجل إحكام سيطرتها على رقاب المسلمين في خط إماتة الوعي ومحاربة العلم وإنشاء مذاهب أو تيارات عقيدية تنتهي إلى الجمود الفكري والركود العلمي بالتدريج، ولكنّ الإمام (عليه السلام) بدأ بإنشاء مدرسته العلمية، وإيجاد حركة فكرية عن طريق حلقات البحث والتدريس في مسجد الرسول(صلى الله عليه و آله) وبما يثيره في خطبه في صلوات الجمع أُسبوعياً، فحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد، واخلاق و... . وكان يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على التفقه والاستنباط.

وقد تخرج عدد غفير من فقهاء المسلمين يحملون وعي الإمام وروحه وعلمه وكانت هذه الحلقات هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية[٢].

ومن جملة طلابه العدد الكبير ممن عرفوا بالقراء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلم والتعليم آنذاك، فوصل الحال أنّ هؤلاء القرّاء لا يفارقون الإمام (عليه السلام) في حضر أو سفر، حتى قال سعيد بن المسيب: إنّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب[٣].

وهكذا، حقّق الإمام (عليه السلام) غاياته المتوخاة من خلال مدرسته، والتي تبنى مواصلة عملها الأئمة(عليه السلام) من بعده. مما أحدث ثقلا في الأمة أوجب أن يوقف اندفاع الحكّام ومن سار في ركبهم في تخريب المعالم الأساسية للأُمة الإسلامية، وأحدث عند الأمة شعوراً بضرورة الارتباط بأهل البيت(عليه السلام) وأصبح الولاء القلبي لهم مَعْلَماً واضحاً لدى عامة العلماء وبالتدريج لدى قطاعات

١ . البداية والنهاية ٩ : ٦٨، هذا وذكر أنّ الذي قام بهذا الحلّ هو الإمام محمدالباقر(عليه السلام) ولا مانع من ذلك من أن يكون الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد نفذ الخطة بواسطة ابنه الإمام الباقر(عليه السلام).

٢ . راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجادية.

٣ . راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجادية.

كبيرة من المسلمين.

استشهاد الامام(عليه السلام)

كان وجوده (عليه السلام) يمثّل خطورة حقيقية، بعد قيامه بكل ما تقدّم من المهام أوجبت الحدّ من حركتهم بل وفضحهم، ولذا شق على الأمويين ذلك وأقض مضاجعهم، وبالأخص الوليد بن عبد الملك، فقد روى الزهري أنّ الوليد قال: لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا[١]. ولذا أجمع رأيه على اغتيال الإمام (عليه السلام)، فبعث سماً قاتلا إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّ للإمام (عليه السلام)[٢] وبالفعل نفذ عامله ما أمره به فانتقل الإمام (عليه السلام) إلى جوار ربّه سلام الله عليه.

الخلاصه

١ـ كلّ من يقف على خصائص عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) ويلاحظ سلوك الإمام (عليه السلام)يجد انسجاماً كبيراً بين سلوكه وسيرته وبين متطلّبات عصره، فكان تخطيطاً واقعياً كان يتحكّم في سيرته وسلوكه (عليه السلام).
٢ـ يتلخّص نشاط الإمام زين العابدين (عليه السلام) في كشف الأقنعة المزيّفة التي قبع الحاكمون تحتها مستغلّين غطاءً دينياً يتمثّل في توجيه الحكم المنحرف وإعطائه صبغة دينية إسلامية لمفاهيم خاطئة كان يروّجها هؤلاء المرتبطون بالبلاط، كمفهوم الجبر وحرمة الخروج على الحاكم المسلم وإن كان ظالماً.
٣ـ كان بناء جامعة أهل البيت (عليهم السلام) بشكل تفصيلي هو العلاج الأساسي للقضاء على هذه المشكلة الجديدة التي اتّجهت الحكومات للتسلّح بها.
٤ـ كانت لأهل البيت(عليهم السلام) مواقف إيجابية مع الدولة الإسلامية إلى جانب مواقفهم السلبية من الحكّام المنحرفين.
٥ـ كان اتّجاه الإمام (عليه السلام) إلى حقل الدعاء كعلاج ضروري تتطلّبه ظروف عصره وما تلاه من العصور.

---

١ . حياة الإمام زين العابدين: ٦٧٨ .
٢ . منتهى الآمال ٢ : ٥٧ .

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 22

عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من الكلام في أهم الخطوط العريضة في تاريخ الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وندخل اليوم في تاريخ إمام آخر من أئمة الهدى، حيث نتناول بالكلام أهم الخطوط العريضة في تاريخه أيضا ، وهو الإمام الباقر (عليه السلام).

المحتوى العلمى

مولده و كنيته و ألقابه

ولد أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين (عليه السلام) بثلاث سنين .
و أما نسبه أبا و أما ، فأبوه زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) و هو هاشمي من هاشميين علوي من علويين.
و أما كنيته : فأبو جعفر لاغير ، وله ثلاثة ألقاب : الباقر و الشاكر و الهادي ، أشهرها الباقر ، و لقب بذلك لبقره العلم و هو تفجره وتوسعه.

من القاب الامام الباقر(ع):
- الباقر
- الشاكر
- الهادي

و روى *جابر بن عبد الله الأنصاري قال*: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) :
يا جابر يوشك أن تلتحق بولد لي من ولد الحسين (عليه السلام)، اسمه كاسمي، يبقر العلم بقرا - أي يفجره تفجيرا - فإذا رأيته فاقرأه عنى السلام . قال جابر (رض) : فأخر الله تعالى مدتي حتى رأيت الباقر (عليه السلام) فأقرأته السلام عن جده رسول الله (صلى الله عليه و آله).[١]

التعريف بحكام عصر الإمام الباقر (عليه السلام).

الوليد بن عبد الملك

كان الوليد هو الحاكم على البلاد الإسلامية عند تولي الإمام الباقر(عليه السلام) الإمامة، فقد استولى على الحكم سنة ٨٦ هـ ودام حكمه تسع سنين وسبعة أشهر، حيث توفي في دير مروان سنة ٩٦ هـ ، وكان عمره ٤٥ سنة[٢].
و من صفاته:
أ ـ جبّاراً ظالماً[٣]، حتى قال عنه عمر بن عبد العزيز: إنّه ممن امتلأت الأرض به جوراً[٤].
ب ـ يغلب عليه اللحن.
ج ـ كان كثير النكاح و الطلاق و يقال أنّه تزوّج ثلاثاً و ستين امرأة غير الإماء[٥].
وقد وقع الخلاف بينه وبين أخيه سليمان; لأنّ الوليد أراد خلع سليمان ومبابعة ابنه عبد العزيز، ولكن سليمان أبى، ولم يجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم وبعض الخواص، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوة ولكنّه مات قبل ذلك[٦].
سليمان بن عبدالملك.
استولى على الحكم بعد موت الوليد سنة ٩٦ هـ ، و أوّل ما قام به هو عزل ولاة الوليد، و بالأخص عمّال الحجاج بن يوسف[٧].

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢ :٨٧٩ – ٨٨٢.
٢ . تاريخ ابن الأثير ٤ : ١٣٨.
٣ . تاريخ الخلفاء، للسيوطي : ٢٢٣.
٤ . نفس المصدر.
٥ . الإناقة في مآثر الخلافة ١ : ١٣٣.
٦ . المنتظم ٧ : ١٢.
٧ . الكامل في التاريخ ٥ : ١١.

و قد أطلق بعض السجناء، ويذكر أنّه أطلق في يوم واحد واحداً وثمانين ألفاً[١]، وإنّما فعل ذلك تقرّباً للناس. و من جهة أُخرى غلب عليه طمعه وجشعه إلى الإجحاف في جباية الخراج حتى كتب إلى عامله على مصر، أُسامة بن زيد التنوخي عندما سأله التخفيف على الرعية: هبلتك أُمّك، احلب الدرّ فإذا انقطع فاحلب الدم[٢]. و لم يدم حكمه إلاّ ثلاث سنوات، فقد توفي في سنة ٩٩ هـ [٣].

عمربن عبدالعزيز

تقلّد الحكم بعهد من سليمان بن عبدالملك.

خصائص عهد عمر بن عبد العزيز

ومن خصائص عهد هذا الحاكم أنه في عهده:
أ ـ لمس الناس الأمن والرفاه بشكل نسبي.
ب ـ رفع سبّ الإمام علي(عليه السلام) بعد كلّ صلاة واستبدله:
إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.
ج ـ أظهر صلته بالعلويين، فقد أعطى عشرة دنانير لأبناء علي وفاطمة، بينما كان الأمر بالعكس في زمن الحكّام الأمويين قبله.
د ـ ردّ فدك، حيث سلّمها إلى الإمام الباقر(عليه السلام).

المؤاخذات التى تؤاخذ على عمر بن عبد العزيز

على الرغم من الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز ، إلا أنه قد أُخذ عليه بعدة مؤاخذات، منها:
١ ـ أقر القطائع التي اقتطعها من سبقه من الأمويين مع أنّها بغير حق.
٢ ـ لم يستبدل العمّال على البلاد الإسلامية،مع أنّهم جهدوا في ظلم الناس وابتزاز أموالهم.
٣ ـ أقر العطاء الذي كان للأشراف، مع أنّه مما يتنافي مع المبادئ الإسلامية.
٤ ـ زاد عطاء أهل الشام عشرة دنانير ولم يفعل مثله لأهل العراق.
توفي في سنة ١٠١ هـ ، وقيل مات مسموماً من قبل بعض الأمويين تخوّفاً من أن يعهد بالخلافة لمن يصلح لها فعاجلوه[٤].
يزيد بن عبدالملك.
استولي على الحكم بعهد من أخيه سليمان، وقد أقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسيرة عمر بن عبد العزيز، ولكن شقّ ذلك على بني أُميّة فآتوه بأربعين شيخاً شهدوا عنده بأنّه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب[٥] فعدل عن سياسة عمر وساس الناس سياسة عنف وجبروت، فكتب إلى عمّاله بعد أن عزل عمّال عمر بن عبد العزيز: أمّا بعد فإنّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى... [٦]. فعاد الظلم بأبشع صورة.

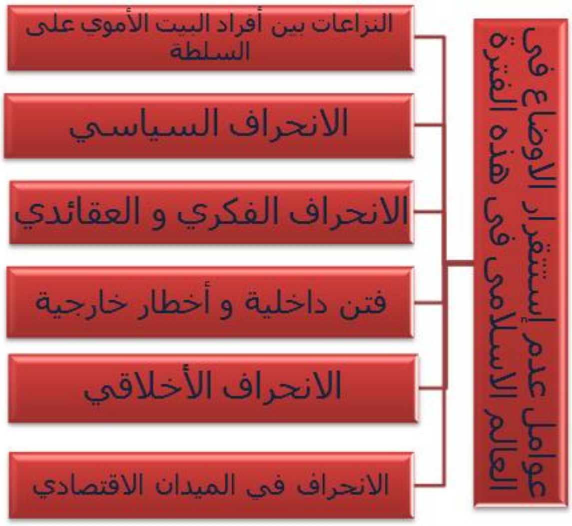
هشام بن عبدالملك المسمّى بأحول بنى اُميّه

استولي على الحكم بعد وفاة أخيه سنة ١٠٥ هـ . وكان من صفاته:
١ ـ البخل بل كان شديد البخل[٧].
٢ ـ فظاً ظلوماً شديد القوة.
لقي الإمام الباقر(عليه السلام) في عهده ضروب المحن و الآلام ومن ذلك إشخاصه إلى الشام ثمّ اعتقاله هناك إلى أن فرّج الله عنه،و حاول هشام اغتيال الإمام أكثر من مدّة و لكنّ الإمام(عليه السلام) ينجو من ذلك إلاّ في المرّة الأخيرة، حيث دسّ إليه السم[٨].
٢ ـ التعرّف على الأوضاع في العالم الإسلامي.
لم تكن الأوضاع مستقرّة في العالم الإسلامي في هذه الفترة لعدّة عوامل منها:
أ ـ النزاعات بين أفراد البيت الأموي على السلطة، وقد عرفت شطراً منه.

---

١ . تاريخ ابن عساكر ٥ : ٨٠ .
٢ . الجهشياري : ٣٢.
٣ . تاريخ ابن الأثير ٤ : ١٥١.
٤ . الإناقة في مآثر الخلافة ١ : ١٤٢.
٥ . تاريخ ابن الأثير ٤ : ٢٣٣.
٦ . العقد الفريد ٣ : ١٨٠.
٧ . البخلاء: ١٥٠.
٨ . بحار الأنوار ٤٦ : ٣١٢.

ب ـ الانحراف السياسي، فقد حوّلوا الخلافة إلى ملك يتوارثونه ووزعوا المناصب على أقربائهم وأبناءهم، ولم يراعوا في ذلك كلّه الكفاءة.
ج ـ الانحراف الفكري والعقائدي؛
فإنّ الانحرافات تطوّرت إلى تيارات واتّجاهات حتى انتشرت، عقيدة المجبّرة، والمفوضة، و المرجئة، والمجسمة والمشبهة، والزندقة التي جحد أصحابها البعث والنشور وأسقطوا العقاب و الثواب و التصوف الذي ينادي بالاعتزال عن الحياة، وأمثال ذلك، وصاحب رواج ذلك كلّه ظواهر منحرفة عديدة كفصل الدين عن السياسة، والعمل بالقياس والإفتاء بالرأي، ويشاع الاختلاف الأحاديث، والاشتغال بطرح أُمور لافائدة فيها كشاغل للناس عن أُمور مصيرية.
د ـ فتن داخلية و أخطار خارجية، فإنّ قتيبة بن مسلم خلع سليمان بن عبدالملك واستقلّ في خراسان[1]، وأمّا يزيدبن المهلب فقد خلع يزيدبن عبدالملك و إن تمكّن الأخير من قتله بعد ذلك. و قد ثار زيد بن علي بن الحسين في زمن هشام بن عبدالملك، و إن تمكّن الأخير من القضاء على الثورة وقتل زيد. هذا على مستوى الأخطار الداخلية و أمّا الأخطار الخارجية، فقد ظفر الخزر بالمسلمين و انتصروا عليهم في بعض الثغور و كان في سنة ١٠٤ هـ و هذا الحدث له دلالته التي تكشف عن ضعف هيبة الدولة في نظر الأعداء.
هـ ـ الانحراف الأخلاقي، فالأمويون حوّلوا الأنظار إلى الغزوات و حشدوا الطاقات البشرية لفتح البلدان طلباً للغنائم وتوسّعاً في السيطرة، و هذا أدّى إلى تشتيت الأُسر بغياب المعيل والراعي أو فقدانه، وإلى كثرة العبيد من جواري وغلمان مما أدّى التشجيع على اقتنائهم وبالأخص الذين يتملّكون القدرة على الغناء فشاع الغزل والتشبيب بالنساء[2]وشرب الخمر وأمثال ذلك حتى أصبح اللهو و المجون عند الحكّام ومن تبعهم مقدّماً على كلّ هموم الدولة، ولقد طرب يوماً يزيدبن عبدالملك حتى قال: دعوني أطير. فقالت له جاريته حبابة: على من تدع الأُمّة؟ قال: عليك، و لما ماتت تركها ثلاثة أيام دون دفن حتى نتنت، و بقي سبعة أيام لايظهر للناس[3].
و ـ الانحراف في الميدان الاقتصادي، فأموال بيت المال كانت تصرف في ملذات الحكّام و الأُمراء ولم تستثمر في مشاريع تنعش الحالة الاقتصادية في البلاد الإسلامية[4].



الخلاصه

١ـ زخر عصر الإمام الباقر(عليه السلام) بالإضطرابات السياسية الحادّة والصراعات الفكريّة العميقة، نتيجة السياسة الأموية المنحرفة.
٢ـ أحدقت بالوطن الإسلامي أخطار خارجية وداخلية. ويمكن تلخيص أبرز مظاهر الإنحراف في عهد الإمام بما يلي:
١ ـ الانحراف الفكري والعقائدي: وتمثّل هذا الإنحراف بشقّيه في تزوير الحديث والتلاعب بآيات الكتاب، وظهرت حركة الزندقة لطمس معالم الرسالة الإسلامية وسنّة رسول الله(عليه السلام) وفضائل أهل

---
١ . تاريخ ابن خلدون ٥ : ١٥١.
٢ . الأغاني : ٢١٩.
٣ . الكامل في التاريخ ٥ : ١٢١.
٤ . الأغاني ٧ : ١٠٩ و ١ : ٣٣٩ و مروج الذهب ٣ : ٧٦.

البيت(عليهم السلام). وانتشرت أفكار التفويض والجبر والتجسيم والتشبيه لله بخلقه.
٢ ـ الانحراف السياسي: وتمثّل ذلك في تحويل الخلافة إلى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء دون سابقة علم أو تقوى.
٣ ـ الانحراف الإجتماعي والأخلاقي: وتمثّل في تمزيق وحدة المسلمين، وضياع مكارم الأخلاق وإشاعة الفساد الخُلقي وشغلت الأمّة بحروب طحنت الرجال وبقيت الأُسر لا كافل لها فلجأت إلى الإنحراف والشذوذ الخلقي.
٤ ـ الانحراف الاقتصادي: فقد تحوّلت الأموال في ظلّ الحكم الأموي إلى ملك شخصيّ، وشاع مفهوم أنّ الأموال وديعة عند الحاكم يتصرّف بها ما يشاء وينفقها لشراء الضمائر التي تشيد بالحاكم وتدعو إلى إطاعته فضعفت مشاعر الرحمة والتعاطف والإيثار.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 23

نشاط الإمام (ع) لإصلاح الواقع الفاسد

المقدمه

تناولنا بالكلام في الدرس السابق أهم الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الباقر (عليه السلام)، حيث تكلمنا عن مولده واسمائه وكناه وأهم الحكام الذين عاصرهم عليه السلام، وما نريد أن نتعرض إليه في هذا الدرس، هو نشاطاته التي قام بها لإصلاح الواقع الفاسد الذي عاشه المجتمع ذلك الوقت.

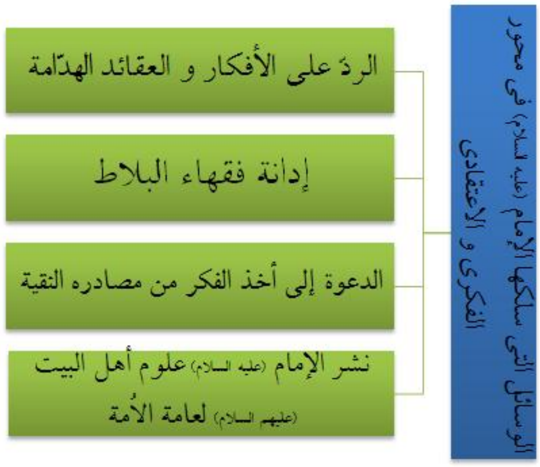
المحتوى العلمى

كان نشاط الإمام (عليه السلام) لإصلاح الواقع الفاسد يدور حول محورين أساسيين:
الأول: محور النشاط العام.
فقد تحرّك الإمام (عليه السلام) في أوساط الأُمّة لإعادتهم إلى خطّ الاستقامة، و قد تمّ ذلك ضمن محاور عديدة منها:

محور الإصلاح الفكرى والعقائدى

و كانت الوسائل التي سلكها الإمام (عليه السلام) لهذا المحور عديدة، نذكر منها:
أ ـ الردّ على الأفكار والعقائد الهدّامة والمذاهب المنحرفة بالأدلة الدامغة والبراهين الواضحة، وله حوارات عديدة مع أئمة المذاهب، كالحسن البصري ومحمدبن المنكدر، الذي هو من مشاهير زهّاد ذلك العصر، ونافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج، وعبدالله بن محمد البصري، وقتادة بن دعامة البصري[1].
ب ـ إدانة فقهاء البلاط وغيره أمثال قتادة بن دعامة البصري، وأبوحنيفة بن النعمان، يقول الأُستاذ محمد أبوزهرة كتعليق على هذه الإدانة: تتبيّن إمامة الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة[2].
ج ـ الدعوة إلى أخذ الفكر من مصادره النقية، قال الامام الباقر(عليه السلام) لسلمة بن كهيل، وللحكم بن عتيبة:
«شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا»[3].
د ـ نشر الإمام (عليه السلام) علوم أهل البيت (عليه السلام) لعامة الأُمة وقد أخذ منه جملة ممن له وزنه وثقله في المجتمع، أمثال *عطاءبن رباح*، وعمروبن *دينار*، *والزهري*، و *ربيعة الرأي*، *وابن جريح*، *والأوزاعي*، *وبسام الصيرفي*، وغيرهم[4].
فقد حقق الإمام(عليه السلام) مرجعيته الدينية لكل هؤلاء حتى قال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلّم[5].
و بهذه الخطوة أرسى الإمام (عليه السلام) قواعد المدرسة الفقهية النموذجية التي واصل مسيرتها ونمّاها من بعده الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، و كان إيجاد هذه الخطوة ضرورياً للأُمّة الإسلامية; لأنّها كانت لا تفقه من أُمور دينها القليل و لا الكثير بسبب الأحداث والاضطرابات السياسية ولإهمال الحكّام الشؤون الدينية إهمالا تاماً.
و كان من أهم مميزات هذه المدرسة الفقهية هوالاعتماد على الكتاب والسنّة الصحيحة; فإنّ الإمام كان يسند الحديث إلى رسول الله(ص) و إذا ما أرسله و لم يسنده فإنّ سنده هو والده زين العابدين(عليه السلام) عن الحسين بن علي الشهيد عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) عن رسول الله(ص) عن جبرائيل عن الله سبحانه و تعالى...[6].
مضافاً إلى تعليم الآخرين،ممن له أهلية،كيفية الاستنباط الصحيح للمسائل و الموضوعات المستجدة، و التحذير من استعمال القياس، و إعمال الرأي الشخصي الذي لا يخضع إلاّ للمزاج الشخصي.

١ . أعيان الشيعة ١ : ٦٥٣.
٢ . تاريخ المذاهب الإسلامية: ٦٨٩.
٣ . الكافي ١ : ٣٩٩.
٤ . سير أعلام النبلاء ٤ : ٤٠١.
٥ . مختصر تاريخ دمشق ٣ : ٧٩.
٦ . أعلام الورى: ٢٩٤.



محور الإصلاح السياسي

و قد تمّ ذلك من خلال عدّة أمور:

أ ـ نشر الوعي السياسي في الأمّة، من خلال طرح الفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت(عليه السلام) مما نوّر الأمة بشكل أدركت عدم صحة إبراز المعارضة المسلحة ما لم تكتمل شروطها من حيث العدّة والعدد، واتّضح للأمّة وجود وسائل وآليات أُخرى تكون وسيلة ضغط على الحكومة توجب الحدّ من تصرفاتها المستبدة والظالمة،

ولهذا حثّ الأمّة على التمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلاّ وقعت الأمة في البلاء،

قال الإمام الباقر(عليه السلام): إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحين، وفريضة عظمية بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمر الأرض وينتصف بها من الأعداء ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، وألفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم...[١].

ب: فضح الواقع الأموي: و قد تمّ ضمن عدّة نشاطات:

١ ـ التصريح بفسادهم وباطلهم للأشخاص الذين يطمئن من إخلاصهم وسلامتهم[٢].

٢ ـ الدعوة إلى مقاطعة الحكم القائم، والنهي على العمل معهم وإعانتهم[٣].

٣ ـ مواقفه المباشرة من الحكّام المعاصرين مراعياً في ذلك ما تقتضيه ظروف التقية، و من ذلك موقفه(عليه السلام) من هشام بن عبدالملك عندما استقدمه إلى الشام، و لم يسلّم الإمام عليه بالخلافة، قال هشام: يا محمدبن علي لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه و زعم أنّه الإمام سفهاً وقلّة علم... ثمّ سكت هشام فانبرى عملاؤه وجعلوا ينالون من الإمام ويسخرون منه. وهنا تكلّم الإمام(عليه السلام) فقال:

أيّها الناس، أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل، فإنّ لنا ملكاً مؤجلاً، و ليس بعد ملكنا ملك لأنّا أهل العاقبة و العاقبة للمتقين ...[٤]،

ثمّ خرج الإمام(عليه السلام) بعد أن ملأ نفوسهم حزناً وأسى، ولم يستطيعوا الرد على منطقه القوي.

---

١ . تهذيب الأحكام ٦ : ١٨.
٢ . شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٢ ـ ٤٤.
٣ . الكافي ٥ : ١٠٧.
٤ . بحارالأنوار ١١ : ٧٥.



محور الإصلاح الاجتماعي

لقد بذل الإمام الباقر(عليه السلام) عناية خاصة لإصلاح أخلاق أبناء المجتمع الإسلامي بدءً بالمقربين منه ثمّ سائر الأوساط الاجتماعية بل والمؤسسات الحكومية، وكان يستثمر جميع الفرص الممكنة لإيجاد التغيير المطلوب، ولهذا تعددت الأساليب التي كان يتبعها لتحقيق هذا التغيير، ومن ذلك:
أ ـ نشر الأحاديث النبوية التي تتعرض إلى البناء الأخلاقي للمسلم مضافاً إلى نشر النصوص التي تحذر من ضياع المبادئ الخلقية; لأنّ قيمة الأمّة والحفاظ على هويتها يكون من خلالها التمسك بالأخلاق فإذا ذهبت الأخلاق ذهبت هوية الأمّة وانمسخت.
ب ـ تربية النخبة من الأُمّة حتى تأخذ دورها في تربية الأمّة، والأخذ بيدها إلى السلوك السوي والخلق الرفيع، والابتعاد عن رذائل الأخلاق.



الثاني: محور بناء الجماعة الصالحة.
فقد أرسى الإمام الباقر والصادق قواعد بناء الجماعة الصالحة، بعد أن وضع لبناتها الإمام زين العابدين(عليه السلام) بشكل كامل، بحيث يكون من يسلكها ممثلا لخطّ أهل البيت(عليه السلام)تمثيلا كاملا، و ذراعاً يستعين به الإمام في القيام بدوره الرسالي في الأمّة، فأنشأ كلّ إمام جيلا من الصلحاء كانوا فقهاء الأُمّة، و علماء يقتدى بهم، وهم كثيرون جداً.
وتحقق بهم أمور كثيرة، منها:
١ ـ حفظ الشريعة الإسلامية من التحريف.
٢ ـ المحافظة على هوية المجتمع الإسلامي من الضياع، ولذا لم تؤثر التيارات المنحرفة و المتعددة، و لا دعوات العنصرية و الطائفية و الإقليمية في ضياع الهوية الإسلامية للأُمّة ككل.
٣ ـ الوقوف أمام التيارات الباطلة حتى تمّ تطويقها في كلّ حقبة زمنية برزت فيه.

أهم خصائص الجماعه الصالحه

أ ـ العقيدة الصحيحة و الثقافة السليمة لاتصالها بالمنبع الأصيل و هو أئمة أهل البيت(عليه السلام).
ب ـ التحلي بدرجة عالية من الكمالات النفسية و العملية.
فالأئمة(عليه السلام) بذلوا و بالاخص الإمامين الباقر و الصادق(عليه السلام) جهوداً كبيرة في إعداد نماذج صالحة حتى شهد العدو و الصديق بعلمهم وفضلهم وورعهم و صلاحيتهم للمرجعية والتمثيل لأهل البيت(عليه السلام).

الخلاصه

١ـ انصب دور الإمام الباقر(عليه السلام) في هذه الفترة التي كثرت فيها أقوال الغلاة والمرجئة وأهل التفويض والجبر والتجسيم على إبطالها، إذ وقف منها موقفاً تميّز بالحزم والردع الحاسم، مسلطاً الضوء على أخطار تلك النشاطات وتأثيرها المباشر على مستقبل الأُمّة.
٢ـ في هذه الفترة الشائكة جداً أرسى الإمام أصول مدرسته العلمية العامة التي وفد إليها طلاب العلم من مختلف المذاهب والتيارات، فكانت منطلقاً للفكر النير الواعي والتربية القرآنية الفريدة.

٣ـ تركّز دور الإمام(عليه السلام) على بناء القاعدة الثابتة للجماعة الصالحة لتكون الطليعة الواعية، والقاعدة الصلبة لتوسيع القواعد الشعبية من أجل إقامة حكم الله في الأرض.
٤ـ وكان من أهداف الجماعة الصالحة، حفظ الشريعة الإسلامية من التحريف، صيانة المجتمع الإسلامية من الضعف والانهيار.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 24

عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

المقدمه

تناولنا بالكلام في الدرس السابق أهم الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الباقر (عليه السلام)، حيث تكلمنا عن مولده واسمائه وكناه وأهم الحكام الذين عاصرهم عليه السلام، كما تعرضنا بعد ذلك لأبرز المحاور التي تناولها نشاطه عليه السلام لإصلاح الواقع الفاسد الذي عاشه المجتمع ذلك الوقت ، و ما نريد أن نتعرض إليه إبتداء من هذا الدرس هو الحديث عن أهم الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الصادق (عليه السلام)، وحيث أن تاريخ هذا الإمام يمثل مرحلة حساسة في التاريخ الإسلامي بصورة عامة والتاريخ الشيعي بصورة خاصة، فسوف نتعرض الى الأحداث بصورة اكثر تفصيلا إن شاء الله تعالى.

المحتوى العلمی

ولادته، نسبه، كناه، ألقابه

ولد جعفر الصادق ابن محمّد بن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) بالمدينة الشريفة سنة ثمانين من الهجرة و قيل سنة ثلاث و ثمانين و الأوّل أصحّ . وأمّا نسبه أبا وأُمّا فهو جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و أُمّه رضي اللّه عنها أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر.
و أمّا كنيته فأبو عبد اللّه و قيل أبو إسماعيل و له ثلاثة ألقاب : الصادق و الفاضل و الطاهر و أشهرها الصادق [1].

عهد الإمامين الباقر والصادق

يُعتبر عهد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ـ (٩٥ ـ ١٤٨ هـ) حتى بداية أيّام هارون الرشيد (١٧٠ هـ) ـ هو عهد الانفراج للنشاط الفكري لمدرسة أهل البيت(عليه السلام) إذا ماقيس إلى العهود السابقة واللاحقة.
و ذلك لأنّ الحكم الأموي كان قد أخذ بالضعف و الانهيار حتى السقوط (سنة ١٣٢ هـ) لأسباب قد نتعرض لها فيما سيأتي..
و بداية العهد العباسي الأوّل ـ كما سوف نلاحظ في كيفية نشوء الحكم العباسي ـ كانت بداية دولة فتيّة لاسيّما وهي ترفع شعار الرضا من آل محمد(صلى الله عليه و آله).
فتلك النهاية و هذه البداية اجتمعتا لتشكّلا عصر ضعف الدولتين. ومن الطبيعي في هذا الظرف أن يشتغل الحكام وأتباعهم بإحكام القبضة على الحكم لئلا يفلت من أيديهم زمام الأمر.
إنّ تنامي الاضطرابات ضدّ الحكّام الأمويين من جهة و التناحر بين رموز البيت الأموي من جهة ثانية و اشتداد نقمة الأمّة على الحاكمين من جهة ثالثة، هي من جملة أسباب هذا الانهيار و انقراض الحكم الحديدي الأموي.
و من هنا سُمّي هذا العصر بعصر انتشار علوم آل محمد(صلى الله عليه و آله). و كان فضلاء الشيعة و رواتهم في تلك السنين آمنين على أنفسهم مطمئنّين متجاهرين بولاء أهل البيت(عليه السلام) معروفين بذلك بين الناس، ولم يكن للأئمّة(عليه السلام) مزاحم لنشر الأحكام. فكان يحضر شيعتهم مجالسهم العامّة والخاصّة للاستفادة من علومهم. وفي تلك المدة القليلة كتبوا عن أئمّتهم أكثر ما ألّفوه وبسعيهم نشرت علوم آل محمد(صلى الله عليه و آله)[2].
و هناك عامل آخر ساعد الإمامين الصادقين على القيام بمهامّهما الفكرية هو ابتعادهما عن الطموح إلى تولّي السلطة; لعلمهما بأنها لاتصل إليهما وأنّهما لايصلان إليها; لأسباب أدركاها من متابعتهما لما جرى ويجري من أحداث،ولمعرفتهما بواقع المستويات الاجتماعية والسياسية لأبناء الأُمّة الإسلامية آنذاك، فلم يقتربا من سلطان، ولم يتصلا بسلطة، ولم يتدخلا بشأن سياسي يمّت الى النظام الأموي أو النظام العبّاسي بوجه من الوجوه[3].

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢ :٩١٠ – ٩١١.
٢ . الذريعة ٢ : ١٣١ ـ ١٣٢.
٣ . تاريخ التشريع الإسلامي، عبدالهادي الفضلي : ٩٦.

غزو الحضارات الوافده.

و امتاز عهد الإمامين الصادقين (عليه السلام) بميزة أُخرى هي: غزو الحضارات الوافدة كاليونانية و الهندية و الفارسية و العبرية و السريانية بما تحمل من فلسفات وثقافات و نظريات لاتلتقي مع وجهة النظر الإسلامية.
فلابدّ أن تكون للمسلمين فلسفة منبعثة من واقع النظرية الإسلامية حتى لاتتوزعهم الفلسفات الوافدة والحضارات اللا إسلامية.
و لم يكن بين المسلمين آنذاك شخصية مؤهّلة علميّاً بمستوى هذه المسؤولية غير *الإمام الصادق(عليه السلام)* ليؤسس لهم مدرستهم الفلسفية الخاصة بهم لتحتضن فكرهم الفلسفي الإسلامي، وتقف أمام تحدّي الحضارات الوافدة وتحدّ من تأثيرها على الذهنية الإسلامية في مجال العقيدة والتشريع معاً.
قال الإمام الصادق(عليه السلام): «لمّا حضرت أبي الوفاة قال: ياجعفر، أُوصيك بأصحابي خيراً. قلت: جعلت فداك، واللهِ لأدَعَنَّهم والرجلُ منهم يكون في مصر فلا يَسألُ أحداً[1]»[2].
فالإمام الصادق(عليه السلام) كان قد استعدّ و خطّط لمرحلة تصدّيه للإمامة، و ذلك بالتركيز على الإعداد العلمي و الإغناء الثقافي بحيث يجعل كل واحد من تلامذة أبيه (عليه السلام) في غنى عن الأخذ من الغير.
و هذا يعني الإعداد لمرجعية أصحاب أهل البيت العلمية فضلا عن مرجعية أهل البيت أنفسهم.
كما أنّ الإمام الباقر(عليه السلام) كان قد هيّأ أصحابه وشيعته لأخذ معالم الشريعة من ابنه الصادق (عليه السلام) عندما قال لهم: «إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا ـ مشيراً الى جعفر الصادق ـ فإنّه الإمام والخليفة بعدي»[3].

الحاله السياسيه فى عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

وأما بالنسبة إلى الحالة السياسية في عصر الإمام الصادق (عليه السلام)، فيمكن ذكر ما يلي في هذا المجال:
١ ـ لم يكن الوضع السياسي الذي كان يريد الإمام الصادق (عليه السلام) أن يتحرّك فيه قد تبدّل عن عصر أبيه الباقر(عليه السلام)، *فهشام بن عبدالملك* الذي أقدم على اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام)كان هو الحاكم الطاغي، و سياسته مع الإمام الصادق(عليه السلام) وشيعته كانت هي السياسة الفاتحة على أساس الحقد الجاهلي و الترويع و الإضطهاد.
فقد تعرّض زيد بن علي عمّ الإمام الصادق (عليه السلام) في زمن أخيه الإمام الباقر (عليه السلام) للإذلال و التوهين من قبل هشام باعتباره أحد رموز أهل البيت (عليه السلام)، كما جعل زيداً يزداد قناعة بضرورة الثورة المسلحة ضدالحاكمين وذلك لِفساد الحكّام الذين جلسوا في موقع الرسول (صلى الله عليه و آله) وهم يحكمون باسمه في الوقت الذي يستهينون بالنبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته وهم غير مكترثين بمن يسبه عندهم.
فحينما صمّم زيدٌ على الثورة المسلّحة ضد طغاة بني أُميّة، جاء إليه جابر بن يزيد الجعفي يسأله عن سبب تصميمه على الثورة ويخبره بأنه لو خرج يُقتل.
فقال زيد لجابر: «ياجابر، لم يَسعَنِ أن أسكت وقَد خولف كتاب الله، وتحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقلت للسابّ: ويلك ياكافر، أما أنّي لوتمكّنت منك لاختطفتُ روحَك و عجّلتُك إلى النار. فقال لي هشام، مَه جليسنا يازيد.
قال زيد لجابر:فوالله، لو لم يكن إلاّ أنا و يحيى إبني لخرجتُ عليه و جاهدته حتى أفنى»[4].
٢ ـ زيد بن علي و إعلان الثورة على الأمويين.
جمع *زيد بن علي الأنصار* والدعاة وأعلن ثورته، و التحق به عدد غفير، و أيّده جمع من الفقهاء والعلماء على ذلك.
لكنّ المتتبع للوضع السياسي والأخلاقي لتلك المرحلة يرى أنّ الاضطراب العقائدي و الأخلاقي كان سمة من سمات ذلك العصر.
فبالرغم من وجود التذمّر الصارخ من بني امية وجورهم، وبالرغم من بحثهم عن بديل سياسي يتمثّل في خط أهل البيت (عليه السلام) وهو الخط الذي كافح الظلم وتحمّل ألوان العذاب من الحكم الأموي المنحرف، نجد أن هاتين المفردتين لم تفيا بكامل الشروط الموضوعية لنجاح الثورة. بل نجد ظاهرة التخذيل والتشكيك في حركة زيد سمة بارزة في هذه المرحلة أيضاً.

---

١ . الإرشاد ١ : ٤٠، وبحار الأنوار: ٤٧ : ١٢، ح ١.
٢ . إثبات الوصية: ١٧٧، وإثبات الهداة ٥ : ٣٣٠.
٣ . كفاية الأثر: ٢٥٤، وبحار الأنوار ٤٧ : ١٥.
٤ . حياة الإمام محمد الباقر، لباقر شريف القرشي ١ : ٧٢.

لقد كانت الثورة على مستوى تكامل مسيرة الأمة ضرورة اجتماعية وسياسية لئلا تتنازل عن شخّصيتها للظالمين ولتحافظ على هويّتها الإسلامية المتمثله في الحيوية و الحساسية ضد الباطل.
من هنا فجّر زيد ثورته و حقق نصراً حاسماً ضد الأمويين من هذه الزاوية بعد أن خاض حرباً طاحنه كادت أن تنتهي لصالح زيد لولا وقوع الفتنة في صفوف أتباعه المقاتلين؛ حيث تعّمدت بعض العناصر الدخيلة أن تفرقّ جيشه و أتباعه و لكنّه صمد و قاتل حتى استشهد رضوان الله عليه.
و بعد قتله أمر هشام بصلب جثمانه الطاهر على باب دمشق، ثم أرسل جثمانه إلى المدينة فنصب عند قبر النبي(صلى الله عليه و آله)[1] في سنة ١٢١ هـ .

٣ـ موقف الإمام الصادق(عليه السلام) من ثورة زيد.

قال مهزم الأسدي: «دخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: يامهزم ما فعل زيد؟ قال: قلت: صلب، قال: أين؟ قلت: في كناسة بني أسد. قال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قال: قلت: نعم، فبكى حتّى بكت النساء خلف الستور»[2].
و بعد هذا المصاب، نجد الإمام الصادق (عليه السلام) في مواقف متعدّدة يتبنّى الدفاع عن عمّه زيد و يترحّم عليه ويوضّح منطلقاته وأهدافه و يرسّخ في النفوس مفهوماً اسلامياً عن ثورته حيث يعتبر هذه الثورة جزء١ من حركة الإمام (عليه السلام) وليس حدثاً خارجاً عنها، كما نجده يردّ على الإعلام المضادّ للثورة ضمن عدة مواقف و تصريحات.[3]
لقد كانت سياسة السلطة الحاكمة عندما تريد الانتقام من خصومها هي إلقاء تهم وعناوين مستهجنة في نظر العرف العام، لكن الإمام الصادق(عليه السلام) يقول في هذا الصدد:
«لاتقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً صدوقاً، و لم يدْعُكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه و آله)، و لو ظفر لَوَفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه»[4].

٤ـ حكومة الوليد بن يزيد.

و بعد أن هلك هشام بن عبد الملك في ربيع الثاني من سنة ١٢٥ هـ استولى على الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك و كان يسمى بالفاسق; إذ لم يكن في بني أُمية أكثر إدماناً منهُ للشراب والسماع و لا أشد مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر الأُمّة.
حتّى أنّه واقَعَ جاريةً له وهو سكران وجاءه المؤذّنون يؤذّنونه بالصلاة فحلف أن لايصلي إلاّ هي، فلبست ثيابه، وصلّت بالمسلمين وهي سكرى و جنب، وكان قد اصطنع بركة من الخمر، وكان إذا طرب ألقى بنفسه فيها، و يستمر بالشرب منها حتّى يظهر النقص في أطرافها[5].
و من مظاهر فسقه أيضاً نكاحه لأُمّهات أولاد أبيه. ويروى أنه تفاءل يوماً بالمصحف الكريم فخرجت الآية التالية: (واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد)،
فمزّق المصحف وأنشأ يقول.

أتوعد كلّ جبار عنيد *** فها أنا ذاك جبّارٌ عنيد
اذا ماجئت ربّك يوم حشر *** فقل يارب مزّقني الوليد[6]

و لقد تمادى في فسقه حتّى قال له هشام: ويحكَ والله ماأدري أعلى دين الإسلام أنت أم لا؟!
٥ ـ بداية الانهيار: لم تكن هذه اللحظات التاريخية من حياة الأمّة التي بدأت فيها الأمّة بالمطالبة بإزاحة بني أُمية من مركز الحكم لتتحقّق بشكل عفوي وإنّما كانت قد جاءت هذه المرحلة نتيجة لفعاليات ثورية بدأت بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) واستمرّت حتّى ثورة زيد بن علي(عليه السلام) التي كسّرت هيبة هشام بن عبدالملك الطاغية الأموي.
وفي هذا الظرف يكتب عامل الوليد بن يزيد في خراسان الى الوليد عن تردّي الأوضاع وحدوث تمردّ عام فيجيبه الوليد بأنّي مشغول بالعريض ومعبد وابن أبي عائشة[7]، وهم المغنّون الّذين كان قد أحضرهم عنده.
لقد صرّح الإمام الصادق(عليه السلام) بعاقبة هذا الانحدار والتردّي والتمردّ على حرمات الله قائلا:
«إنّ الله عزّ ذكره أذن في هلاك بني أُمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيّام»[8].

والوليد هو الذي أمر بإنزال جثمان زيد الشهيد وإحراقه بعد أن كان قد بقي أربع سنين على أعواد المشانق، وبعد تشديد الحراسة من السلطة على جثمان زيد خشية إنزاله من قبل العلويين.

٦ ـ استيلاء يزيد بن الوليد على الخلافة: وفي سنة (١٢٦) هـ قُتل الوليد بن يزيد من قبل الأُمويين

١ . عمدة الطالب: ٢٥٨، والنزاع والتخاصم للمقريزي: ٢٧، وأنساب الأشراف ٢٧ : ٢٩٢.
٢ . أمالي الطوسي ٢ : ٢٨٤.
٣ . راجع: أمالي الصدوق ١ : ٢٨٦. و ١٣ : ٢٧٥.
٤ . الحور العين: ١٨٨.
٥ . حياة الحيوان ١ : ٧٢.
٦ . مروج الذهب ٣ : ١٤٩.
٧ . تاريخ الإسلام للذهبي ٥ : ١٧٨.
٨ . الكافي ١٦٥ : ٨ ـ ١٦١ ، وتفسير العياشي : ١ ـ ٣٢٥.

أنفسهم واستولى على مركز الخلافة من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك المسمى بالناقص؛ حيث أنقص عطاءات الناس، وكانت مدة حكمه خمسة أشهر ونصفاً، ولم يتعرض الإمام في عهده لأيّ ضغط، فكان يزاول نشاطه العلمي بكل حريّة، وخاصة مع ملاحظة الفوضى السياسية التي لم تشهد من قبل.
وهذا الواقع السياسي لم يمكن مسكه و لا السيطرة عليه وتكريسه باتّجاه واحد من قبل الإمام(عليه السلام).
من هنا نجد أنّ موقفه (عليه السلام) من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد، حيث نراه تارة يحذّر من الاندفاع وراء أصحاب الدعوات وتارة يدعو للموقف الثوري لكن للّذي يعتمد الخط الصحيح والعقيدة الصحيحة إن وجد ذلك.
فالامام (عليه السلام) محيط بتفاصيل واقعه؛ لأنه على رأس حركة لم تكن وليدة الساعة و لا تخفى عليه حركة التيارات الطارئة في هذا الظرف و لا الاطماع التي كانت تحرّك رؤساءها[١].
و أما الحالة الدينية و الثقافية العامّة في هذه الظروف السياسية المضطربة، فمن الطبيعي أن لانشهد لها تطوراً إلاّ بمقدار ما يرتبط بالشعور بالتذمّر من الظالمين، وضرورة القضاء على الحكم الفاسد الذي لم ينفك عن دعوة الناس إلى الفساد الفكري والأخلاقي، ويجرّهم إلى الانهيار الاقتصادي والفقر والحرمان.
نعم وجد أهل البيت (عليه السلام) و أتباعهم متنفساً في هذه الفترة مادام الحكّام و أصحاب الأطماع في الحكم مشغولين فيما بينهم فاستغلّوا هذه الفرصة .

الخلاصه

١ـ عاصر الإمام الصادق(عليه السلام) شطراً من حكم هشام بن عبدالملك كما عاصر ثورة عمّه زيد بن علي ضد الأمويين سنة ١٢١ هـ كما عاصر حكومة الوليد بن يزيد الذي استولى على الحكم سنة (١٢٥ هـ).
٢ـ بدأت الاضطرابات تزداد بعد مقتل زيد ويحيى بن زيد ولم يستطع الأمويون من ضبط الأمور داخل البلاد الاسلامية فالوليد قد قتل في سنة (١٢٦ هـ) واستولى على الخلافة يزيد الناقص ثم أخوه ابراهيم بن الوليد ثم قتله مروان بن محمد الذي عرف بمروان الحمار واستمر عهده المليء بالاضطرابات حتى سنة (١٣٢ هـ) حيث انتهى عمر الحكومة الأموية بشكل كامل وتأسست الدولة العباسية على أنقاضها لتبدأ عهداً جديداً من الظلم والطغيان.
٣ـ هذه الفترة (١١٤ ـ ١٣٢ هـ) هي الفترة التي كانت مؤاتية للإمام الصادق (عليه السلام) لإكمال بناء قواعده وتشييد دعائم الصرح الفكري الإسلامي لأنّها فترة انشغال الحكام عنه وعن شيعته وهي فترة الانتقال من عهد آخذ بالانهيار الى عهد جديد لم يستقر بعد.

١ . راجع حياة الإمام الصادق (القرشي) ٧ : ٦٦ ـ ٧٧.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 25

متطلّبات عصر الإمام جعفر الصادق(ع)

المقدمه

إنّ طبيعة الحالة الدينية و السياسية والفكرية والأخلاقية هي التي تحدّد للقائد الرسالي نوع نشاطاته و مستوى كل نشاط في ضوء الأهداف الرسالية العُليا و المصلحة الاسلامية المُثلى.
و قد عاش الإمام الصادق(عليه السلام) في عهدين سياسيين متماثلين هما: نهاية العهد الأموي وبداية العهد العبّاسي الأوّل.
و طبيعة المرحلة التي عاشها الإمام الصادق(عليه السلام) إبّان الحكم الأموي وبدء انهياره ـ و هي المرحلة الاولى من عصره ـ تطلّبت من الإمام (عليه السلام) نشاطاً فكريّاً وعلميّاً وتربوياً و سياسيّاً خاصّاً لمعالجة مجموعة الانحرافات الفكرية و الدينية و الأخلاقية والسياسية التي كانت تزخر بها الساحة الإسلامية أنذاك و العلاج كان لابد أن يكون على المدى القريب و البعيد معاً. وهذا ما نريد تناوله في هذا الدرس.

المحتوى العلمى

الانحراف السياسى

يعود الانحراف السياسي في جذوره إلى الانحراف الفكري و الديني والأخلاقي بشكل خاص، ومن هنا لم يمكن علاجه بشكل سطحي دون معالجة جذوره وأسبابه.
و كانت المرحلة تتطلّب من الإمام (عليه السلام) أن يقدّم علاجه لهذه الانحرافات فيها على مستويين أيضاً:

على المستوى العام لمجتمع المسلمين بشتى اتجاهاته ومذاهبه وتياراته، وعلى المستوى الخاص باتباع أهل البيت(عليه السلام) (وهم الجماعة الصالحة).

ومن هنا نلاحظ تنوّع نشاطات الإمام الصادق(عليه السلام) وأساليب عمله بمايتناسب مع كل هذه المجالات المستويات و مراحل الاصلاح القريبة والبعيدة معاً.

الانحرافات الأخلاقيه.

ثّم إنّ الانحرافات الأخلاقية قد تعود هي أيضاً إلى جذور عقائدية أو فكرية وثقافية أو منهجية، ومن هنا نلاحظ تنوّع النشاط الفكري والعلمي للإمام(عليه السلام) وتنوّع أطراف الحوار والاحتجاج معه، فهو يناقش أصحاب التيارات الفكرية الالحادية كالزنادقة و الغلاة و في نفس الوقت يحاجج المعتزلة وأصحاب الرأي والقياس.
كما أنه يعكف على بناء قواعد جامعته الإسلامية الكبرى، و يعتزل العمل الثوري السياسي مباشرةً بينما يرعى ثورات العلويين و يشجّع بعضها و يشجب البعض الآخر تارة أُخرى، و يهتم بأتباع أهل البيت(عليه السلام)بشكل خاص بحيث يرسم لهم برنامجاً كاملا يستوعب كلّ أبعاد وجودهم الفكري و الأخلاقي و الديني و السياسي و الاجتماعي و الأمني والاقتصادي، و يرسم لهم خُطى حركتهم المستقبلّية و يعدّهم إعداداً قويماً للتأثير في المجتمع الإسلامي و إصلاح انحرافاته، كما يعدّهم لتسلّم زمام الأمور في مستقبلهم القريب أو البعيد بحسب حجم استجابتهم لقواعد و سنن التغيير والإصلاح الاجتماعي.

النشاط الفكرى و العقائدى للإمام الصادق(عليه السلام)

إذا راجعنا حوارات واحتجاجات الإمام (عليه السلام) في كتب الاحتجاج أو السيرة الخاصه به[1]، لاحظنا عدّة ظواهر ملفتة للنظر:
١ ـ إن أكبر نسبة من الاحتجاجات هي مع رموز الملاحدة والزنادقة في عصره، مثل الديصاني وابن أبي العوجاء.
٢ ـ و يأتي الاحتجاج مع أصحاب الرأي والقياس في الدرجة الثانية من مجموعة الاحتجاجات المأثورة عنه.
٣ ـ تتنوع أطراف الحوار مع الإمام (عليه السلام) إلى أنواع المعتقدات، بدءًا من الانكار لوجود اللّه تعالى وحتى السلوك المنحرف والمغلوط والفهم الخاطيء لمسيرة الشريعة.

---

١ . راجع احتجاج الطبرسي وعوالم المعارف الجزآن المختصان بالإمام الصادق(ع).

٤ ـ و نلاحظ أيضاً أنّ الإمام (عليه السلام) في حواره مع الزنادقة والملحدين يمثّل العالم الحليم الهاديء المسيطر على كل أرجاء المعرفة المتعمق إلى كل أغوار الفكر، آخذ بزمام البحث الموضوعي النزيه، ممّا أدّى إلى رجوع بعض الملحدين و ايمانهم بالله على يديه.
بينما نجده في مواجهته لتيّار الغلو، ذلك القائد الهادر الذي لايقرّ له قرار وهو يكيل أنواع اللعن ويتمنى الإبادة التامّة لهؤلاء الغلاة.

الإمام الصادق(عليه السلام) وبناء جامعه أهل البيت(عليه السلام)

لقد واصل الإمام الصادق (عليه السلام) تطويره للمدرسة التى أسّسها آباؤه الطاهرون (عليه السلام) من قبله وانتقل بها إلى آفاق أرحب، فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الإسلامية، لأنّها استطاعت أن تُلبّي رغباتهم وحاولت ملء الفراغ الذّي كانت تعانيه الأمّة آنذاك، حيث جاءت الجامعة ومع حضور ثقل الإمام(عليه السلام) فيها عاملا أساسيّاً في التخّلص من الاضطراب الفكري في تلك المرحلة.

مميزات جامعه الإمام الصادق(عليه السلام)

و ممّا يمّيز مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) عن باقي المدارس ما يلي:
١ـ أنّها لم تنغلق في المعرفة على خصوص العناصر الموالية فحسب; وإنّما إنفتحت لتضمّ طلاّب العلم من مختلف الاتجاهات، فهذا أبو حنيفه الذي كان يخالف الإمام(عليه السلام) في منهجه، كان ممن يختلف إلى الإمام الصادق(عليه السلام) ويسأله عن كثير من المسائل[١].
٢ ـ ولم يقتصر علم الإمام (عليه السلام) على حقل واحد ـ كالفقة أو الكلام مثلا ليكون سبباً لمخاطبة وجذب فئة محدوده من الناس ـ وإنّما تناولت جامعته العلمية مجموعة العلوم الدينية وغير الدينية.
٣ ـ لم تتلوث جامعة الإمام(عليه السلام) بسياسة الحكومات الجائرة، بل قد رأت الأُمّة أنّ هذه المدرسة على رأسها وريث النبوة وعملاق الفكر المحمّدي الإمام أبو عبد الله الصادق(عليه السلام) المعروف بمواقفه الرسالية واستقامته على خط الشريعة الربانية المحمّدية(ص).
٤ ـ كما تميّزت أيضاً جامعة الإمام (عليه السلام) بمنهجها العلمي السليم وعمقها الفكري واتجاهها العقائدي التربوي والاصلاحي.
٥ ـ عدم انفصال الجهود المبذولة فيها عن حركة الإمام (عليه السلام) وأنشطته الأُخرى، بل كانت جزءً لاينفصل عن برنامجه التغييري لأنّها بالتأكيد كانت تساهم في خلق مناخ يمهّد بدوره لبناء الفرد الصالح ومن ثمّ المجتمع الصالح.
٦ ـ اعتنى الإمام(عليه السلام) بالتخصّص العلمي في تلك المرحلة لأنّ للاختصاص دوراً كبيراً في إنماء الفكر الإسلامي وتطويره، وبالتخصص تتنوع العطاءات، ويكون الإبداع وعمق الانتاج، لذا وجّه الإمام التخصص العلمي، وتصدّى للإشراف على كل تلك التخصصات.
٧ ـ ومن الأهداف التي خطّط لها الإمام (عليه السلام) في مدرسته هو إنشاء وتنشيط حركة الاجتهاد وتخريج الفقهاء والمجتهدين في علوم الشريعة الإسلامية.
والاجتهاد ضرورة قرآنية التزم بها أهل البيت (عليه السلام)، وعملوا على تحقيقه لأتباعهم; لئلاّ يكونوا أتباعاً لغيرهم، وليكونوا القدوة المثلى في كل عصر.
والاجتهاد المشروع هو: طريق الاستنباط الصحيح للحكم الواقعي أو الظاهري كما رسمه أهل البيت(عليه السلام).
فقد رسم الإمام (عليه السلام) منهج الاجتهاد في فهم النص، وحارب اجتهاد الرأي المتمثل في القياس والاستحسان كما حاربه القرآن وسائر أئـمّة أهل البيت (عليه السلام)، وحاولوا إبعاده عن الشريعة وإبعاد أتباعهم عنه، ومن هنا رسموا لنا معالم هذا الاجتهاد وخطوطه العريضة، وبيّنوا أُسسه وأساليبه، ووفّروا وسائله وأدواته، وطبّقوا منهجه، ودعوا أصحابهم إليه، وقدّموا نماذج حيّة للمجتمع الإسلامي في هذا الصدد.
وهكذا، انبثقت مدرسة الفقهاء الرواة التي اعتمدت منهج أهل البيت الفقهي والتشريعي، وتميزّت بذلك عن سائر المدارس الفقهية المتحرّرة من هذا المنهج أو الجامدة على ظواهر النصوص.

---

١ . حياة الإمام الصادق (القرشي).

النشاط السياسي للإمام الصادق (عليه السلام).

استهدف الإمام (عليه السلام) لونين من الانحراف: الاول: الانحراف السياسي المتمثل في انحراف الحاكمين، والثاني: الانحراف السياسي الفكري الناشيء من فقدان الفكر والوعي السياسي السليم.
و لهذا ركزّ الإمام (عليه السلام) على مايلي:
أوّلا: التثقيف على عدم شرعية الحكومات الجائرة، والتي ليس لها رصيد شرعي، ورتّب على ذلك تحريم الرجوع إليها لحلّ النزاعات والخصومات كما ورد عنه قوله(عليه السلام):
«إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم، فإنّي قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه»[1].
وقال(عليه السلام) أيضاً: «أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاض أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم»[2].
إنّ تفتيت الأُسس التي يعتمد عليها الظالمون في حكمهم يعتبر عملا سياسياً مهمّاً لزعزعة عرشهم والقضاء على الجور من خلال زعزعة أُسس قوتهم وسيطرتهم.
قال علي بن حمزة: إنّي كان لي صديق من كتّاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبدالله(عليه السلام) فأستأذنت له، فلما دخل سلّم وجلس، ثم قال: جعلت فداك إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالا كثيراً، وأغمضت في مطالبه.
فقال أبو عبدالله(عليه السلام): «لو أنّ بني أمية لم يجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء[3]ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا ...»[4].
ثانياً: مارس الإمام (عليه السلام) التثقيف على الصيغة السياسية السليمة من خلال تبيان موقع الولاية المغصوب، واستخدم الخطاب القرآني في هذا المجال الذي حاولت فيه المدارس الفكرية الأُخرى تجميد النص بحدود الظاهر. فقد علّق(عليه السلام) على قوله تعالى:
{وإذ ابتلى اِبْراهيمَ رَبّهُ بِكَلِمات فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنّي جَاعِلُكَ لِلنَّاس إمَاماً قَالَ ومِنْ ذُرِّيَّتي قَالَ لايَنَالُ عَهْدِي الظالِمينَ}[5]
إنّ الله عزّ وجل إتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبّياً، وأنّ الله اتخذه نبّياً قبل أن يتخذه رسولا وإنّ الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا وإنّ الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: إنّي جاعلك للناس إماماً.
قال (عليه السلام): فمن عِظَمِها ـ أي الإمامة ـ في عين إبراهيم(عليه السلام) قال: ومن ذريّتي؟ قال: لاينال عهدي الظالمين، قال: لايكون السفيه إمام التقي.
ثالثاً: قام (عليه السلام) بدعم الحركات المسلّحة وتوجيهها الوجهة الصحيحة ليحافظ على الروح الثورية ضد الباطل وليبقى الطغاة على وجل من عاقبة طغيانهم من دون أن يتدخل بشكل مباشر في هذا الحقل كما لاحظنا ذلك في مواقفه من ثورتي زيد و يحيى.

الخلاصه

١ـ تنوّع النشاط الفكري للإمام الصادق(عليه السلام) بين مواجهة التيارات الإلحادية وغير إلحاديّة مما كان منتشراً في عصره.
٢ـ هذا التنوع في النشاط يشير إلى وجود حرية الرأي في عصره، كما يشير إلى الانفتاح على الحضارات الأُخرى فكرياً وثقافياً، ويشير أيضاً إلى وجود ردود فعل عند بعض المسلمين حيث أخذوا يبحثون عن ثقافات وأُسس أُخرى غريبة عن الثقافة الإسلامية.
٣ـ كان عصر الإمام الصادق (عليه السلام) عهد الانفراج النسبي لمدرسة أهل البيت (عليه السلام) ممّا أدّى إلى وجود نوع من الحرية لحركتهم العلمية. وقد ارتفعت نسبة طلاّب المعرفة الذين كانوا يقصدون

---

١ . وسائل الشيعة ١٨: ٤.

٢ . وسائل الشيعة ١٨ : ٢.

٣ ـ الفيء: الخراج.

٤ . المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٣٦٥، عن بحار الأنوار ٤٧ : ١٣٨، وفي الكافي ٥ : ١٠٦ ح ٤، والتهذيب ٦ : ٣٣١ ح ٤١، وسائل الشيعة ١٢ : ١٤٤ ح ١.

٥ . البقرة : ١٢٤.

الإمام للاغتراف من علومه، كما توسّعت مواد وفروع العلوم التي أفاضها الإمام(عليه السلام) على طلاّب الحقيقة وتنوعت إلى المعارف العقلية والشرعية والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.
٤ـ حارب الإمام (عليه السلام) بكل قوة منهج الرأي الاستحساني وأكد على منهج الاجتهاد في فهم النص كما وضع الأسس العلمية لاستخراج القواعد الاصولية والفقهية.
وتأسست بذلك المدرسة الفلسفية والكلامية الإسلامية في الحواضر الإسلامية. كما برزت الكوفة مركزاً لنشر علوم آل محمد(عليه السلام).
وتمثل النشاط السياسي للإمام الصادق(عليه السلام) في نوعين من النشاط الايجابي والسلبي حسب متطلبات المرحلة.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 26

النظام العام للجماعه الصالحه (تكامل البناء والتأصيل)

المقدمه

عرفنا أنّ أهم ماركزّ عليه أئمة أهل البيت (عليه السلام) لبناء المجتمع الصالح بعد رسول الله (عليه السلام) هو بناء الجماعة الصالحة التي تستطيع أن تقوم بمهمّة التغيير الحقيقي والتدريجي والعميق في أوساط المجتمع الإسلامي. ومن هنا كان بناء الفرد الصالح والجماعة الصالحة التي تحتضن هذا الفرد وتهيىء الأجواء اللازمة لتنميته وتطويره هدفاً أساسياً للقيادة الربّانية التي تسهر على تحقيق أهداف الرسالة في مجتمع مليء بالتناقضات والقيم التي تحتاج إلى هدم وبناء مستمرّين.

المحتوى العلمی

إنّ عملية بناء الجماعة الصالحة الفاعلة في المجتمع الإسلامي قد تمّت بشكل تدريجي منذ عهد الرسول(صلى الله عليه و آله) وبدأت تتّسع وتتأصّل وتتكامل كلّما اتسّع الفاصل المعنوي والزمني بين الأمة والرسالة.
ويعتبر عصر الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام) هو عصر التأصيل النظري والتوسع الاجتماعي وتكامل البناء وتحديد المعالم وتشخيص الهوية لهذه الجماعة المتميّزة بالفكر والعقيدة والقيم والسلوك.
و قد اعتنى أهل البيت (عليه السلام) ولا سيّما الإمامان الصادقان (عليه السلام) منهم بشكل خاص بتحديد هذه الهوية.

1 ـ الهويّه و مشخّصاتها

الأوّل: الإسم. أطلق الإمام الباقر والصادق (عليه السلام) عدة أسماء لتشخيص هويّة الجماعة الصالحة و فرزها و تمييزها عن غيرها ومنها.
١ـ شيعة عليّ (عليه السلام)
٢ـ شيعة فاطمة (عليه السلام)
٣ـ شيعة آل محمد (صلى الله عليه و آله)
٤ـ شيعة ولدفاطمة (عليه السلام)
و لهذا الاسم جذر تاريخي وقرآني ورد في قوله تعالى: {وإنّ من شيعته لإبراهيم}[١].
و روى *أبو بصير* عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله:
«نحن أهل بيت الرحمة و بيت النعمة و بيت البركة و نحن بنيان الأرض و شيعتنا عُرى الإسلام...» [٢].
وأقرّ (عليه السلام) إسم الرّافضة على الجماعة الصالحة بعد أن سمّاهم به أتباع السلطان، فحينما شكا إليه بعض أصحابه عن هذه التّسمية قال له: (وأنا من الرّافضة) قالها ثلاثاً[٣].
و عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر(عليه السلام): جعلت فداك إسم سمِّينا به، استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا قال: وما هو؟ قال: الرّافضة، فقال أبو جعفر(عليه السلام): إنَّ سبعين رجلا من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى(عليه السلام)، فلم يكن في قوم موسى(عليه السلام)أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حبّاً لهارون منهم، فسمّاهم قوم موسى الرّافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن ثبّتْ لهم هذا الإسم في التوراة، فإنّي قد نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله[٤].
الثّاني:



الصفات، أطلق أهل البيت(عليه السلام) عدة صفات قرآنية على شيعتهم، مثل: الصالحون، (وأولو

١ . الصافات: ٨٣.
٢ . بحار الأنوار ٦٥ : ٣٥ ح ٧٥.
٣ . المحاسن: ١٥٧.
٤ . نفس المصدر.

الألباب)، وأولياء الله، والمصلّون، وأصحاب اليمين، وخير البريّة.
فعن أبي بصير قال الإمام الصادق(عليه السلام): >قد ذكركم الله تعالى بقوله:
{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين...}
نحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون، أنتم والله شيعتنا<[١].

الثالث: الانتماء إلى الرسول(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته(عليه السلام).
أكدّ أهل البيت(عليه السلام) انتماء شيعتهم إليهم وإلى رسول الله(صلى الله عليه و آله) وهذا الانتماء الفكري والروحي والاتّباع العملي هو الذي يعطيهم الرفعة والمكانة السامية في الدنيا والآخرة.

الرابع: منزلة الجماعة الصالحة: و أمّا المكانة السامية لأتباع أهل البيت(عليه السلام) في الدنيا والأخرة، فقد ورد عن الإمام الباقر(عليه السلام): «إنّ الله عزّ وجل أعطى للمؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا والدين، والفَلْج (النصر والفوز) في الآخرة والمهابة في صدور العالَمين»[٢].

2 ـ المرجعيه الدينيه (الفكريه والسياسيه)

إنّ الملاكات الأساسية التي جعلت الأنبياء والائمة (عليه السلام) قادةً فكريين وسياسيين، وحاجة المجتمع البشري إلى القيادة الربانية على طول خط المسيرة التكاملية نحو الله سبحانه وتعالى، هي التي جعلت الائمة من أهل البيت(عليه السلام) يخطّطون ـ على هدي الكتاب الألهي ـ لنظام المرجعية الدينية لأتباعهم، وذلك بتنصيب المجتهد الجامع لشرائط الافتاء والقضاء والحكم مرجعاً فكرياً وسياسيّاً يحكم فيهم على أساس شريعة الله الخالدة وقيمها الربانية، واعتباره امتداداً لإمامتهم المشروعة.

وبدأوا بالعمل على طرحه وتطبيقه في حياتهم وحضورهم ليتركز وتستقر دعائمه وتتضح معالمه من خلال الممارسة والتطبيق في نطاق أتباعهم، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في باب اختيار القاضي في المتخاصمين ـ بعد تحريم الرجوع إلى قضاة الحكومة الجائرة ـ أنّهما:
«ينظران من كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً»[٣].

3 ـ العلاقات فى نظام الجماعه الصالحه

للجماعة الصالحة قاعدة وطليعة وقيادة. فالقيادة تتمثّل في الإمام المعصوم حين حضوره أو في المرجع الديني النائب عنه عند غيابه، والطليعة هي المجموعة المخلصة ذات البصيرة والوعي الكامل بشؤون القائد وحلقة الوصل بين القاعدة والقيادة من جهة وبين القيادة والقاعدة من جهة أخرى.

الوكيل يقوم بدوره ببيان الأحكام الشرعية:
- الأحكام الشرعية
- المواقف السياسية والاجتماعية
- التوجيهات والنصائح الاخلاقية

و تقوم الطليعة (الوكلاء) بدور بيان الأحكام الشرعية والمواقف السياسية والاجتماعية و التوجيهات والنصائح الاخلاقية أو استلام الحقوق الشرعية أو فصل النزاعات أو تولّي الأوقاف وغيرها من الأمور الحسبيّة[٤].
و قد شخّص أهل البيت (عليه السلام) مضمون العلاقة بين أفراد الجماعة الصالحة و بيّنوا حقوقها وشكلها. بعد بيان أسسها وقواعدها وتفاصيل البناء الفوقي لها.
أمّا مضمون هذه العلاقة فهو الحبّ في الله والبغض في الله تعالى[٥].
و أمّا حقوق هذه العلاقة فهي التناصر والتكافل الاجتماعي بكل أبعاده ومستوياته، فقد ورد أن الصادق(عليه السلام) قال لسدير: لاتزال شيعتنا مرعيين محفوظين مستورين معصومين ما أحسنوا النظر لأنفسهم فيما بينهم وبين خالقهم، وصحّت نيّاتهم لأئمّتهم وبرّوا إخوانهم فعطفوا على ضعيفهم وتصدقوا على ذوي الفاقة منهم[٦]...
وأما شكل هذه العلاقة فهي التزاور وعقد الاجتماعات والتحدث في مختلف الشؤون والتي منها إحياء أمر أهل البيت(عليه السلام)[٧] فضلا عن الاجتماعات الخاصّة مثل تشييع الجنائز وقضاء حوائج الإخوان والتحابب والتواصل.

---

١ . بحار الأنوار ٢٧ : ١٢٤ و ٧٢ و ١٢٩ ح ١٤٣ والجزء ٦٥ : ٢٩ ح ٥٨ و ح ٩٦ و ح ٥٩.
٢ . نفس المصدر ٦٥ : ١٦.
٣ . وسائل الشيعة ١٨ : ١٩ ح ١.
٤ . راجع دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ١ : ٢٥٦ ـ ٢٥٨.
٥ . نفس المصدر ١ : ٢٥٩ ـ ٢٦١.
٦ . المحاسن ١ : ٢٥٨ ح ٤٩٢.
٧ . وسائل الشيعة ١٢ : ٢٠ ح ١.

و قد فصّل أهل البيت(عليه السلام) أيضاً نوع العلاقة فيما بين الجماعة الصالحة وسائر المسلمين و فيما بينهم و بين غير المسلمين أيضاً، و هي علاقة التعايش مع الانفتاح و البراءة من أعدائهم مع التقية و المقاطعة مع الكفّار و الظالمين و أهل البدع و الضلال[١].

4 ـ الاتجاه السياسي للجماعه الصالحه

لاريب أن الإسلام نظام كامل للحياة، فهو يأخذ الواقع بكل أبعاده ليعالج مشكلاته في ضوء الهدي الإلهي وذلك ليكون الانسان في كل سيرته تحت رعاية ربّانية تتربّى من خلالها شخصيته وتتزّن دون انفصام أو ازدواجية.

ومنهج أهل البيت(عليه السلام) هو منهج الإسلام الكامل، فلابدّ للأئمة(عليه السلام) أن يرسموا لأتباعهم الاتجاه السياسي الصحيح ويحدّدوا لهم المنطلقات السياسية والخطوط العريضة في التحرك على أرض الواقع.

ومن ذلك:

أ ـ الايمان المطلق بولاية أهل البيت(عليه السلام) فالإمام منار للمهتدين وولايته سبب للنجاة وطاعته مفترضة في الحياة وعدّة بعد الممات...[٢].

وحب أهل البيت إيمان وبغضهم كفر[٣].

ب ـ والتبرّؤ من أعدائهم ـ وهم أعداء الله ـ هو الأساس الآخر في التحرّك. ومن هنا حُرِّمَ التعاون مع الأنظمة الظالمة وجبت مقاومتها.

ج ـ ولابدّ من الموازنة بين المصالح والأولويات في الشريعة الإسلامية وتقديمها على المنافع والمصالح الخاصة. وهذا هو أحد أبعاد (مبدأ التقية) كما سيأتي. ومن هذه المصالح مصلحة الحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي وتلاحم أجزائه.

د ـ والأمة لها الدور الكبير في عملية التغيير إذ لايغير الله مابقوم حتى يغيروّا ما بأنفسهم ومن هنا كان نشاط الأئمة(عليه السلام) باتجاه تغيير الأمة اتجاهاً واقعياً فلم يتحرّكوا لاستلام زمام الحكم بقدر ماكانوا يتحرّكون لتغيير فكر وسلوك وقيم الأمة باتجاه الواقع المطلوب.

هـ ـ والالتزام بأحكام الإسلام الثابتة وعدم تعدّيها وجعلها ميزاناً في التحرّك والتورّع عن محارم الله في كل حال أساس ثابت لايمكن التنازل عنه بحال من الأحوال في منهج أهل البيت(عليه السلام) لتغيير الواقع[٤].

5 ـ النّظام الأمني للجماعه الصالحه

أولى الإمام(عليه السلام) إهتماماً خاصّاً بالنّظام الأمني للجماعة الصالحة، حفاظاً على سلامة أفرادها وكيانها من التصدّع وليبقى أفرادها أحراراً في حركتهم الإصلاحية والاحتياط والحذر الأمني له آثار إيجابية على سلامة العقيدة وسلامة الشريعة وسلامة القيم الإسلامية، فإنّ أيّ خلل في الوضع الأمني يؤدّي إلى سجن أو قتل أو تهجير مَنْ له تأثير إيجابي في الأمّة، وبالتالي يكون خير فرصة للمنحرفين لنشر عقائدهم وخلق الاضطراب في العقول والقلوب والنفوس، بعد خلّو الميدان من المصلحين.

وللنّظام الأمني معالم ومظاهر منها التّقيّة: التّقيّة، وهي ظاهرة ذات آثار إيجابية على مسيرة الجماعة الصالحة دون عرقلة أو تحجيم.

والضرورة هي التي تحدّد استثمار التقيّة واستخدامها في كل اتجاه، حتى لاتتعرض حركة الجماعة الصالحة إلى الكشف فتكون عرضة للأعداء، والهدف من التقيّة هو حقن الدّماء وعدم هدرها في مواقف ليست ضرورية.

قال الإمام الباقر(عليه السلام): >إنّما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيّة<.[٥]

وقد استطاع الإمام(عليه السلام) أن يوسّع قاعدته الشعبية، ويرفد الجماعة الصالحة بأفراد جدد، واستطاع أن ينشر علوم أهل البيت(عليه السلام)، وأن يشيع الفضائل والمكارم في المجتمع، دون أنْ يمنح للحكّام فرصة لاغتياله أو اعتقاله أو منعه من نشاطاته العامّة في التّدريس، واللّقاءات، والزيارات.

كما ان من مظاهر النظام الأمني التوازن في العلاقة مع الحكّام، فإنّ مقاطعة الحاكم الجائر هي إحدى مميّزات أئمة أهل البيت(عليه السلام)، وقد كانت إرشادات وأوامر الإمام(عليه السلام) إلى أفراد الجماعة الصالحة تؤكّد على المقاطعة في جميع صورها، لأنّ العمل مع الجائر يؤدّي إلى احتمالات واقعية:

---

١ . دور أهل البيت(عليه السلام) ١ : ٢٦٩ ـ ٢٦٩ و ٤٩٥ ـ ٥١٦.
٢ . بحار الأنوار ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٠ ح ٣٨.
٣ . الكافي ٢ : ١٨ ح ٥.
٤ . راجع دور أهل البيت(عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة ١ : ٢٧٣ ـ ٢٩٥.
٥ . بحارالأنوار ٧٢ : ٣٩٩.

الأول: تقويته وتشييد أركان دولته المنحرفة.
الثاني: ممارسة الأعمال المنحرفة التي يتطلّبها الواقع المنحرف.
الثالث: تأثّر العامل معه ـ في بعض الأحيان ـ بالإغراء المتنوّع، بالأموال والمناصب والجاه، وقد يؤدّي هذا التّخلّي عن الانتماء إلى الجماعة الصالحة.
الرابع: تحوّل العامل إلى عدوّ في بعض الأحيان.
ولهذا أمر(عليه السلام) بمقاطعة الحاكم الجائر[١].

6 ـ النشاط الاقتصادى للجماعه الصالحه

ولحماية الجماعة الصالحة من الأخطار الناشئة من الضغوط والآفات نجد أهل البيت بشكل عام والإمام الصادق (عليه السلام) بشكل خاص اتجّهوا لتربية أتباعهم على الاجتهاد في طلب الرزق والعمل بدل الاتّكال على الآخرين أو الارتباط بالدولة على أنّ مدرسة أهل البيت(عليه السلام)



قد تميّزت بتشريعات اقتصادية خاصة كالخمس في أرباح المكاسب سوى التشريعات العامة مثل الزكاة والخراج والأوقاف. ويمثّل الخمس أهم مصدر مالي للجماعة الصالحة وهو يمثّل نسبة مئوية عالية من مجمل الثروة العامة للمجتمع الإنساني وهو يجعل للإمام(عليه السلام) امكانية ماليّة كبيرة يستطيع توظيفها لخدمة الإسلام والمسلمين[٢].

الخلاصه

الإسلام هو المحور الأساس للإنتماء في الجماعة الصالحة، وهو المنظّم لسير العمل والحركة داخل هذه الجماعة، وتكون المصلحة الإسلامية العليا هي الحاكمة على جميع المصالح الأخرى: فالإسلام هو القاعدة للسّلوك والفكر والتصرّفات لأفراد تلك الجماعة الصالحة. إذ يعتبرها جزءاً من المجتمع الإسلامي الكبير وهي في نفس الوقت مسؤولة عن الحفاظ على كيان وحدة الأمّة من التصدع والضياع.
ويعتبر الإسلام حبّ أهل البيت(عليه السلام) والإنتماء إلى مذهبهم المنطلق لكل المباديء والقيم السامية التي زخرت بها الشريعة الإسلامية المقدّسة. ويعتبر الأخذ بمذهبهم مصداقاً لحبّهم والإنتماء إليهم.
والجماعة الصالحة لاتكون كذلك مالم تمّر بفترة تمحيص واختبار فتتعرّض حياتها لأنواع البلاء حتى تصقل نفوس أفرادها وتربّى أرواحهم، فهم جند في ساحة الاختبار هدفهم رضى الله تعالى وغايتهم تحقيق مابه رضاه يعيشون من أجل الله ويتحركون في أفق دينه وشريعته التي يأخذونها من أهل البيت(عليه السلام).
ومن هنا احتاجت هذه الجماعة إلى نظام أمني واقتصادي واجتماعي وعبادي وسياسي خاص بها.

١ . كفاية الأثر: ٢٥١.
٢ . نفس المصدر : ٤٠٢ ـ ٤٢٠.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 27

المستجدات السياسيه و نشأه الحكم العباسی

المقدمه

لقد استحكمت قناعة الأمة وآمنت بضرورة التخلّص من الطغيان الأموي، ولم يبق بعدُ شيء بيد وعّاظ السلاطين ليرتشوا به لتوجيه الاستبداد الأموي وليوظّفوا القرآن والحديث لصالح هذا الحكم الجائر، حيث تراكمت في ذهن الأُمّة وضميرها تلك المظالم التي ارتكبت بحقّ ذرية رسول الله (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين، ولاسيّما سبط الرسول وريحانته وأبنائه وأصحابه الميامين ومن حذا حذوهم طيلة العقود السبعة بعد مقتل الحسين بن علي(عليه السلام).
و من جانب آخر اتّسع نفوذ أهل البيت وامتدّ خطّهم وكثرت أنصاره واستلهمت الأُمّة ثقافته حيث إنّه قد أثّر في عقلها وقراراتها، حتّى أصبح له وجود في مختلف البلاد الإسلامية وتألّق الإمام الصادق (عليه السلام) ودخل صيته في كل بيت وكان مرجعاً روحياً تهوى إليه القلوب من كل مكان، وتلوذ به لحل مشكلاتها الفكرية والعقائدية والسياسية بكل سهولة وارتياح.

المحتوى العلمى

الحركه العباسيّه (النشأه والأساليب)

و كان هشام بن عبدالملك يحذر وجود أبي هاشم ـ و هو من رجال بني هاشم البارزين ـ لوجود لياقات علمية و سياسية عنده كانت تؤهله للقيادة، فحاول هشام اغتياله. ولمّا أحسّ أبو هاشم بالمكيدة ضدّه، احترز من ذلك، فأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بإدارة أتباعه في مقاومة الأمويّين سنة ٩٩ هـ .
و كانت هذه الوصية هي بذرة الطمع التي حركت محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مما جعلته يشعر بأنّه القائد والخليفة مستقبلا. وكانت الفرصة سانحة في ذلك الوقت بالتبليغ لشخصه، لذا شرع في بثّ الدعاة إلى خراسان سراً لهذا الغرض، واستمّر بدعوته إلى أن مات سنة (١٢٥ هـ) وترك من بعده أولاده وهم: *إبراهيم الإمام*، و السفّاح، و المنصور،[١] وإنّ إبراهيم الإمام هو الذي كان يخطّط لقيام دولة عباسيّة لأنّه الأكثر دهاءً وحنكة وتخطيطاً من أخويه.
فنشط إبراهيم بالدعوة، وأخذ يتّحدث بأهميّة الثورة وإنقاذ المنكوبين، وشارك البساط من الناس آلامهم، و أخذ يعطف على المظلومين ويلعن الظالمين. و انتشر دعاة إبراهيم في بلاد خراسان، و كان لهم الأثر هناك، و قد تعرض الدعاة العباسيون للقتل في سبيل دعوتهم، و مثّل ببعضهم وحبس البعض الآخر[٢] و كان في طليعة الدعاة الأكثر نشاطاً وقوة ودهاءً *أبو مسلم الخراساني*...[٣].
و تضمّن المنهج السياسي العباسي لكسب الأُمة عدة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامة الناس، ولذا لقيت الدعوة استجابة سريعة وانضمّ المحرومون و المضطهدون إليها.
الاسلوب الاول: روّج العبّاسيون أفكار الدعوة بقوة وحّركوا العواطف تجاهها وحاولوا إقناع الناس بأنّ الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليه السلام) الذين تّعرضوا للظلم والاضطهاد، وأُريقت دماؤهم في سبيل الحق.
وركّز العباسيون بين صفوف دعاتهم بأن الهدف المركزي من دعوتهم هو رجوع الخلافة المغصوبة إلى أهلها، ولهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضا لآل محمد(ص)) ووجدوا بهذا الشعار ضالّتهم.
وقد حقّق هذا الشعار نجاحاً باهراً خصوصاً في البلاد التي كانت قد لاقت البؤس والحرمان وكانت تترقّب ظهور الحق على يدي أهل بيت النبوة(عليه السلام).
الاسلوب الثاني: ركّز العباسيون على إخفاء إسم الخليفة الذّي يدعون إليه وتكتموا علي أمره وأوعدوا الناس بأنّ الخليفة لايمكن إظهار اسمه إلاّ بعد زوال سلطان الأمويين وهناك يعلن اسمه الذي تعرفه القواد والنقباء[٤].
الاسلوب الثالث: كان العباسيون يلبسون السواد، وكانوا يرمزون به إلى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت (عليه السلام) والشهداء الذين لحقوا بهم.
وهكذا قامت الدعوة العباسية باسمهم للإنتقام من الأُمويين، حتى تم لهم الأمر.

---

١ . الأداب السلطانية: ١٢٧.
٢ . تاريخ ابن الساعي: ٣.
٣ . الدينوري: ٣٦٠.
٤ . راجع: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.

الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) والحكم العباسى.

التزم الإمام الصادق (عليه السلام) إزاء المستجدّات السياسيّة في هذه المرحلة موقف الحياد، لكنّه من جانب آخر كان يواصل العمل على نهجه السابق، وأخذ يتحرّك بقوة ويوسّع من دائرة الأفراد الصالحين في المجتمع تحقيقاً لهدفه الّذي كان قد خطّط له قبل هذا الوقت.
و من هذا المنطلق أصدر جملة من التوصيات لشيعته كان من شأنها أن تَجنّبهم الدخول في المعادلات السياسية المتغيّرة التي تؤدّي بنتيجتها إلى استنزاف الوجود الشيعي في نظر الإمام(عليه السلام) محذّراً من أساليب العنف والمواجهة لهذه المرحلة.
فعن أبي بصير قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول:

«اتقوّا الله وعليكم بالطاعه لأئـمّتكم، قولوا مايقولون، واصمتوا عمّا صمتوا، فإنّكم في سلطان من قال الله تعالى: {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}[٥] يعني بذلك ولد العباس، فاتّقوا الله فإنّكم في هدنة، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم وأدوّا الأمانة اليهم»[٦].

الإمام الصادق(عليه السلام) وضروره الثوره.

لقد ساهمت الظروف السياسية الساخنة في إيجاد بعض التصورات والارهاصات عند أصحاب الإمام(عليه السلام) اُسوة بباقي الناس، وقد لاحظ هؤلاء بأنّ الظرف مناسب لتفجير الوضع واستلام الحكم لضخامة مايشاهدونه من شعبية الإمام وكثرة الناس الموالين له.
جاءت هذه التساؤلات عندما ورد إلى الإمام (عليه السلام) كتاب *أبي مسلم الخراساني* وهو من قادة الثورة على الحكم الأموي، فعن الفضل الكاتب قال كنت عند أبي عبد الل ه(عليه السلام) فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: >ليس لكتابك جواب، اُخرج عنّا، فجعلنا يُسارّ بعضنا بعضاً، فقال: أيّ شيء تسارُّون يافضل؟ إنّ الله عزّ ذكره لايعجّل لعجلة العباد، و لاَزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله. ثم قال: إنّ فلان بن فلان، حتى بلغ السابع من ولد فلان. قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لاتبرح الأرض يافضل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم<[٧].
و روى المعلّى بأنّه جاء إلى الإمام(عليه السلام) بكتب كثيرة من شيعته تطالبه بالنهوض[٨]و كان جواب الإمام(عليه السلام) أنّ الكثرة المزعومة وذلك العدد الذي لايستهان به لهو أحوج مايكون إلى الإخلاص ورسوخ العقيدة في النفوس فلايمكن للإمام(عليه السلام) أن يخوض المعركة بالطريقة التي يفكّر بها فضل الكاتب أو سهل الخراساني وغيرهم فإنّ المغامرة من هذا النوع والدخول في اللّعب السياسية استغلالا للظرف ستؤول إلى نتائج لم يدركها هؤلاء حيث ستتكوّن تجربة عقيمة تعطّل المخطّط الإلهي الذي تكلّفه الإمام(عليه السلام) حتى في حالة نجاح الإمام العاجل و تسلّمه لمقاليد الحكم لفترة وجيزة.

الإمام الصادق(عليه السلام) فى الكوفه

و كان حضور الإمام الصادق(عليه السلام) في الحيرة المدينة القريبة من الكوفة قد لفت أنظار الأمّة جميعاً واتّجهت الناس حوله لتنهل من علومه وتستفيد من توصياته و توجيهاته حتى قال محمد *بن معروف الهلالي*:
مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمّد فما كان لي من حيلة من كثرة الناس فلمّا كان اليوم الرابع رآني، فأدناني...[٩]
و هذا الحشد الجماهيري الكبير الذي يؤمن بأهليّة الإمام(عليه السلام) وأعلميّته و التفافه المستمّر حول الإمام (عليه السلام) قد دفع الحكومة العباسية الى أن تحدّ من هذه الظاهرة لكنّ الإمام(عليه السلام) انطلاقاً من محافظته على مسيرة الأُمّة ودفاعاً عن الإسلام نجده قد مارس مع السفّاح اُسلوباً مرناً.
و هكذا انطلق العباسيون من هذه النقطة باتجاه تصفية الإمام(عليه السلام) وتجميد نشاطه لأنّهم كانوا يرون فيه البديل القوي لهم لاستلام الحكم على المدى البعيد بالرغم من عدم ممارسة أي نشاط سياسي ظاهر له وانشغاله بالفقه وعلوم الشريعة والتصدي للتحديات الفكرية الحضارية آنذاك.

---

٥ . إبراهيم: ٤٦.
٦ . الكافي ٨ : ٢١٠.
٧ . الكافي ٨ : ٣٣١، وبحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٧ ووسائل الشيعة ١١ : ٣٧.
٨ ـ الكافي ٨ : ٢٧٤.
٩ . فرصة الغري: ٥٩.

لكن هذا النشاط بدوره ينتهي إلى المرجعية الفكريةو العلمية و هي مصدر خطر للسياسة لأنّها ترشّح الفرد المرجع إلى مركز الحكم فيكون قويّاً بفكره وبأنصاره وهو تهديد حقيقي للحكم غير المشروع.

موقف المنصور من الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)

استولى *ابو جعفر المنصور* على الحكم بعد وفاة أخيه السفاح سنة (١٣٦ هـ).
«و عُرف المنصور بأنّه كان خدّاعاً لايتردد في سفك الدماء وكان سادراً في بطشه مستهتراً في فتكه[١٠]».
و وصفه ابن هبيرة ـ وهو أحد معاصريه ـ بقوله: (مارأيت رجلا في حرب أوسلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور)[١١] لذا نجده بمجرد أن استلم زمام الحكم بادر إلى قتل أبي مسلم الخراساني الّذي يبغضه. وأبو مسلم هو القائد الأوّل للانقلاب العباسي. وكان المنصور قد أعدّ له مكيدةً وأغراه بالمجيء إلى بغداد، بعد أن جرّده من كل مناصبه العسكرية.
و بالرغم من كل تحفظات الإمام الصادق (عليه السلام) تجاه العباسيين وعدم الدخول في أي شأن سياسي يختص بهم أو يمّت اليهم بصلة، لم يتركه المنصور العباسي حرّاً في نشاطه، بل بدأ يخطّط للتآمر على الإمام (عليه السلام) ونشاطه ضمن عدّة مراحل وخطوات.

إنّ مخطط المنصور ضد الإمام الصادق (عليه السلام) ونهضته العلميه بشكل عام قد مرّ بثلاث مراحل:

المرحلة الاولى: المرونة والاستفادة من جهد الإمام (عليه السلام) لاحتوائه ضمن سياسة الخلافة العباسية فقد كتب إليه «لِمَ لا يغشانا كسائر الناس؟!
فأجابه الإمام(عليه السلام): ليس لنا مانخافك ولاعندك من أمر الآخرة مانرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك بها ولاتراها نقمة فنعزيك بها».
فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتنصحنا.
فأجابه الإمام (عليه السلام): «من أراد الدنيا لاينصحك، ومَن أراد الآخرة لايصحبك».
قال: المنصور: «والله لقد ميز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يُريد الآخرة، وإنه ممّن يريد الاخرة لا الدنيا»[١٢].
المرحلة الثانية: مرحلة المراقبة لحركة الإمام الصادق(عليه السلام) ورصد نشاطاته للحصول على آخر المعلومات عنه ليستطيع أن يتخذ منها دليلا ومستمسكاً للنيل من الإمام (عليه السلام) والتضييق على حركته التي كان يرى فيها المنصور خطراً حقيقياً على سلطانه.

وقد اتخذ لذلك عده أساليب:

ثوره محمد بن عبد الله ذى النفس الزكيه.

وبعد اختلاس العباسيين للحكم تألّم محمّد فأخذ يدعو الناس إلى نفسه فاستجاب له الناس وبايعوه وبعد ذلك أعلن ثورته في المدينة، وانضم إليه أهالي اليمن ومكه وقام بهم خطيباً ووضّح مظالم العباسيين.
ولمّا علم المنصور بالثورة وجه جيشاً بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى وبعد أن اندلعت الحرب وتفرّق جند محمد بن عبدالله أُصيب بجراح أدّى الى استشهاده.

موقف الإمام(عليه السلام) من الثوره.

لقد حذّر الإمام الصادق(عليه السلام) عبد الله بن الحسن من الترويج لابنه محمّد على أساس أنّه المهديّ لهذه الأمّة،
وأخبره بمستقبل الأحداث، ونبّه بأنّها ستنتهي إلى استشهاد محمد وأخيه إبراهيم، وأنّ الخلافة بعد أبي العبّاس السفّاح ستكون للمنصور.
وحينما سئل عن محمّد بن عبد الله ودعوته ـ قبل أن يعلن محمد ثورته ـ أجاب (عليه السلام):
إنّ عندي كتابين فيها اسم كلّ نبي وكل ملك يملك، لا والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما[١٣].
و لمّا ثار محمّد بن عبدالله (ذو النفس الزكيّة) ترك الإمام الصادق (عليه السلام) المدينة وذهب إلى أرض

---

١٠ . تاريخ ابن الأثير ٤ : ٣٥٥.
١١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٩.
١٢ . كشف الغمّة ٢ : ٢٠٣ و ٢٠٨، وبحار الأنوار ٤٧ : ١٨٥.
١٣ . بحار الأنوار ٣٦ : ١١٥ ، وبصائر الدرجات: ١٦٩.

له بالفرع، فلم يزل هناك مقيماً حتى قتل محمّد، فلما قتل و اطمأنّ الناس وأمنوا رجع إلى المدينة[١٤].
المرحلة الثالثة: مرحلة الفتك بالإمام واغتياله. كما سنلاحظ في الدرس اللاحق.

الخلاصه

١ـ كان موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من الحكم العباسي موقف المحايد ولم يتدخل في شؤونهم من قريب ولا من بعيد، ولم يستجب لأي واحد من العروض التي عرضت عليه قبل الانتصار أو بعده.
٢ـ حاول الإمام أن يجيب على تساؤلات شيعته الذين كانوا يرون ظواهر الأُمور وهي تسير باتجاه يستطيع الإمام وأصحابه من خلاله استلام زمام الحكم دون أضرار كبيرة. وكان جواب الإمام (عليه السلام) هو عدم الاغترار بظواهر الحوادث الجارية وضرورة التسليم للإمام (عليه السلام) المفترض الطاعة العالم بحقائق الأمور.
٣ـ وقد استمر الإمام (عليه السلام) في نشاطه العلمي بالرغم من بدء العباسيين بسياسة التضييق على الإمام(عليه السلام) وهم في بدايات عهدهم الجديد.
٤ـ عرف المنصور بالخداع وسفك الدماء واستولى على الحكم سنة . وبالغدر تخلّص من أبي مسلم الخراساني وعمّه عبد الله بن علي.
٥ـ وأمّا موقفه من الإمام الصادق (عليه السلام)، فبالرغم من عدم ممارسة الإمام (عليه السلام) لأي نشاط مثير ضد العباسيين، بل كانت مواقفه تجاه الخروج عليهم مصحوبة بالتحذير، ولكن المنصور قد عبّر عن مكنون حقده على الإمام ضمن ثلاث مراحل (وثلاثة اتجاهات): مرحلة المرونة، مرحلة المراقبة، ومرحلة الفتك بالإمام(عليه السلام).

١٤ . كشف الغمّة ٢ : ١٦٢، وبحار الأنوار ٤٧ : ٥.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 28

العقد الأخير من حياه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)

المقدمه

لقد كان العقد الأخير من حياة الإمام الصادق(عليه السلام) في حكومة المنصور يمثّل مرحلة تكثيف التشدّد والمراقبة لحركة الإمام (عليه السلام) بحيث تخلّلتها عدة محاولات لإغتيال الإمام (عليه السلام). وحينما علم الإمام (عليه السلام) أنّ المنصور قد صمّم على قتله، أخذ يمارس مجموعة من الأنشطة التي يهيّيء فيها الخطّ الشيعي لمواصلة الطريق من بعده، وسوف يكون الكلام في هذا الدرس حول هذه الأنشطة، كما سنتناول مسألة استشهاده عليه السلام أيضا.

المحتوى العلمى

حينما علم الإمام (عليه السلام) أنّ المنصور قد صمّم على قتله، أخذ يمارس مجموعة من الأنشطة التي يهيّيء فيها الخطّ الشيعي لمواصلة الطريق من بعده، و هذه الأنشطة يمكن ايجاز الكلام عنها في ما يلي:

النشاط الاول: حاول الإمام الصادق (عليه السلام) أن يجعل الصفّ الشيعي صفّاً متماسكاً في عمله ونشاطه، وركّز على الإمام الكاظم (عليه السلام) لقيادة الجماعة الصالحة من بعده فيما لو تعرض لعمليّة القتل من قبل المنصور، وقد قطع الطريق أمام المنتفعين والأدعياء الذين كانوا يتّربصون الفرص في تلك الظروف، لأنّ إسماعيل ابن الإمام المتوفى في هذه الفترة كان يصلح كعنصر لتفتيت الصفّ الشيعي باعتباره الابن التقي للإمام (عليه السلام).

و قد التفت الإمام (عليه السلام) إلى هذه العقبة وحاول أن يرفعها بأساليب شتّى.

ومن النشاطات التي بذلها الإمام معالجة هذه المشكلة: التأكيد لصحابته على تحقق موت ابنه إسماعيل، ورفع الشكوك المحتملة حول موته في كل فرصة كانت تسنح لذلك.

١ ـ فقد جاء عن زرارة بن أعين أنّ الصادق (عليه السلام) دعا داود بن كثير الرقّي وحمران ابن أعين، وأبا بصير، ودخل عليه المفضل بن عمر وأتي بجماعة حتى صاروا ثلاثين رجلا فقال: يا داود! إكشف عن وجه إسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال: تأمّله ياداود، فأنظره أحيّ هو أم ميتّ؟ فقال بل هو ميّت. فجعل يعرضه على رجل رجل حتى أتى على آخرهم فقال: اللهم اشهد. ثم أمر بغسله وتجهيزه.

ثم قال: يامفضّل! أحسر عن وجهه فحسر عن وجهه، فقال: أحي هو أم ميّت؟ إنظروه أجمعكم، فقال: بل هو ياسيّدنا ميّت، فقال: شهدتم بذلك وتحققتموه؟ قالوا: نعم، وقد تعجّبوا من فعله.

فقال: اللّهم إشهد عليهم. ثم حمل إلى قبره، فلما وضع في لحده، قال:

يامفضّل! اكشف عن وجهه، فكشف، فقال للجماعة: انظروا أحي هو أم ميّت؟ فقالوا: بل ميّت ياوليّ الله.

فقال: اللّهم اشهد، فإنّه سيرتاب المبطلون، يريدون أن يطفئوا نور الله ـ ثم أومأ إلى موسى(عليه السلام) و قال :

ـ والله متّم نوره ولو كره الكافرون.

ثم حثوا عليه التراب، ثمّ أعاد علينا القول فقال: الميت المكفّن المدفون في هذا اللحد من هو؟ قلنا: إسماعيل ولدك.

فقال: اللهم اشهد. ثم أخذ بيد موسى فقال: هو حق، والحق معه ومنه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[١].

النشاط الثاني: رغم الحرب الباردة بين المنصور و الإمام الصادق (عليه السلام)، إلا أنّ الإمام (عليه السلام) قد مارس بعض الأدوار مع السلطة لغرض الحفاظ على الأمة و سلامة مسيرتها و إبْقاء روح الرفض قائمة في نفوسها، مخافة أن تسبّب جهود المنصور حالة من الانكسار للشيعة بسبب الاستجابة لمخططاته الخبيثه.

و من بعض هذه الممارسات ما ورد من أنّ أبا جعفر المنصور قال للإمام الصادق (عليه السلام): إنّي قد عزمت على أن أُخرّب المدينة ولا أدع فيها نافخ ضرمة.

فقال: يا أمير المؤمنين! لا أجد بُدّاً من النصاحة لك فاقبلها إن شئت أوْ لا.

ثمّ قال (عليه السلام): إنّه قد مضى لك ثلاثة أسلاف: أيوب (عليه السلام) أُبتلي فصبر، و سليمان (عليه السلام) أُعطي فشكر، ويوسف (عليه السلام) قَدَرَ فغفر، فاقتد بأيّهم شئت. قال: قد عفوت..[٢]

النشاط الثالث: لقد ركّز الإمام (عليه السلام) على مبادىء إسلامية و ممارسات إصلاحية في نفوس شيعته مثل مبدأ التقيه، وكتمان السر، والعلاقة الفكرية والعاطفية بالثورة الحسينية لتقي هذه المبادىء

---

١ . المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٨٨، وبحار الأنوار ٤٧ : ٢٥٣.
٢ . سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٦٦.

والممارسات الوجود الشيعيّ من الضربات و المخططات الخارجية.

محاصره الإمام الصادق (عليه السلام).

ثم إنّ المنصور قد صعّد من تضيقه على الإمام الصادق (عليه السلام) ومّهد لقتله، فقد استدعاه عدة مرات لقتله إلا أن الله منعه عن ذلك[3].
و يصوّر لنا الإمام الصادق (عليه السلام) عمق المأساة التي كان يعانيها في هذا الظرف بالذات والأذى الذّي كان يصبّه عليه المنصور في كلامه الذي نقله لنا عنبسه حيث، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:
«أشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة حتى تقدموا[4] وأراكم وأسّر بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذت قصراً في الطائف فسكنته، وأسكنتكم معي، و أضمن له أن لايجيء من ناحيتنا مكروه أبداً»[5].

استشهاد الإمام جعفر الصادق(عليه السلام).

و أخيراً أقدم المنصور على الفتك بالإمام جعفر بن محمد الصادق واغتياله سنة (١٤٨ هـ)، فدسّ إليه السم على يد عامله في يثرب[6] ، فسقاه به و لمّا تناوله الإمام (عليه السلام) تقطّعت أمعاؤه وأخذ يعاني الآلام القاسية.
و لمّا علم الإمام أنّ أجله قد حان، أوصى بجميع وصاياه إلى ولده الإمام الكاظم (عليه السلام)، و كان منها تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه، كما أنّه كان قد نصبه إماماً من بعده، لكنّه عهد بأمره أمام الناس إلى خمسة أشخاص حفاظاً على حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).
و كان المنصور يراقب الحدث، يقول أبو أيوب الخوزي: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليّل، و لمّا دخلت عليه قال لي: اكتب إلى والي المدينة: فكتبتُ صدر الكتاب، ثم قال: اكتب: إن كان قد أوصى إلى رجل بعينه، فقدّمه واضرب عنقه.
قال: فرجع الجواب إليه: أنّه قد أوصى إلى خمسة: أحدهُم أبو جعفر المنصور، والباقون هم: محمد بن سليمان، وعبد الله وموسى وحميدة، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل[7].
و هكذا انتهت حياة هذا الإمام العظيم الذي عُرف به المذهب الجعفري وإليه يُنسب، و يدل على ذلك عظمة التراث الذي خلّفه لنا جعفر بن محمد الصادق، حيث يشكّل أغنى تراث يتضمن تفاصيل مذهب أهل البيت (عليه السلام)، و بجهوده أخذ الكيان الشيعي يتكامل و يتلألأ في الأفق يوماً بعد يوم و قرناً بعد قرن، حتى يتوّج الله ذلك بقيام المهدي من آل محمد (ص)، و يكلّل جهود آبائه الكرام بالنصر المبين. و صدق الله العظيم حيث يقول:
{أَلا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ لَهُمْ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[8].

الخلاصه

١ـ لقد كان العقد الأخير من حياة الإمام الصادق(عليه السلام) في حكومة المنصور يمثّل مرحلة تكثيف التشدّد والمراقبة لحركة الإمام (عليه السلام) بحيث تخللّتها عدة محاولات لإغتيال الإمام (عليه السلام).
٢ـ حاول الإمام (عليه السلام) في العقد الأخير من حياته أن يزيد من تماسك الصف الشيعي من جهة و أخذ يتحدّى الحاكمين من جهة أخرى لئلاّ يستغل سكوته ويجعل وسيلة لضرب من يصرخ بوجه الظلم والظالمين.
٣ـ كما كثّف الإمام من نشاطاته السرية ليقي الوجود الشيعي من الضربات المحتملة.
٤ـ اشتدت محاصرة الإمام (عليه السلام) و استمرت حتى أقدم المنصور على اغتيال الإمام (عليه السلام) عن طريق دسّ السمّ إليه، ولكنه جعل وصيته بنحو يضمن فيها حفظ ابنه الكاظم (عليه السلام) من شرّ المنصور بعد أن كان المنصور قد اهتم بمعرفة وارث الإمام صاحب منصب الإمامة الشرعية من بعده.

---

٣ . مهج الدعوات: ١٧٥ و ١٨٤ والخرائج والحوائج ٢ : ١٩٥ والكافي ٢ : ٥٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ١٩ : ٥١٦ والكافي ٦ : ٤٤٥.
٤ . الموالون لأهل البيت(عليه السلام) أو خاصة الإمام(عليه السلام).
٥ . رجال الكشّي: ٣٦٥، والكافي ٨ : ٢١٥، وبحار الأنوار ٤٧ : ١٨٥.
٦ . نور الأبصار: ١٣٣ الفصول المهمّة لأبن الصباغ، الإتحاف بحبّ... الأشراف: ٥٤ وسبائك الذهب: ٧٢.
٧ . بحار الأنوار ٤٧ : ٣ عن الغيبه للشيخ الطوسي، والكافي ١ : ٣١٠.
٨ . يونس : ٦٢.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 29

عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

المقدمه

لم يغيّر المنصور من سياسته ضدّ العلويّين بعد قتله للإمام الصادق(عليه السلام). وبالرغم من قضائه على الثورات العلويّة في زمانه، ظلّ هاجس الخوف والقلق يلاحقه، فضلا عن الحقد عليهم، فاستمرّ اضطهاده لهم بزجّه للإبرياء في السجون المظلمة وهدمها عليهم، و دفن البعض في اسطوانات البناء أحياءً، مع بثّه للجواسيس، ليحيط علماً بتحركهم و نشاطهم و كان جواسيسه يخلطون الحقائق بالأكاذيب إرضاءً لرغبة الخليفة في قمعهم، كما سمح للتيارات الإلحادية مثل تيار الغلوّ والزندقة وغيرهما، في أن تأخذ طريقها بين الناس لإضلالهم، وكان تقريبه لبعض العلماء لتأييد سياسته اوّلا وجعلهم في قبال أهل البيت (عليه السلام) ثانياً، ولاستجلاء الوضع بعد الامام الصادق (عليه السلام) ينبغي أن نشير إلى عدّة نقاط نتناولها في هذا الدرس إن شاء الله تعالى، كما سنتناول بعض الخطوط العامة من تاريخ الإمام الكاظم(عليه السلام)، وهو ما قضاه من حياته في عهد المنصور.

المحتوى العلمى

ولادته:

أرجو كتابة بحث في هذا المجال.

نسبه و كنيته

أما نسبه أبا وأما، فهو موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

و أما أمه فتسمى حميدة البربرية . وأما كنيته : فأبو الحسن ، وألقابه كثيرة، أشهرها : الكاظم، ثم الصابر والصالح والأمين .[1]

التنصيص على إمامته:

يرجى إجراء بحث في هذا المجال بالاعتماد على الكتب والمصادر التاريخية المعتمدة.

1 ـ الارتباك العام وإمامة الكاظم(عليه السلام).

لا بد من الإشارة إلى نقاط:

و لكي يكون عندنا صورة عن الوضع بعد الامام الصادق (عليه السلام) ينبغي أن نشير إلى النقاط التالية:

شدة الإرتباك

يصّور لنا هشام بن سالم ـ أحد رموز الشيعة ـ شدة الارتباك عند الشيعة وشدّة الرقابة عند السلطة بعد وفاة الامام الصادق (عليه السلام) في مايلي:

قال: كنّا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام) أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر، و الناس مجتمعون على أنّ عبد الله (*الا فطح*) صاحب الأمر(الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله، وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله (عليه السلام) :أنّ الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كُنا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: (في مائتين خمسة) قلنا (ففي مائة؟) قال: درهمان ونصف درهم!![2]

قلنا له: و الله ماتقول المرجئة هذا. فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال: لا: والله ماأدري ماتقول المرجئة!

قال: فخرجنا من عنده ضُلّالا، لاندري الى أين نتوّجه أنا وأبو جعفر الأحول[3] ، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين، حيارى، لاندري إلى من نقصد وإلى أين نتوجه! نقول: (نذهب) إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟

قال: فنحن كذلك إذ رأيتُ رجلا شيخاً لاأعرفه يوميء إليَّ بيده، فخفتُ أن يكون عيناً (جاسوساً) من عيون أبي جعفر (منصور الدوانيقي)، وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق من شيعة جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، ولكني تبعتُ الشيخ، و ذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلتُ أتبعه حتّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام)، ثمّ تركني ومضى.

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ابن الصباغ: ٢ :٩٣٥ – ٩٣٧.
٢ . من الثابت عندالمسلمين أن لازكاة في أقلّ من مائتي درهم،ولكنّ الأفطح كان يجهل هذا الحكم.
٣ . مؤمن الطاق وأبو جعفر وصاحب الطاق والأحول، كلّها ألقاب لرجل واحد.

فإذا خادم بالباب فقال لي: أُدخل، رحمك الله. قال: فدخلتُ فإذا أبو الحسن الكاظم (عليه السلام)فقال لي ـ ابتداءً ـ : لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، و لا إلى الخوارج، إليَّ إليَّ إليَّ!!

قال هشام: فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال (عليه السلام): «نعم». قلت: جعلت فداك مضى في موت؟ قال (عليه السلام): «نعم». قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال(عليه السلام): «إن شاء الله يهديك هداك، إلى أن قال:قلت: جعلت فداك، أسألك عمّا كان يسأل أبوك؟ قال (عليه السلام): سَل، تُخبر، ولا تُذِع (ای لاتنشر الخبر) فإن أذعتَ فهو الذبح.

قال (هشام): فسألته، فإذا هو بحر! قلت: جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضُلاّل، فألقِ إليهم (أخبرهم) و ادعهم إليك؟ فقد أخذت عَلَيَّ بالكتمان.

فقال الإمام (عليه السلام): «من آنست منهم رشداً، فألقِ عليهم (أخبِرهم) و خذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح» ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ » [٤].

2 ـ المنصور وسياسته ضد العلويين.

حديث الخزانة :

يدلّ حديث الخزانة الآتي على كيفيّة تعامل المنصور مع العلويين بشكل دقيق و إليك نصّه:

«لمّا عزم المنصور على الحجّ دعا ريطة بنت أبي العباس إمرأة المهدي، وكان المهديّ بالريّ قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وأحلفها ووكّد الأيمان أن لاتفتح بعض تلك الخزائن، ولاتُطلِع عليها أحداً إلاّ المهدي، ولا هي إلاّ أن يصحّ عندها موته، فإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما أحد حتّى يفتحا الخزانة، فلمّا قدم المهدي من الريّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته أنّه أوصى إليها ألاّ يفتحه، ولا يطّلع عليه أحداً حتّى يصحّ عندها موته، فلمّا انتهى إلى المهدي موت المنصور، وولي الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيّين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدّة كثيرة، فلمّا رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وبنى فوقها دكاناً[٥].

3 ـ عبد الله الأفطح ودعوى الإمامه (مسأله القياده بعد الإمام الصادق (عليه السلام)).

و من المشاكل التي كانت تهدف لتمزيق الطائفة الشيعية وإثارة البلبلة والتخريب في صفوفها: التشكيك في مسألة القيادة بعد الإمام الصادق (عليه السلام)، فقد ادّعى الإمامة (*عبد الله الأفطح*) وهو أخو الإمام موسى(عليه السلام) الأكبر بعد إسماعيل، و هذا بطبيعة الحال يُضيف معاناة أُخرى للإمام، لأنّ أجهزة المنصور العدوانية كانت تعّدُ عليه الأنفاس وتشكّ في أيّة حركة تصدر منه في مجال تصدّيه للإمامة[٦].

4 ـ التعتيم على مرجعيه أهل البيت (عليه السلام).

و من الأساليب التي استخدمتها السلطات العباسية للتعتيم على مرجعية أهل البيت (عليه السلام) و تضعيف دورهم العلمي والفكري في المجتمع الإسلامي هي سياسة خلق البدائل العلمية و تقويتها من خلال دعم السلطة لها، لتغطّي الفراغ الحاصل من عزل أهل البيت، وتؤيد السياسة الحاكمة، فتوحي للأمّة بأنّه الخليفة على الخطّ الإسلامي وعلى نهج السنة النبويّة، فالمنصور وجد (*مالك بن أنس*) ممّن تجاوب مع سياسته، وهذا مادفع بالمنصور الى أن يفرض (*الموطّأ*) على الناس بالسيف، ثم جعل لمالك السلطة في الحجاز على الولاة و جميع موظّفي الدولة، فازدحم الناس على بابه وهابته الولاة والحكام.

و حينما وفد الشافعي عليه فشفع بالوالي لكي يسهل له أمر الدخول عليه، قال له الوالي: «إنّي أمشي من المدينة إلى مكّة حافياً راجلا أهون عليَّ من أن أمشي إلى باب مالك. و لست أرى الذلّ حتّى أقف على بابه»[٧].

5 ـ الفرق الضّاله فى عصر الإمام الكاظم (عليه السلام).

لقد تنوعت الفرق الضّالة التي انتشرت واستفحلت في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)، فبعضها كان يتحدى الإسلام كمبدأ الزنادقة، وبعضها كان ينتهي إلى مسخ العقيدة الإسلامية كالغلّو والإرجاء والجبر.

---

٤ . اختيار معرفة الرجال ٢ : ٥٦٥ ح ٥٠٢ وبحار الأنوار ٤٨ : ٥٠.
٥ . الطبري ٦ : ٣٢٠ ط ١.
٦ . الكافي ١ : ٢٨٥ ح ٦ ; والإرشاد : ٨٥ واختيار معرفة الرجال ٢ : ٥٢٤ ح ٤٧٢.
٧ . الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣: ١٨٠ ـ ١٨١.

و قد وجدت هذه الفرق جوّاً مساعداً للنمّو والانتشار. وكلها كانت تخدم الجهاز الحاكم بشكل وآخر، ومن هنا كان الحكام يسمحون لها بالتحرك والنشاط.

نشاطات الإمام (عليه السلام) في المرحله الأولى من فتره تصدّيه للإمامه.

لقد قام الإمام الكاظم (عليه السلام) بمجموعة من النشاطات كانت تتطلبها المرحلة الأولى من فترة تصدّيه للإمامة بعد أبيه الصادق(عليه السلام).

النشاط الأول: التصدّى لإثبات إمامته (عليه السلام).

و أوّل ما قام به الإمام (عليه السلام) أنّه تصدّى لإثبات إمامته من خلال إبرازه للقدرات الغيبية التي زوّده الله بها، لأنّ الجو العام لم يساعد على تداول النص الخاص بالوصية إليه دون غيره. وبهذا اخترق الإمام (عليه السلام) الواقع الموجود وتحدّاه بقدراته الربّانية... ، حتّى أدّى ذلك إلى ضمور سائر الاتجاهات وظهور إمامته بالتدريج دون وجود مضاعفات تستلزم تصفيته أو قتله، كما في إخبار الإمام لعامّة الناس ببعض الأخبار الغيبيّة التي لايمكن للإنسان العادي أن يتوصّل إليها، وفي هذه الإخبارات شواهد ملموسة على ارتباطه بعالم الغيب والتوجه الرباني الخاص إليه. والروايات من هذا القبيل كثيرة جدّاً ننقل بعضاً منها:

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح (عليه السلام) ينعي إلى رجل من شيعته نفسه، فقلت في نفسي: وإنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته! فالتفت إليّ شبه المغضب فقال (عليه السلام): «يا إسحاق! قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا، والإمام أولى بعلم ذلك»، ثمّ قال(عليه السلام): «يا إسحاق! إصنع ما أنت صانع، فإنّ عمرك قد فنى، وقد بقي منه دون سنتين...»، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلاّ يسيراً حتّى مات[8].

و من قدرات الإمام الخارقة للعادة و التي كانت تميّزه عن غيره هي تكلّمه بلغات متعدّدة من غير أن يتعلّمها بالطرق الطبيعية للتعلم، و إنّما بالإلهام الإلهي، و في هذا المجال تطالعنا مجموعة من الشواهد:

عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي الحسن الماضي(عليه السلام)، فما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلّم الخراساني بالعربية، فأجابه هو بالفارسية.

فقال له الخراساني: أصلحك الله مامنعني أن أكلّمك بكلامي إلاّ أنّني ظننت أنّك لاتحسن، فقال (عليه السلام): «سبحان الله، إذا كنت لاأحسن بما أُجيبك فما فضلي عليك؟!»

ثمّ قال(عليه السلام): «يا أبا محمّد! إنّ الإمام لايخفى عليه كلام أحد من الناس، ولاطير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح. بهذا يعرف الإمام، فإذا لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام»[9].

النشاط الثاني: التصدي لعوامل انشقاق الصّف الإسلامي والشيعي.

١ ـ تصديه لعبدالله الأفطح:

نجد أنّ موقف الإمام موسى(عليه السلام) من أخيه عبد الله (الأفطح) لم يكن موقفاً عدائياً سافراً رغم أنّه ادعى الإمامة بعد أبيه، وكان هذا الادّعاء الخطير يؤثّر على الوجود الشيعي ومستقبله، فلم يكرّس(عليه السلام) كامل جهده وطاقاته بحدود هذه المشكلة، ولم يسلك مساراً يضغط به من الخارج كي يفرض على *الصف الشيعي* أن ينقسم إلى فريقين:

- أنصار
- خصوم

كما أنّه (عليه السلام) لم يدخل الحرب النفسية ولا الكلامية، وإنّما عالج هذه المشكلة بأُسلوب هاديء، وكفيل بعلاج هذه الأزمة.

فقد استخدم الإمام (عليه السلام) أُسلوب المعجزة التي تميّزه عن عبد الله باعتباره إماماً مفترض الطاعة، فقام (عليه السلام) بإثبات إمامته أمام جمع من خواصّ الشيعة.

فقد روي عن المفضل بن عمر أنّه قال: لمّا قضى الصادق (عليه السلام)، كانت وصيّته في الإمامة إلى موسى، فادّعاها أخوه عبد الله و كان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك هو المعروف بالأفطح فأمر موسى بجمع حطب كثير في وسط داره فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلمّا صار عنده و مع موسى جماعة من وجوه الإمامية و جلس إليه أخوه عبد الله ، أمر موسى أن يجعل النار في ذلك الحطب كلّه، فاحترق كلّه ولايعلم الناس السبب فيه، حتّى صار الحطب كلّه جمراً، ثمّ قام موسى بثيابه في وسط النار وأقبل يحدّث الناس ساعة، ثمّ قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس،

فقال لأخيه عبد الله : إن كنت تزعم أنّك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس، فقالوا: فرأينا عبد الله

٨ . بحار الأنوار ٤٨ : ٦٨ جمعاً بين هذه الرواية ورواية إسحاق بن منصور.

٩ . قرب الإسناد: ١٤٦ ; بحار الأنوار ٢٥ : ١٣٣ وإثبات الهداة ٧٢ : ٥ : ٥٣٥ وأورده في كشف الغمّة ٢ : ٢٢٤ ودلائل الإمامة: ١٦٩، وإثبات الوصيّة.

قد تغيّر لونه، فقام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى(عليه السلام) [10].
والجدير بالذكر أنّ الطائفة التي اتبعته قد رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه (*موسى الكاظم*) لمّا تبيّنوا ضعف دعواه وقوّة رأي أبي الحسن موسى الكاظم ودلالة حقّه، وبراهين إمامته [11].
٢ ـ تصديه للمناهج والمرجعيات العلمية غير السديدة.
فعن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت: لأبي الحسن الأوّل (الإمام الكاظم) (عليه السلام)، بما أوحِّدُ الله؟ فقال(عليه السلام): «يايونس! لاتكوننَّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبّيه (عليه السلام) ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه (عليه السلام) كفر» [12].
وقال الإمام الكاظم (عليه السلام) في موضع آخر: «مالكم والقياس! إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس» [13].
٣ ـ تصديه للقيادات السياسية المنحرفة.
ويتضح هذا النشاط من خلال ما يلي:

أ ـ إعطاء المقياس الواضح لتمييز الحق عن الباطل.

أعطى الإمام(عليه السلام) مقياساً واضحاً تميز به الأمّة الحق من الباطل لتستطيع أن تطبّقه و تكتشف مدى صدق من يدّعي القيادة والخلافة كي تعرف المحقّ من المبطل.
فعن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي(عليه السلام) قال: دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك بِمَ يُعرف الإمام؟ فقال(عليه السلام): «بخصال، أما أوّلهن فشيء تقدّم من أبيه فيه، وعرّفه الناس، و نصبه لهم علماً، حتى يكون حجّة عليهم، لأنّ رسول الله (ص) نصب عليّاً(عليه السلام) علماً و عرّفه الناس، و كذلك الأئمّة يعرّفونهم الناس وينصبونهم لهم حتّى يعرفوه، ويُسأل فيجيب، ويسكت عنه فيبتديء و يخبر الناس بما في غد، و يكلّم الناس بكلّ لسان...» [14]

ب ـ مقاطعه القيادات السياسيه المنحرفه:

لقد كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على مقاطعة القيادات السياسية المنحرفة لعزلها عن القواعد التي تستغلّها لتحقيق مآربها، وكان يحاسب شيعته على التسامح في التعامل مع السلطة الغاصبة والتعاون معها بأيّ شكل من الأشكال.
قال زياد بن أبي سلمة: «دخلت على أبي الحسن موسى(عليه السلام)» فقال لي: «يازياد! إنّك لتعمل عمل السلطان؟» قال: قلت: أجل قال(عليه السلام): «لي ولم؟» قلت أنا رجل لي مروة وعليَّ عيال وليس وراء ظهري شيء. فقال(عليه السلام) لي: «يازياد! لان أسقط من على حالق (*مكان شاهق*) فأقطّع قطعة قطعة، أحبّ إليّ من أن أتولّى لأحد منهم عملا أو أطأ بساط رجل منهم، إلاّ، لماذا؟» قلت: لاأدري جعلت فداك.
قال(عليه السلام): «إلاّ لتفريج كربة عن مؤمن،أو فكّ أسره، أو قضاء دينه، يازياد إنّ أهون مايصنع الله بمن تولّى لهم عملا أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ من حساب الخلائق.
يا زياد! فإن ولّيت شيئاً من أعمالهم، فأحسن إلى إخوانك، فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك، يازياد أيّما رجل منكم تولّى لأحد منهم عملا، ثمّ ساوى بينكم وبينهم، فقولوا له: أنت منتحل كذّاب» [15].

الخلاصه

١ـ لم يغيّر المنصور من سياسته ضدّ العلويّين بعد قتله للإمام الصادق(عليه السلام).
٢ـ كان هناك شدة ارتباك عند الشيعة وشدّة الرقابة عند السلطة من جهة أخرى بعد وفاة الامام الصادق (عليه السلام).
٣ـ كان المنصور شديدا جدا على العلويين فأكثر فيهم القتل.
٤ـ ادّعى (عبد الله الأفطح) الإمامة وهو أخو الإمام موسى(عليه السلام) الأكبر بعد إسماعيل، مما أضاف معاناة أخرى للإمام (عليه السلام) .
٥ـ من جملة الأساليب التي استخدمتها السلطات العباسية للتعتيم على مرجعية أهل البيت (عليه

---

١٠ . بحار الأنوار ٤٧ : ٢٥١ ح ٢٢ و ٤٨ : ٦٧ ح ٨٩ والخرائج الجرائح: ١٥٩ ومدينة المعاجز: ٤٥٩ ح ٩٣.
١١ . الإرشاد : ٢٨٩.
١٢ . اصول الكافي ١ : ٥٦ ـ ٥٨، ط طهران.
١٣ . وسائل الشيعة ١٨ : ٢٣ و ٢٤ : ١٩ ط طهران.
١٤ . بحار الأنوار ٤٨ : ٤٧ ح ٣٣.
١٥ . الكافي ٥ : ١٠٩ و ١١٠ ط طهران وبحار الأنوار ٤٨ : ١٧٢ ح ١٣ وأخرجه في التهذيب ٦: ٣٣٣ ح ٤٥ عن محمد بن يعقوب، عنهما وسائل الشيعة ١٢ : ١٤٠ ح ٩.

السلام) وتضعيف دورهم هي سياسة خلق البدائل العلمية وتقويتها من خلال دعم السلطة لها.
٦ـ قام الإمام الكاظم(عليه السلام) بمجموعة من النشاطات كانت تتطلبها المرحلة الأولى من فترة تصدّيه للإمامة بعد أبيه الصادق(عليه السلام).
٧ـ أوّل ما قام به الإمام (عليه السلام) أنّه تصدّى لإثبات إمامته من خلال إبرازه للقدرات الغيبية التي زوّده الله بها.
٨ ـ أعطى الإمام(عليه السلام) مقياساً واضحاً تميّز به الأمّة الحق من الباطل لتستطيع أن تطبّقه وتكتشف مدى صدق من يدّعي القيادة والخلافة كي تعرف المحقّ من المبطل.
٩ ـ لقد كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على مقاطعة القيادات السياسية المنحرفة لعزلها عن القواعد التي تستغلّها لتحقيق مآربها.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی (2)

الدرس 30

عصر الإمام الكاظم(ع) (العقد الثانی)

عهد المهدی العباسی

المقدمه

بدأنا في الدرس السابق بتاريخ الإمام الكاظم (عليه السلام)، فتعرضنا الى الأوضاع التي سادت بداية تسلمه لمنصب الإمامة، وذلك أيام المنصور الظالم، وسنتناول في هذا الدرس تاريخ الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المهدي والهادي العباسيين.

المحتوى العلمى

أولا: الإمام الكاظم(عليه السلام) والمهدي العباسي.
مات المنصور في ذي الحجّة سنة ١٥٨ قبل أن يُتِمَ الحجّ، واستولى على منصب الخلافة والحكم ابنه محمد المهدي، وبويع له في اليوم الذي مات فيه المنصور اي في الرابع من ذي الحجّة سنة (١٥٨ هـ).

ما تميز به المهدى العباسى:

وقد تميز المهدى العباسى، عن أبيه المنصور بجمله من الأمور منها :

١ ـ حاول المهدي أن يسلك أسلوباً مرناً مع العلويين في بداية حكمه خلافاً لسياسة أبيه حيث أصدر عفواً عامّاً عن جميع المسجونين، كما ردّ الأموال المنقولة وغير المنقولة التي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً إلى أهلها، فردّ على الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ما كان قد صادره أبوه من أموال الإمام الصادق(عليه السلام).
٢ ـ بعد أن نشط الإمام الكاظم(عليه السلام) وذاع صيته، استخدم المهدي سياسة التشدد والتضييق على الإمام موسى(عليه السلام) فاستدعاه إلى بغداد وحبسه في أحد سجونها ثمّ ردّه إلى المدينة[١] كما خطّط لقتل الإمام (عليه السلام).
٣ ـ شاع في عهد المهدي اللهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلل. وبلغ المهدي حُسْنَ صوت إبراهيم الموصلي وجودة غنائه فقرّبه إليه وأعلى من شأنه[٢].
ولقد استغرق المهدي في المجون واللهو، وظن الناس به الظنون واتهموه بشتى التهم[٣].

إستثمار الإنفتاح النسبى:

لقد استثمر الإمام (عليه السلام) هذا الانفتاح النسبي ليقوم بنشاط عام على مستوى الأمة وبنشاط خاص بالجماعة الصالحة التي أخذت تتعمق جذورها وتتّسع في وجودها مما جعلها تصبح كياناً مؤثراً في المستقبل القريب فهي بحاجة الى تحصينات كافية ضدّ التحديات التي سوف تواجهها في المستقبل القريب.
وكان العقد الثاني من عصر الامام الكاظم(عليه السلام) ـ المنطبق على السنوات العشر التي حكم فيها المهدي ـ هو قمة النشاط المكثف للإمام(عليه السلام) بعد أن عُرِفَ الإمام في الأوساط الإسلامية بأنّه الممثّل الحقيقي لخط أهل البيت(عليه السلام)وتحدّى كل الفرق والقيادات الضالّة واستطاع أن يبرز إماماً وقائداً روحياً وعلمياً وسياسياً للأمة.

النشاط العام للإمام (عليه السلام) مع الأمّه.

وأما بالنسبة إلى النشاط العام للإمام (عليه السلام) مع الأمّة، فيمكن عرض التالي في هذا المجال:
١ ـ المجال السياسي.
تعميق الخطّ:
أخذالإمام (عليه السلام) يوضّح موقفه للأمّة من الخلافة والخلفاء.فقام بتعميق خطّه عبرعدّة مواقف، منها:
١ـ ذكرنا أنّ المهدي عند استيلائه على كرسيّ الخلافة بعد أبيه المنصور أبدى سياسة مرنة مع العلويّين أراد بها التضليل على الأفكار وحاول أن ينسب المظالم العباسية للعهد البائد، ويوحي من جانب بقوة الحكم القائم وشرعيته وعدالته عندما أعلن عن إعادته للحقوق الضائعة والمغصوبة.
وهنا وجد الإمام(عليه السلام) الفرصة لاستغلال هذه البادرة فطالب المهدي بإرجاع فدك إليه وجعل هذه

---

١ . قرب الإسناد : ١٤٠، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٨ ح ٣٢ كشف الغمّة ٢ : ٢٣٨ وأخرجه المالكي في الفصول المهمّة: ٢١٦ والشبلنجي في نور الأبصار: ١٧٥.
٢ . الأغاني ٥ : ٥ .
٣ . شذرات الذهب ١ : ٣٦٥ راجع حياة الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) ١ : ٤٣٨.

المطالبة منطلقاً للكشف عن الحقيقة الضائعة تحت جبروت الحاكمين فإنّ فدكاً كانت تحمل قيمة سياسية باعتبارها رمزاً للصراع التاريخي بين خطّ السقيفة وخطّ أهل البيت(عليه السلام).
فتغيّر المهدي، وبدا الغضب على وجهه[٤].
٢ ـ موقف الإمام(عليه السلام) من ثورة صاحب فخّ: رغم أنّ الإمام(عليه السلام) لم يعمل في هذه المرحلة بصيغة المواجهة المسلّحة طيلة أيام حياته، إلاّ أنّ الإمام(عليه السلام) مارس دور الإسناد والتأييد لثورة الحسين بن علي(رضي الله عنه) ـ صاحب فخّ ـ من أجل تحريك ضمير الأمّة والإرادة الإسلامية ضدّ التنازل المطلق عن شخصيتها و كرامتها للحكام المنحرفين.
و لما سمع الإمام الكاظم(عليه السلام) بمقتل الحسين(رضي الله عنه) بكاه وأبّنه بهذه، الكلمات: إنا لله و إنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ماكان في أهل بيته مثله[٥].
٢ ـ المجال العلمي.

إثبات المرجعيه العلميه:

فقد أثبت الإمام للجميع مرجعيته العلمية من خلال الكثير من المواقف، من ذلك ما جاء من أن أبا يوسف للمهدي ـ وعنده موسى بن جعفر(عليه السلام) ـ تأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟
فقال له: نعم.
فقال لموسى بن جعفر(عليه السلام) أسألك؟ قال: نعم. قال: ماتقول في التظليل للمحرم؟ قال:لايصلح.
قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم. قال: فما الفرق بين هذين؟
قال أبو الحسن(عليه السلام): «ماتقول في الطامث أتقضي الصلاة؟» قال: لا.
قال(عليه السلام): «فتقضي الصوم؟» قال: نعم. قال(عليه السلام): «ولم؟» قال: هكذا جاء، قال أبو الحسن(عليه السلام): «وهكذا جاء هذا».
فقال المهدي لأبي يوسف: ماأراك صنعت شيئاً؟! قال: رماني بحجر دامغ[٦].
ثانيا: الإمام الكاظم (عليه السلام) والهادي العباسي.
استولى موسى الهادي على كرسي الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي لثمان بقين من المحّرم سنة (١٦٩) وتوفّي بعد ثلاثة عشر شهراً في ربيع الأوّل سنة (١٧٠ هـ) وكان عمره (٢٥) سنة[٧].
وبالرغم من قصر المدّة التي حكم فيها الهادي، إلاّ أنّها قد تركت أثاراً سيّئة على الشيعة وتميّزت بحدث مهمّ في التاريخ الشيعي وهو واقعة فخّ التي قال عنها الإمام الجواد(عليه السلام): >لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ<، فكانت سياسة هذا الخليفة قد امتازت بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه حتّى نقم عليه القريب والبعيد وبغضه الناس جميعاً، وقد حقدت عليه أمّه الخيزران حتى بلغ بها الغيظ له أن أقدمت على قتله بواسطة بعض جواريها[٨].

التنكيل بالعلويّين:

وقد نكّل الهادي العباسي بالعلويّين وأشاع الخوف والرعب في صفوفهم وقطع ما أجراه لهم المهدي من الأرزاق والعطاءات وكتب إلى جميع الآفاق في طلبهم وحملهم إلى بغداد[٩].

واقعه فخّ:

إنّ الذي فجّر الثورة على الحاكم العباسي هو الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).

أهّم الأسباب التى أدّت إلى الثوره:

وأهّم الأسباب التي أدّت إلى الثورة هي: الاضطهاد والإذلال الذي مارسه الخلفاء العباسيون ضدّ العلويين واستبداد الهادي على وجه الخصوص.
وقد عيّن الهادي ولاة قساة على المدينة مثل إسحاق بن عيسى بن عليّ الذي استخلف عليها رجلا

٤ . الكافي ١: ٥٤٣ ح ٢،وبحار الأنوار ٤٨ : ١٥٦ ح ٢٩ وقرب الإسناد: ١٢٤ وكشف الغمّه ٢:٢٤٥.
٥ . بحار الأنوار ٤٨ : ١٦٥ ح ٦.
٦ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ١ : ٧٨.
٧ . خلاصة الذهب المسبوك: ٧٥ وأعلام الورى: ٢٩٤ وتاريخ اليعقوبي: ٤٠١ و ٤٠٧.
٨ . الإمام موسى الكاظم ٢ : ٤٥٧ ـ ٤٨٣ باقر شريف القرشي.
٩ . تاريخ اليعقوبي ٣ : ١٣٦.

من ولد عمر بن الخطاب يُعرف بعبد العزيز.
وقد بالغ هذا الأثيم في إذلال العلويّين وظلمهم فألزمهم بالمثول عنده كلّ يوم، وفرض عليهم الرقابة الشخصية، فجعل كلّ واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور، وقبضت شرطته على كلّ: من الحسن بن محمّد بن عبدالله بن الحسن، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام، زعمت الشرطة أنّها وجدتهم على شراب فأمر بضربهم، وجعل في أعناقهم حبالا، وأمر أن يطاف بهم في الشوارع ليفضحهم[10].
و في سنة (١٦٩ هـ) عزم الحسين بن علي ـ على الخروج، وأخبر الإمام موسى(عليه السلام) بالأمر وطلب منه المبايعة، فقال له الإمام (عليه السلام): «ياابن عمّ! لا تكلّفني ماكلّف ابن عمّك عمّك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يُريد»، فقال له الحسين: إنّما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه. وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثمّ ودّعه.
فجمع الحسين أصحابه مثل يحيى و سليمان و إدريس بني عبد الله بن الحسن و عبد الله بن الحسن الأفطس ابراهيم بن إسماعيل طباطبا، و عمر بن الحسن بن علي بن الحسن المثلّث و عبد الله بن إسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنّى و عبد الله بن جعفر الصادق، ووجّهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة و عشرين رجلا من ولد عليّ (عليه السلام)وعشرة من الحاج وجماعة من الموالي.
فلمّا أذّن المؤذّن الصبح دخلوا المسجد ونادوا أحد أحد، وصعد الأفطس المنارة، وأجبر المؤذّن على قول حي على خير العمل، وصلّى الحسين بالناس الصبح.
فخطب بعد الصلاة وبايعه الناس، وبعد أن استولى على المدينة، توجه نحو مكّة، وبعد أن وصل إلى (فخّ) عسكر فيه وكان معه ٣٠٠ مقاتل، ولحقته الجيوش العباسية، وبعد صراع رهيب استشهد الحسين وأصحابه، وأرسلت رؤوس الأبرار إلى الطاغية، ومعهم الأسرى وقد قيدّوا بالحبال والسلاسل ووضع في أيديهم وأرجلهم الحديد، وأمر الطاغية بقتلهم، فقتلوا صبراً وصلبوا على باب الحبس[11].

وقائع ما بعد الثوره ودعاء الإمام (عليه السلام) بموت الهادي.

و بعد أن انتهت الثورة باستشهاد الحسين (رحمه الله) وصحبه، أخذ الهادي يتوعّد الأحياء منهم، وقد ذكر سيدّهم الإمام موسى قائلا: «والله ماخرج حسين إلاّ عن أمره، ولا اتبع إلاّ محبته، لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه»[12].
وكتب عليّ بن يقطين إلى الإمام موسى(عليه السلام) بصورة الأمر وورد الكتاب. فلمّا أصبح (عليه السلام)، أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم على ماورد عليه من الخبر، و قال: ماتشيرون في هذا؟ فقالوا: نشير عليك ـ أصلحك الله ـ و نحن معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبّار وتغيّب شخصك دونه.
فتبسم موسى (عليه السلام) ، ثم تمثّل ببيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو:
زعمت سخينة أن ستغلب ربّها *** فليغلبنّ مُغالب الغلاّب
و أقبل الإمام (عليه السلام) نحو القبلة ودعا بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه (عليه السلام)، ثمّ قال(عليه السلام): «قد مات في يومه هذا والله
{وأنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون}[13]».
قال الراوي: ثم قمنا إلى الصلاة وتفرّق القوم فما اجتمعوا إلاّ لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرشيد[14].

الخلاصه

١ـ مات المنصور في ذي الحجّة سنة ١٥٨ قبل أن يُتِمَ الحجّ، واستولى على منصب الخلافة والحكم ابنه محمد المهدي.
٢ـ تميز المهدي العباسي عن أبيه المنصور بجملة من الأمور منها أنه حاول أن يسلك أُسلوباً مرناً مع العلويين في بداية حكمه.
٣ـ استثمر الإمام (عليه السلام) هذا الانفتاح النسبي ليقوم بنشاط عام على مستوى الأمة وبنشاط خاص بالجماعة الصالحة.
٤ـ أخذالإمام (عليه السلام) يوضّح موقفه للأمّة من الخلافة والخلفاء فقام بتعميق خطّه عبرعدّة مواقف.
٥ـ استولى موسى الهادي على كرسي الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي لثمان بقين من المحرّم سنة (١٦٩) .

---

١٠ . بحار الأنوار ٤٨ : ١٦١.
١١ . تاريخ الطبري ١٠ : ٢٩ وبحار الأنوار ٤٨ : ١٦١ و ١٦٢.
١٢ . بحار الأنوار ٤٨ : ١٥٠ ـ ١٥٣.
١٣ . سورة الذاريات ٢٣.
١٤ . بحار الأنوار ٤٨ : ١٥٠ ـ ١٥٣ و ٢١٧ ح ١٧ وعيون أخبار الرضا ١ : ٧٩.

٦ـ بالرغم من قصر المدّة التي حكم فيها الهادي، إلاّ أنّها قد تركت أثاراً سيّئة على الشيعة وتميّزت بحدث مهمّ في التاريخ الشيعي وهو واقعة فخّ.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 31

عصر الإمام الكاظم (عليه السلام):

عهد هارون الرشيد

المقدمه

تُعتبر السنوات الأخيره من عمر الإمام الكاظم(عليه السلام) من أعقد المراحل و أشدّها صعوبة و أذى عليه بالقياس إلى المراحل الأخرى التي سبقتها. و قد عاصر فيها هارون الرشيد لمدة (١٤) سنة وأشهراً[١].
من هنا كان الإمام (عليه السلام) قد انتهج أساليب أُخرى من العمل للمرحلة الجديدة.

المحتوى العلمى

ملامح عهد هارون الرشيد.

لعهد هارون الرشيد جمله من الملامح، منها ما يلى:

١ ـ تقمّص الرشيد الخلافة وهو في عنفوان الشباب لم يذق محن الأيام و لم تصقله التجارب، و جاء إليه الملك بعد نجاح مؤامرة اغتيال الهادي، و التي اشتركت في تدبيرها الخيزران (*أمّه*) ورئيس وزرائه *يحيى البرمكي*[٢].
٢ ـ و استوسقت له الأمور و نال من دنياه كل ما اشتهى، و عمّ نفوذه ساحة كبيرة من المعمورة حتى أثر عنه خطابه للسحاب: اذهبي إلي حيث شئت يأتيني خراجك[٣].
٣ ـ وُجبي له الخراج من جميع الأقاليم الإسلامية و أصبح بيت المال أضخم مستودع للمال في العالم.
٤ ـ و أصبحت بغداد مستودع الثراءالفاحش و مهوى النوابغ والفنّانين و التجار و المطربين..
٥ ـ و أوكل تدبير أمور الرعية إلى *يحيى البرمكي* و أسند إليه جميع السلطات و اعتمد عليه اعتماداً مطلقاً أغناه عن السهر و المتاعب الفكرية، فانصرف إلى التلذذ بجميع متع الحياة[٤].
٦ ـ و كان مولعاً بالغناء منذ حداثة سنّه، فقد نشأ بين أحضان المطربات، و اجتمع في قصره عدد كبير منهن حتى جعل المغنّين طبقات[٥].
٧ ـ و اندفع إلى شرب الخمر و الإدمان عليها[٦]، كما كان يلعب بالنرد و الصولجان[٧].
٨ ـ لقد سار اللهو وعمّت الدعارة و انتشر المجُون و تدهورت الأخلاق و أُقيرَت الفضائل في عهد هارون[٨].
٩ ـ و ساس العلويّين بسياسة جدّه المنصور وهي سياسة العنف و الجور و الاضطهاد فقابلهم منذ بداية حكمه بكل قوة و جفاء حتى أقسم على استئصالهم قائلا:
والله لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتهم[٩].
و قد نفّذ قَسَمَه فقتل طائفة كبيرة منهم و أقدم على هدم الدور المجاورة لقبر أبي عبد الله الحسين(عليه السلام) و أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو كل أثر للقبر الشريف[١٠].
١٠ ـ وقد أصبح الاتهام بالزندقة وسيلة للقضاء على خصوم العباسيّين من هاشميين وغيرهم ممن لايرضى بحكمهم أولا يرى جواز الصلاة خلفهم.

أساليب الرشيد مع الإمام الكاظم(عليه السلام)

تراوحت سياسة الرشيد العدوانية مع الإمام(عليه السلام) منذ أن بويع للخلافة بين السجن والاتهام السياسي مرة وبين الإكرام والتعظيم نفاقاً وكذباً مرة أخرى، واليك هذه القصة التي تصور سياسته على وجه الاجمال:
جاء عن الفضل أنّه قال: كنت أحجب للرشيد، فأقبل عليَّ يوماً غضباناً، وبيده سيف يقلبّه. فقال لي: يافضل بقرابتي مِن رسول الله(ص) لئن لم تأتني بابن عمّي لآخذّن الذي فيه عيناك. فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازي.

---

١ . أعلام الورى: ٢٩٤ وبحار الأنوار ٤٨ : ١ ح ١.
٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٠٦.
٣ . صبح الأعشى ٣ : ٢٠٧.
٤ . راجع حياة الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) ٢ : ٣١ ـ ٣٥.
٥ . المصدر ٢ : ٦١ ـ ٦٢.
٦ . التاج: ٣٧.
٧ . الأغاني ٥ : ٦٩ ـ ٧٠.
٨ . سيدات البلاط العباسي: ٤٨.
٩ . الأغاني ٥ : ٢٢٥.
١٠ . تاريخ كربلاء: ١٩٨.

قلت: و أيّ الحجازيّين؟ قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ابن علي بن أبي طالب(عليه السلام). قال الفضل: فخفت من الله عزّ وجلّ إن جئت به إليه.
ثمّ فكّرت في النقمة، فقلت له: أفعل. فقال: ائتني بسوطين وهصارين[١١] وجلاّدين. قال فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر(عليه السلام) فأتيت إلى خربة فيها كُوخ[١٢]من جرائد النخل فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله. فقال ليّ لج[١٣] ليس له حاجب ولابوّاب. فولجت إليه، فإذا أنا بغلام أسود بيده مقصّ يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده.
فقلت له: السلام عليك يابن رسول الله، أجب الرشيد.
فقال: ما للرشيد و مالي أما تشغله نعمته عنّي؟ ثم قام مسرعاً ، و هو يقول : لولا أنّي سمعت في خبر عن جدّي رسول الله (ص) إنّ طاعة السلطان للتقيّة واجبة لما جئت...[١٤].

اتهامات سياسيه:

و من أساليب الرشيد التي كان يهدف منها تخويف الإمام(عليه السلام)هو إتهامه بأعمال سياسية محظورة بنظر الخلافة، مثل جباية الخراج، وعن هذا الاتهام يحدّثنا الإمام موسى(عليه السلام) نفسه:
عن أبي أحمد هاني، قال الإمام موسى(عليه السلام): «لمّا أُدخلتُ على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثمّ قال: ياموسى بن جعفر! خليفتان يُجبى إليهما الخراج؟!
فقلت: يا أميرالمؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي و إثمك و تقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنّه قد كُذب علينا منذ قبض رسول الله(ص) بما عُلِمُ ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله(ص) أن تأذن لي أُحدّثك بحديث أخبرني به أبي، عن آبائه، عن جدّي رسول الله(ص) فقال: قد أذنت لك فقلت: أخبرني أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله(ص) أنّه قال: إنّ الرَحِمَ إذا مَسَّتِ الرَحِمَ تحركت واضطربت»[١٥].
ثمّ سأله هارون الرشيد عن أفضلية أهل البيت وتقدّمهم على بني العباس فأجابه الإمام(عليه السلام) عن علة ذلك ثم أطلق سراحه.
٢ ـ مواقف ونشاطات الإمام في عهد الرشيد.

و يتّم الحديث ضمن عده مجالات:

١ ـ المجال السياسي
قام الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) في هذا المجال بخطوات تربوية تحصينيّة لشيعته، منها:
أ ـ تأكيد الانتماء السياسيّ لخطّ أهل البيت(عليهم السلام)، فلقد تشدّد(عليه السلام) على محبيه وشيعته وحرّم عليهم التعاون مع السلطات العباسية الظالمة، فإنّ الإمام(عليه السلام) عاب على صفوان الجمال إكراءه جماله لهارون الرشد عند ذهابه إلى الحج ولذا باع صفوان جماله وترك هذا العمل[١٦].
ب ـ التأكيد على الالتزام بمبدأ التقيّة، فقد روى معمّر بن خلاّد قال: سألت أبا الحسن موسى(عليه السلام) عن القيام للولاة، فقال(عليه السلام): قال أبو جعفر(عليه السلام): «التقية ديني ودين آبائي، ولاإيمان لمن لاتقية له»[١٧].
ج ـ نشط الإمام موسى(عليه السلام) عن طريق أصحابه، بالنفوذ و الاندساس في الجهاز الحاكم، فقد تصّدر أصحاب الإمام(عليه السلام) مواقع سياسية مهمّة في الحكومة العباسيّة، و كان الإمام(عليه السلام)يثني عليهم و يثمّن عملهم لكنّه كان يشترط عليهم قضاء حوائج المؤمنين.
من هؤلاء *عليّ بن يقطين*، حيث نشأ يقطين أبوه بالكوفة و كان يبيع الأبزار و كان يقول بالإمامة، و قد اتصل بأبي العباس السفاح و المنصور و المهدي و لمّا انتقل يقطين إلى دار الحقّ قام ولده عليّ مقامه فاتصل اتّصالا و ثيقاً بالعباسيين، وتولّى المناصب المهّمه في الدولة و كان عوناً للمؤمنين، و قام بتزويج عدد منهم وكان يعيل عوائل قسم كبير منهم، فقد حدّث سليمان كاتبه فقال: أحصيت لعليّ من يحجّ عنه في عام واحد مائة وخمسين رجلا، أقلّ من أعطاه منهم سبعمائة درهم و أكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم و زوّج ثلاثة أو أربعة من أولاد الإمام(عليه السلام) و أنفق أموالا ضخمة في وجوه البر والإحسان.
تقلّد عليّ أزمّة الأزمّة في أيام المهدي ومن بعده عيّنه هارون وزيراً له[١٨] وكان على اتصال سريّ ودائم مع الإمام(عليه السلام).
٢ ـ المجال التربوي

---

١١ . آلة العصر والكبس.
١٢ . بيت من قصب.
١٣ . ولج البيت دخل فيه.
١٤ . أمالي الصدوق : ٢٧٧ ح ٢٠ .
١٥ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ١ : ٨١ ح ٩ وسائل الشيعة ١٤ : ٢٧٥ ح ٣ وبحار الأنوار ٤٨ : ١٢٥ ح ٢ و ٧٣ : ٢٧٣.
١٦ . النجاشي : ١٤٦ والكشي : ٢٧٦.
١٧ . وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٨ . الكشي : ٢٧٠ والفهرست لابن النديم : ٣٢٨.

كان الإمام الكاظم(عليه السلام) يعتني بشيعته تربوياً حيث كان يصدر توجيهاته باستمرار إليهم ويرصد أوضاعهم ويتابع أحوالهم الأخلاقية والسلوكية ويعمل على تنميتهم وإيصالهم إلى المستوي المطلوب.

٣ ـ المجال الفكري

لم يترك الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ذلك الزخم العظيم من علماء مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام)ولم يترك تلك الثورة الفكرية هملا بلا ترشيد، و إنّما واصل(عليه السلام) دوره في التوجيه و التطوير و أبقى صلته بهم وثيقة حيث نجد التفاف هؤلاء حول الإمام الكاظم(عليه السلام) بعد أبيه.

حركه التأليف فی عصر الإمام الكاظم(عليه السلام)

إنّ حركة التأليف تعتبر ظاهرة متميزة في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) إذا قورنت بمثلها في عصور مَن سبقه من الائمة(عليه السلام). وساهمت هذه، الظاهرة في تطوير حركة الوعي و التثقيف انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية، في ردّ الشبهات و الدفاع عن المعتقدات الإسلامية.

و لم ينحصر التأليف في حقل خاصّ من حقول المعرفة وإنّما شمل السياسة، و الأدب، والتاريخ والحديث والتفسير وغيرها[١٩].

ظاهره المناظرات

من الأنشطة الفكرية التي عُرفت في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) والتي كانت ذات تأثير فكري كبير هي المناظرات العلميّة.

و بدأت هذه الظاهرة بوضوح في عصر الإمام الصادق(عليه السلام) و استمرّت في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام).

وقد استثمرا(عليه السلام) هذه الظاهرة و أعدّ لها نخبة من العلماء المتخصّصين في هذا الميدان الذين تعهّدوا بالدفاع عن مذهب أهل البيت(عليه السلام) وتعريفه للناس.

واستطاعوا رغم الحصار المضروب عليهم أن يروّجوا للمذهب، وقد حققوا انتصارات مشهودة وكبيرة، كما وقد نشطوا من جانب في دحض الشبهات والاتهامات التي كانت تثار ضد الفكر الإسلامي العام.

و استطاعوا أن يقفوا بوجه الموجات الانحرافيه والحركات الإلحادية.

و يعتبر هشام بن الحكم من أفذاذ الأمّة الإسلامية ومن كبّار علمائها، الذي اشتهر بقدرته الفائقة في ميدان المناظرة، وفي طليعة المدافعين عن خط أهل البيت(عليه السلام). جاهد طويلا في نصرة الحقّ خصوصاً في عصر الرشيد، الذي انعدمت فيه الحريات، إذ كان الذاكر لفضائل أهل البيت عرضة للانتقام و التنكيل من قبل السلطة.

كان من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) وبعد وفاته اتصل بالإمام الكاظم(عليه السلام) و اختصّ في علم الكلام فكان من كبار المتكلمين في عصره، و شهد له بذلك ابن النديم ونظراً لاختصاصه في هذا الفن فقد حكى يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به وجعله قيّماً لمجالس كلامه[٢٠].

الخلاصه

١ـ يبدأ العهد الثالث من عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) بعهد حكم الرشيد سنة (١٧٠ هـ) وينتهي باستشهاده(عليه السلام) سنة (١٨٣ هـ).

٢ـ من ملامح عهد الرشيد: سعة نفوذه، والثراء الفاحش في عاصمته، وانهماكه بلذائذ الحياة ومحرمّاتها، والذي انعكس على الأُمة، وأفرز عدة ظواهر سلبية منها التميع الأخلاقي والفقر والبؤس والحرمان لعامة المسلمين والطبقات المستضعفة.

٣ـ اضطهد الرشيد العلويين وأقسم على إبادتهم وحارب خط أهل البيت(عليهم السلام) ومنهجهم .

٤ـ استخدم الرشيد شتى الأساليب الدنيئة ضد الإمام الكاظم(عليه السلام) محاولا إرغامه على الاعتراف بشرعية حكمه.

٥ـ كان الإمام(عليه السلام) ـ رغم حراجة الظرف ـ نشطاً في تربيته السياسية والأخلاقية والعلمية لأصحابه وأتباعه الذين يشكلّون أعمدة كيان الطائفة الموالية لأهل البيت(عليهم السلام) ويعتبرون رموزها.

٦ـ نشطت حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) إلى جانب حركة المناظرة التي كان ثمنها باهضاً، ولكنها كانت ضرورة من ضرورات المرحلة التي كان يقطعها الكيان الشيعي باتجاه إثبات حقّانيته وتميز رموزه عن سائر الخطوط الفكرية والسياسية في الأمّة الإسلامية.

---

١٩ . راجع أسماءالكتب مع أسماء مؤلفيها في(تاريخ التشريع الإسلامي) للشيخ عبدالهادي الفضلي.

٢٠ . الفهرست لابن النديم : ٢٦٣.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 32

عصر الإمام الكاظم(عليه السلام):

اعتقالات الإمام الكاظم(عليه السلام)

المقدمه

إنّ سلوك الإمام(عليه السلام) وتأثيره في الأمّة كان كافياً لدفع الرشيد لأن يخطّط لسجن الإمام(عليه السلام) وبالتالي اغتياله وقتله، هذا فضلا عن كون الرشيد قد قطع على نفسه في بداية تسلّمه الحكم بأن يستأصل العلويين.
فإذا كان هذا شعاره وتعامله مع العلويّين فكيف لايحقد على زعيم العلويّين وقائدهم؟
نعم، هناك بعض الأسباب التي قد افتعلها الرشيد ليتمسّك بها كذريعة ليبرّر جريمته ضد الإمام الكاظم(عليه السلام) وهي توظيف الوشاة للإخبار عن نشاط الإمام والايحاء لهم بأنّه يزاحم ملك هارون.

المحتوى العلمى

لم يستطيع الرشيد السكوت على نشاط الإمام (عليه السلام) و وجوده فضاق صدره و أزعجه انتشار إسم الإمام لأنّ الناس غدت تتناقل مآثر الإمام و علمه و أخلاقه، حتى كانت حادثة زيارة هارون لقبر الرسول(صلى الله عليه و آله) و لقاء الإمام به وموقف الإمام منه حيث غضب الرشيد و خاطب الرسول(صلى الله عليه و آله) قائلا: «بأبي أنت وأُمّي إنّي أعتذر إليك من أمر عزمت عليه أنّي أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأنّي قدخشيت أن يلقي بين أمّتك حرباً يسفك بها دماءهم».

إعتقال الإمام(عليه السلام).

في سنة ١٧٩ هـ بعد زيارة الرشيد لقبر الرسول (صلى الله عليه و آله) أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام(عليه السلام)، فأُلقي القبض على الإمام و هو قائم يصلّي عند رأس جدّه النبيّ (صلى الله عليه و آله) و لم يمهلوه لإتمامها، فحمل و قيّد، فشكى الإمام ذلك لجدّه الرسول(صلى الله عليه و آله) قائلا: «إليك أشكو يارسول الله»[١].

الإمام(عليه السلام) فى سجن البصره.

كان المأمور بحراسة الإمام (عليه السلام) أثناء الطريق من المدينة إلى البصرة حسّان السروي[٢]، و قبل أن يصل إلى البصرة تشرّف بالمثول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزدي، فدفع له الإمام (عليه السلام) كتباً و أمره بإيصالها إلى ولّي عهده الإمام الرضا (عليه السلام)، و عرّفه بأنّه الإمام من بعده[٣].
و سارت القافلة حتّى وصلت البصرة و أخذ حسان الإمام (عليه السلام) و دفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فحبسه في بيت من بيوت المحبس، و أقفل عليه أبواب السجن، فكان لايفتحها إلاّ في حالة خروجه للطهور أو لإدخال الطعام إليه[٤]. و بقي في سجن البصرة سنة كاملة.

الإيعاز لعيسى باغتيال الإمام (عليه السلام).

و أوعز الرشيد إلى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام (عليه السلام)، لكن لمّا وصلت أوامر الرشيد إلى عيسى باغتياله (عليه السلام) ثقل عليه الأمر و جمع خواصّه و ثقاته، فعرض عليهم الأمر، فحذّروه من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم و كتب إلى الرشيد رسالة يطلب فيها إعفاءه عن ذلك.

حمل الإمام (عليه السلام) إلى بغداد

استجاب الرشيد لطلب عيسى و خاف منه أن يطلق سراحه و يخلّي سبيله فأمره بحمله إلى بغداد و فرح عيسى بذلك و لمّا وصل الإمام (عليه السلام) إلي بغداد، أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل، فأخذه وحبسه في بيته. ولكن بعد مدة طويلة في الحبس تمّ إطلاق سراحه، وبقي في بغداد لم يخرج منها إلى المدينة، وكان يدخل على الرشيد في كلّ أُسبوع مرّة يوم الخميس[٥].

الاعتقال الثانى.

و لمّا شاع ذكر الإمام (عليه السلام) وانتشرت فضائله و مآثره في بغداد; ضاق الرشيد من ذلك، وخاف منه، فاعتقله ثانية فأودعه في بيت الفضل بن يحيى سنة (١٨٠ هـ) .
و لمّا رأى الفضل عبادة الإمام (عليه السلام) وإقباله على الله وانشغاله بذكره، أكبره و لم يُضيّق عليه و كان في كلّ يوم يبعث إليه بمائدة فاخرة من الطعام و قد رأى (عليه السلام) من السعة في سجن

١ . مناقب الشيعة ٢ : ٣٨٥.
٢ . بحار الأنوار ٤٨ : ٢٢١.
٣ . تنقيح المقال.
٤ . منتخب التواريخ : ٥١٨.
٥ . عيون أخبار الرضا ١ : ٩٣ وأمالي الصدوق: ٣٠٨ ح ٣ وأمالى الطوسي: ٣٦ وبحارالأنوار ٤٨ : ٢٩١ ح ٢٠.

الفضل مالم يره في بقيّة السجون.
و لمّا أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام (عليه السلام) امتنع و لم يجبه و خاف من الله; لأنّه كان ممّن يذهب إلى الإمامة و يدين بها.

الإمام(عليه السلام) في سجن السندي بن شاهك.

أمر هارون بنقل الإمام (عليه السلام) إلى سجن السندي بن شاهك وأمره بالتضييق عليه، فاستجاب هذا الأثيم لذلك، فقابل الإمام(عليه السلام) بكلّ قسوة وجفاء والإمام صابر محتسب إلى الله، فأمره الطاغية أن يقيّد الإمام(عليه السلام) بثلاثين رطلا من الحديد، ويقفل الباب في وجهه ولايدعه يخرج إلاّ للوضوء.
و امتثل السندي ذلك، فقام بإرهاق الإمام (عليه السلام) و بذل جميع جهوده للتضييق عليه و وكّل به بشاراً مولاه، و كان من أشدّ الناس بغضاً لآل أبي طالب و لكنّه لم يلبث أن تغيّر حاله و ثاب إلى طريق الحقّ وذلك لِما رأى من كرامات الإمام (عليه السلام) ومعاجزه[٦].

نشاط الإمام(عليه السلام) داخل السجن

١ ـ **عبادته**: أقبل الإمام(عليه السلام) على عبادة الله فكان يصوم النهار و يقوم الليل و لا يفتر عن ذكر الله سبحانه و هذه أخت الجلاّد السندي بن شاهك تحدثّنا عمّا رأته من إقبال الإمام(عليه السلام) و طاعته لله و التي أثّرت في نفسها و أصبحت فيما بعد من الصالحات، فكانت تعطف على الإمام(عليه السلام) و تقوم بخدمته و إذا نظرت إليه انحدرت دموعها و هي تقول: «**خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل**»[٧].

٢ ـ **إتصال العلماء به**: اتصل جماعة من العلماء و الرواة بالإمام(عليه السلام) من طريق خفيّ، فانتهلوا من نمير علومه، فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي و قد سمح له السندي بذلك لأنّه كان معلّماً لولده و قد ألّف إبراهيم كتاباً ممّا سمعه من الإمام (عليه السلام)[٨].

٣ ـ **الإجابة على الفتاوى المرسلة إليه**: كانت بعض الأقاليم الإسلامية التي تدين بالإمامة ترسل عنها في كلّ مرّة مبعوثاً خاصّاً للإمام(عليه السلام) حينما كان في سجن السندي فتزوّده بالفتاوى و الرسائل فكان(عليه السلام)يجيبهم عليها و ممّن جاءه عليّ بن سويد، فقد اتّصل بالإمام(عليه السلام) و سلّم إليه الكتب والفتاوى فأجابه(عليه السلام) عنها[٩].

٤ ـ **نصب الوكلاء**: عين الإمام(عليه السلام) جماعة من تلاميذه و أصحابه وكلاءً له في بعض المناطق و أرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلامية منهم، كما وكّلهم في قبض الحقوق الشرعية، لصرفها على الفقراء والبائسين من الشيعة و إنفاقها في وجوه البرّ والخير، فنصب المفضّل بن عمر وكيلا له في قبض الحقوق وأذن له في صرفها على مستحقيها[١٠].

٥ ـ **النص على الامام من بعده**: نص الإمام الكاظم(عليه السلام) على الإمام من بعده و هو عليّ الرضا(عليه السلام) فجعله علماً لشيعته و مرجعاً لأمّة جدّه.
قال الحسين بن المختار: لمّا كان الإمام موسى(عليه السلام) في السجن خرجت لنا ألواح من عنده و قد كتب فيها: «عهدي إلى أكبر ولدي»[١١].

٦ ـ **وصيّته(عليه السلام)**: و أوصى الإمام(عليه السلام) الى ولده عليّ الرضا(عليه السلام) وعهد إليه بالأمر من بعده وعيّنه على صدقاته و شؤونه الخاصّة و العامّة، أشهد على ذلك جماعة من المؤمنين.

٧ ـ **صلابة الإمام (عليه السلام) وشموخه أمام الرشيد**: وحيث مكث الإمام(عليه السلام) زمناً طويلا في سجن هارون تكلّم معه جماعة من خواصّ شيعته فطلبوا منه أن يتكلّم مع بعض الشخصيات المقرّبة عند الرشيد ليتوسط في إطلاق سراحه، فامتنع(عليه السلام) وترفّع عن ذلك وقال لهم: «حدّثني أبي عن آبائه: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود(عليه السلام)، ياداود! إنّه مااعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه إلاّ قطعت عنه أسباب السماء، وأسَختُ الأرض من تحته».

شهادة الإمام موسى الكاظم(عليه السلام).

لقد عانى الامام الكاظم (عليه السلام) أقسى ألوان التنكيل، من تكبيل بالقيود و تضييق و شدّة في التعامل معه و منع الاتصال مع الناس و أذى مرهق و بعد كلّ هذه النكبات أقدم على قتله غير مكترث بما سيتركه قتل الإمام(عليه السلام) من آثار سلبية عليه و على ملكه.
و ذهب أكثر المؤرّخين والمترجمين للإمام (عليه السلام) إلى أنّ الرشيد أوعز إلى السندي بن شاهك

---

٦ . بحار الأنوار ٤٨ : ٢٤١.
٧ . تاريخ بغداد ١٣ : ٣١.
٨ . النجاشي : ٣١٩.
٩ . حياة الإمام موسى الكاظم ٢ : ٤٩٢ باقر شريف القرشي.
١٠ . حياة الإمام موسى الكاظم ٢ : ٤٩٣ باقر شريف القرشي.
١١ . عيون أخبار الرضا(ع) ١ : ٣٠، ومسند الإمام الكاظم ١ : ١٤٧ الحديث ٣٦.

الأثيم بقتل الإمام (عليه السلام)، فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك، فأقدم على تنفيذ أفضع جريمة.
وعمد السندي إلى رطب فوضع فيه سمّاً قاتلا و قدّمه للإمام(عليه السلام) فأكل منه عشر رطبات فقال له السندي: زد على ذلك.
فرمقه الإمام (عليه السلام) بطرفه و قال له: «حسبك، قد بلغت ماتحتاج إليه».
و تسمّم الإمام(عليه السلام) و أخذ يعاني آلام السمّ الشديدة وأوجاعه القاسية، وقد حفّت به الشرطة القساة و لازمه السندي بن شاهك الخبيث، فكان يُسمعه في كلّ مرّة أخشن الكلام و أغلظه و منع عنه جميع الإسعافات ليعّجل له النهاية المحتومة.
والمشهور أنّ شهادة الإمام (عليه السلام) كانت سنة (١٨٣ هـ) لخمس بقين من شهر رجب[١٢]وقيل سنة (١٨٦ هـ)[١٣]، و كانت وفاته في يوم الجمعة و عمره الشريف يوم وفاته خمس و خمسون[١٤] أو أربع و خمسون سنةً[١٥].

التحقيق فى قتل الامام(عليه السلام).

بعد قتل الإمام(عليه السلام) حاول هارون أن يتخلّى عن مسؤولية قتله (عليه السلام) ويشيع بين الناس بأنّ الإمام قد مات حتف أنفه، و أنّ هارون وأجهزته لاعلاقة لهما بالحادث، و ذلك ضمن خطوتين:
الخطوة الاولى: قام السندي بن شاهك بالخطوة الأولى من مسلسل التخلّي عن مسؤولية قتل الإمام(عليه السلام) ليمهّد الأجواء لسيّده هارون في أن يتخلّى فيما بعد عن مسؤولية هذه الجريمة.
يحدّثنا عمر بن واقد عن تحرّك السندي وكيفية تنصّله عن مسؤولية هذا الحادث الخطير حيث قال: أرسل إليّ السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه، و قلت: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، ثمّ ركبت إليه، فلمّا رآني مقبلا، قال! يا أبا حفص: لعلّنا أرعبناك و أفزعناك؟
قلت: نعم، قال: فليس هناك إلاّ خير، قلت: فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم خبري. فقال: نعم.
ثمّ قال: يا أبا حفص! أتدري لِم أرسلت إليك؟ فقلت: لا، فقال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلت: اي والله، إنّي لأعرفه، و بيني و بينه صداقة منذ دهر.
فقال: مَن ها هنا ببغداد يعرفه فمن يقبل قوله؟ فسمّيت، وجاء بهم كما جاء بي فقال لهم: هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر(عليه السلام)؟ فسمّوا له قوماً، فجاء بهم، فأصبحنا فصرنا ـ و نحن في الدار ـ نيّفاً وخمسين رجلا ممن يعرف موسى بن جعفر(عليه السلام) و قد صحبه.
قال: ثمّ قام فدخل وصلّينا، فأخرج كاتبه طوماراً، فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلالنا، ثمّ دخل إلى السندي.
قال: فخرج السندي فضرب يده إليّ فقال: قم يا أبا حفص، فنهضت و نهض أصحابنا و دخلنا، فقال لي: يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر فكشفته فرأيته ميّتاً، فبكيت واسترجعت.
ثمّ قال للقوم: أنظروا إليه، فدنوا واحداً بعد واحد فنظروا إليه، ثمّ قال: تشهدون كلّكم أنّ هذا موسى بن جعفر بن محمّد(عليه السلام)؟
فقلنا: نعم، نشهد أنّه موسى بن جعفر بن محمّد(عليه السلام)، ثمّ قال: ياغلام! إطرح على عورته منديلا واكشفه.
قال: ففعل فقال: أترون به أثراً تنكرونه؟ فقلنا: لا، مانرى شيئاً و لانراهُ إلاّ ميّتاً.
ثمّ سجّل شهادتهم و انصرفوا[١٦].
الخطوة الثانية: ثمّ قام هارون بنفسه ليعلن أمام حشد من وجوه الشيعة بأنّه بريء من جريمة قتل الإمام(عليه السلام).
عن محمّد بن صدقة العنبري قال: لمّا توفي أبو إبراهيم موسى بن جعفر(عليه السلام); جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبيّة وبني العبّاس وسائر أهل المملكة والحكّام وأحضر أبا إبراهيم موسى بن جعفر(عليه السلام) فقال: هذا موسى بن جعفر قدمات حتف أنفه، وما كان بيني وبينه ما أستغفر الله منه في أمره ـ يعني في قتله ـ فانظروا إليه.
فدخل عليه سبعون رجلا من شيعته، فنظروا إلى موسى بن جعفر وليس به أثر جراحة و لاخنق، وكان في رجله أثر الحنّاء[١٧].

تشييع جثمان الإمام(عليه السلام) ودفنه.

---

١٢ . ابن خلّكان ٢ : ١٧٣ وتاريخ بغداد ١٣ : ٣٢ والطبري ١٠ : ٧٠ وابن الأثير ٦ : ٥٤ وتاريخ أبي الفداء ٢ : ١٧ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٣٤٠ وميزان الاعتدال ٣ : ٢٠٩ وعمدة الطالب : ٨٥.
١٣ . مروج الذهب ٣ : ٢٧٣.
١٤ . الفصول المهمّة : ٢٥٥.
١٥ . مناقب الشيعة ٢ : ٣٨٣.
١٦ . كمال الدين: ٣٧ وعيون أخبار الرضا ١ : ٩٧ ح ٣ وبحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٥ ح ٣٧.
١٧ . كمال الدين ٣٩ وسائل الشيعة ١ : ٤٠٨ ح ٧ وعيون الأخبار ١ : ١٠٥ ح ٨ وبحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٨ ح ٣١.

و بعد الغسل هرعت جماهير بغداد إلى تشييع الإما م(عليه السلام) فكان يوماً مشهوداً لم يرُ مثله في أيّامها، فقد خرج البرّ و الفاجر للمشاركة في مسيرة تشييع الإمام(عليه السلام) للفوز بحمل جثمانه الطاهر، و سارت المواكب و هي تجوب شوارع بغداد وتردّد كلمات الحزن واللوعة، متجهة نحو باب التين يتقدّمهم سليمان حافياً حاسراً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش، و حُفر للإمام (عليه السلام) قبرٌ فيها وأنزله سليمان بن أبي جعفر فيه، و بعد الفراغ من الدفن أقبلت الناس تعزّيه بالمصاب الأليم[١٨].

و لمّا شاع خبر رحيل الإمام الكاظم(عليه السلام) في المدينة اجتمع أتباع أهل البيت(عليه السلام) على باب أم أحمد و اجتمعوا مع أحمد ابن الإمام الكاظم(عليه السلام) فذهب بهم إلى أخيه الإمام الرضا (عليه السلام) فبايعوه على الإمامة[(١٩)].

الخلاصه

١ـ إنّ سلوك الإمام(عليه السلام) وتأثيره في الأمّة كان كافياً لدفع الرشيد لأن يخطّط لسجن الإمام(عليه السلام) وبالتالي اغتياله وقتله .
٢ـ سجن الإمام(عليه السلام) في البصرة ثم أُرسل إلى بغداد، وبعد أن طال سجنه أُخْرِجَ من السجن الخاص وبقي في بغداد تحت الرقابة، ثم اودع السجن مرة أُخرى، فاودع عند الفضل بن يحيي، ثم اودع في سجن السندي بن شاهك وكان من أشد السجون عليه.
٣ـ كانت للإمام(عليه السلام) في السجن عدّة نشاطات سوى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى. منها تربية النفوس والأفراد الذين كانوا يوكّلون بحراسة الإمام(عليه السلام) ومنها الإجابة على الأسئلة التي كانت ترد عليه ومنها تعليم شيعته ماكانوا يحتاجونه من تعاليم. ونص في السجن على ولده علي الرضا(عليه السلام) ولم تستطع محاولات هارون إخضاع الإمام(عليه السلام) لإرادته.
٤ـ استشهد الإمام الكاظم(عليه السلام) بعد طول سجن وتعذيب بأمر من هارون وعلى يدي السندي بن شاهك بسمّ قاتل، وحاول أن يتخلّص من تبعة هذا الاغتيال وذلك بإشهاد مجموعة من الشهود بعد سمّه وقبل وفاته كما أشهد على وفاته مجموعة بعدها.
كما حاول هارون أن يتخلص من تبعة ذلك، ولكنّ أصابع الاتهام كلها كانت تمتد إليه لأنّه كان قد سجن الإمام(عليه السلام) قبل استشهاده. دفن الإمام(عليه السلام) في مقابر قريش وذلك في رجب سنة (١٨٣ هـ).

١٨ . كمال الدين: ٣٨ عيون أخبار الرضا ١ : ٩٩، ح ٥ وبحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٧ ح ٢٩.
١٩. المختار من تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم، الملحق ببحار الأنوار : ٤٨ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 33

عصر الإمام على بن موسى الرضا(ع)

الملامح العامه لعهد الإمام الرضا(ع)

عند التصدى للإمامه

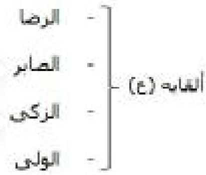
المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من تاريخ علم آخر من أعلام بيت النبوة والحي وهو الإمام الكاظم (عليه السلام)، ونبدأ هذا الدرس بتاريخ الإمام من بعده ، وهو الإمام الرضا (عليه السلام)، حيث نتناول الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، بدأ بإطلالة عامة نلقي فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.

المحتوى العلمى

1ـ ولادته عليه السلام

ولد علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في المدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة، وقيل: سنة ثمان وأربعين ومائة .
و أما نسبه أبا وأما فهو علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب (ع).
و أما أمه فأم ولد يقال لها أم البنين و اسمها أروى و قيل شقراء النوبية و هو لقب لها.
و أما كنيته فأبو الحسن .
و أما ألقابه : فالرضا والصابر والزكي والولي ، و أشهرها الرضا. [1]



2ـ النص على إمامته

كان الإمام القائم بعد موسى الكاظم ولده علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته ووفور علمه و غزير حلمه و إجماع الخاصة والعامة على اجتماع ذلك فيه و النص بالإمامة من أبيه و إشارته إليه بذلك دون سائر أهل بيته وبنيه.
و ممن روى ذلك من أهل العلم والدين *داود بن كثير الرقي* قال : قلت لأبي إبراهيم موسى الكاظم (عليه السلام) :
جعلت فداك إني قد كبرت سني فخذ بيدي وأنقذني من النار من صاحبنا بعدك ؟ قال : فأشار إلى ابنه أبي الحسن الرضا فقال : هذا صاحبكم من بعدي. [2] وغير ذلك من الروايات.

3 ـ الانفراج النسبى للظروف فى عهد هارون

كان هارون يتخوّف من تسرّب خبر اغتياله للإمام الكاظم (عليه السلام) حيث سمه في سنة (١٨٣ هـ)، وذلك لمكانة الإمام (عليه السلام) في المجتمع الإسلامي، ووجود قاعدة شعبيّة واسعة موالية له ولاءاً عقائديّاً وعاطفيّاً; لسموّ شخصيّته، ولانحداره من السلالة النبويّة الطاهرة.
وبقيت الهواجس تنتاب هارون، وكان يتوقّع انفجار الأوضاع بحركة شعبيّة واسعة تهدّد سلطانه; لذا لم يتّخذ أُسلوباً متشدّداً مع الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، بل خفّف من محاصرته ومضايقته; يمتصّ النقمة الشعبية ويخففّ ردود الأفعال السلبية الناشئة من اضطهاد أهل البيت(عليه السلام).

4 ـ المراقبه الدقيقه لتحرّك الإمام(عليه السلام)

في الفترة الواقعة بين سنة (١٨٣ هـ) وسنة (١٨٧ هـ) لم يعلن الإمام (عليه السلام) عن تصدّيه للإمامة، ولم يَظهَر له أيّ تحرّك علنيّ في المدينة، من خطب أو لقاءات عامّة، ولم يسجّل عليه أيّ حضور في المحافل العامّة.
وقد أدرك هارون من خلال أخبار عيونه وجواسيسه أنّه كان بعيداً عن الأحداث، حتى أنّه كتب إليه صاحب الخبر أنّه (عليه السلام) دخل السوق فاشترى كلباً وكبشاً وديكاً، فلمّا وصل إليه الخبر قال: قد أمنّا

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة : ٢: ٩٦٩ – ٩٧١.
٢ . انظر: الإرشاد للشيخ المفيد : ٢ / ٢٤٨ ، و : ٣٤٢ ، الكافي : ١ / ٢٤٩ ح ٣ ، عيون أخبار الرضا : ١ / ٧٣ ح ٧ ، وغيرها من المصادر.

جانبه[٣].

5 ـ تصدّع الجبهه الداخليه للخلافه العباسيه

وذلك بسبب قيام المعارضين بحركات مسلحة للإطاحة بالحكومة القائمة أو الاستقلال عنها.

خروج حمزه الشارى

ففي سنة (١٨٤ هـ) خرج حمزة الشاري على حكم هارون، و استمر خروجه المسلّح حتى سنة (١٨٥ هـ)، و لم ينته إلاّ بمقتل عشرة آلاف من أنصاره و الخارجين معه، و مقتل عدد كبير من جنود و قوّاد جيش هارون.

قتل أهل طبرستان والى هارون

و في السنة نفسها قتل أهل طبرستان والي هارون عليها، و خرج أبو الخصيب للمرّة الثانية و سيطر على عدة مدن: مثل: أبيورد، وطوس ونيشابور، وزحف إلى مرو و سرخس و قوي أمره، و لم تنته حركته إلاّ بمقتل الآلاف من الطرفين بعد قتال استمر أكثر من سنة واحدة.
و كانت هنالك تمرّدات و حركات عسكرية أُخرى قد أُخمدت في مهدها.

قتل البرامكه

و أهم الأحداث التي كان لها دور ملحوظ في خلخلة الجبهة الداخلية هي قيام هارون بقتل البرامكة في أواخر سنة (١٨٧ هـ)، الذين كانوا من أركان الحكومة و مشيّدي صرحها، و كانت لهم تجربة واسعة في ملاحقة الخصوم و المعارضين و القضاء على تحرّكاتهم، كما كانت لهم علاقات واسعة مع قادة الجيش والولاة.
و بقتل البرامكة واعتقال بعضهم خفّت حدّة الوشايات و التحريض على قتل الإمام الرضا(عليه السلام)، بعد أن كانوا قد حرّضوا هارون على قتل الإمام الكاظم(عليه السلام) من قبل.
و هذه الظروف مهّدت الطريق للإمام (عليه السلام) كي يقوم بدوره العلني في إمامة المسلمين.

6 ـ إعلان التصدّى للإمامه بعد أربع سنين

أدرك الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) نوع الظروف الموضوعية الحادثة بعد استشهاده من حيث طبيعة الحكم والحاكم وأجهزته الحكومية، و أساليبها في مواجهة الخصوم والمعارضين وخصوصاً أئمة أهل البيت (عليه السلام) و أتباعهم، لذا ركزّ في وصيته للمقربين له أن يكون إعلان تصدي الرضا (عليه السلام) للإمامة بعد أربع سنين[٤] من استشهاده، أي: في سنة (١٨٧ هـ).
و التزم الإمام الرضا (عليه السلام) بهذه الوصيّة، وكان يتابع الظروف والأحداث بدقّة، إلى أن جاء الظرف المناسب بعد مضي أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام)، و خصوصاً بعد القضاء على البرامكة، فأعلن عن تصدّيه للقيادة باتخاذه مواقف لا يتخذّها إلاّ من يتصدّى للإمامة.
و كان الإمام (عليه السلام) يدرك طبيعة السياسة القائمة، و يضع جميع الاحتمالات التي سيقوم بها هارون تجاه إعلان تصديه للإمامة، و التي منها عدم مقدرته على تصفية الإمام (عليه السلام)جسدياً، و قد نصحه المقرّبون له بعدم التصدّي للقيادة خوفاً من الاعتقال أو الاغتيال فأجابهم قائلا: ل« يجهدنّ جهده فلا سبيل له عليّ»[٥].
وأجابهم في موقف آخر: إن خدشت خدشاً من قبل هارون فأنا كذّاب[٦].

7 ـ مظاهر الإنحراف فى عصر الإمام الرضا(عليه السلام)

انتشرت الأفكار و التيارات المنحرفة في عهد العباسيين، وكثر أتباعها و أنصارها، وانشغل الناس بالجدل والمراء لِذلك.

الديانات والأفكار والدعوات المحرّفه.

فعلى مستوى الديانات المحرّفة كان لليهود والنصارى والمجوس والصابئين مطلق الحرية في الترويج لعقائدهم وأفكارهم، وكذا الحال بالنسبة للبراهمة والدهرية وجميع أصناف الزنادقة، كما تعددت المذاهب

٣ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ٢٠٥.
٤ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ١: ٢٦.
٥ . الفصول المهمّة: ٢٤٥.
٦ . إثبات الوصيّة: ١٧٤.

الإسلامية بتعدد أربابها.
وانتشرت الأفكار الفلسفية المحضة، ولا سيما الفلسفات المثالية، وكثر الجدل في الجبر والتفويض والإرجاء، والتجسيم والتشبيه.
وانتشرت الدعوات المنحرفة كادعاء النبوة، ولولا تشجيع الحكومة ومنح الحرية التامة لأرباب الديانات والأفكار الهدّامة لما انتشرت في أوساط المسلمين.
ومن أجل خلق الاِضطراب في صفوف أتباع أهل البيت (عليه السلام) أطلق الحكّام العنان لتيارات الغلو والوقف، ولم يبادروا إلى تطويقها في بداية نشوئها، رغبة منهم في إطفاة نور أهل البيت(عليه السلام) وتفتيت كيان أتباعهم إلى كيانات متعددة.

التشجيع على ترويج الروايات الكاذبه.

كان هارون يشجع على ترويج الروايات والأحاديث الكاذبة، المنسوبة إلى رسول الله (ص)، وخصوصاً روايات وأحاديث الخرافة، ويعاقب كل من يعارض الترويج لها.

إضفاء القدسيه على نظام الحكم

كان هارون يشجّع الآراء التي تلبس حكمه لباساً مقدساً، فقد أنشده أحد الشعراء أربعة أبيات لقبّه فيها بأمين الله، فأمر له بكل بيت ألف دينار، وقال: لوزدتنا لزدناك[٧].
وفي مقابل ذلك قام هارون بمحاصرة الفقهاء التابعين لأهل البيت (عليه السلام) للحيلولة دون كشف القناع المزيّف الذي أضفى القدسيّة على الحكم الظالم.

ترجمه الكتب الأجنبيه إلى العربيه

قام العباسيون وخصوصاً المأمون بترجمة كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية[٨]فأدّى ذلك إلى انتشار التفلسف والتشكيك والبلبلة في عقائد المسلمين، وانشغل المسلمون بها وبالتنازع فيها.
وانتشرت في تلك الفترة، مفاهيم خاطئة عن الزهد لإبعاد المسلمين عن الواقع وما يجري فيه من مواقف الحكّام وممارساتهم التي تستدعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الإفتاء بالرأى وتبرير الانحراف.

انتشر الاِفتاء بالرأي، و تفسير القرآن بالرأي و راج القياس المذموم القائم على الظنون و الأهواء و أصبحت الفتاوى تابعة لأهواء الحكّام و رغباتهم، حتى قام أحد الفقهاء المعروفين بتحليل وطء هارون لجارية كان قد وطأها أبوه من قبل، وقال له: يا أميرالمؤمنين! أوكلّما ادّعت أمَة شيئاً ينبغي أن تصدّق؟ لاتصدقها، فإنّها ليست بمأمونة، و حلّل له وطء جارية قبل الاِستبراء، و قال له: «تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها»[٩].

الخلاصه

١ـ احتاط الإمام الرضا (عليه السلام) في إعلان تصدّيه للإمامة والزعامة بعد استشهاد أبيه(عليه السلام). ولكنه باشر مهّامه بالتدريج.
٢ـ كان لتصفية البرامكة دور في إعلان الإمام (عليه السلام) عن تصديه للإمامة ومباشرته لوظائفه في التوجيه والاصلاح العام والخاص.
٣ـ من جملة النشاطات الملفتة للنظر في هذه المرحلة هي إثبات إمامته من خلال إخباراته عن مستقبل الأوضاع ولا سيما فيما يخصّ تصفيته واغتياله بيد هارون بالرغم من الرقابة والتهديد.
٤ـ من مظاهر الإنحراف الفكري في عصر الإمام الرضا (عليه السلام): رواج الأحاديث والمروّيات الكاذبة وفسح المجال لأهل الكتاب للتحرك ولنشر تعاليمهم، والإفتاء بالرأي وتبرير الانحراف. وإضفاء القدسية على نظام الحكم.

٧ . مروج الذهب ٣: ٣٦٥.
٨ . مآثر الإناقة في معالم الخلافة ١: ٢٠٩.
٩ . تاريخ الخلفاء : ٢٣٣.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 34

مظاهر الإنحراف السياسى فى عهد الإمام الرضا (عليه السلام)

المقدمه

تعرضنا في الدرس السابق إلى بعض الخطوط العامة من تاريخ الإمام الرضا (عليه السلام)، فتناولنا بالكلام بعض مظاهر الإنحراف الفكري و العقائدي في الفترة التي عاشها عليه السلام مع هارون، و نواصل الكلام في تاريخ هذا الإمام فنتكلم في مظاهر الإنحراف السياسي في هذا العهد وعهد الأمين العباسي أيضا .

المحتوى العلمی

الأوضاع السیاسیه فی عهد هارون

عاصر الإمام (عليه السلام) حكومة هارون عشر سنين (١٨٣ هـ إلى ١٩٣ هـ)، وكانت سياسة هارون لاتختلف عن سياسة من سبقه من الحكّام، و لا عن سياسته السابقة في عهد الإمام الكاظم(عليه السلام)، فهي سياسة واحدة اتجاه الائمة(عليه السلام) و اتجاه الأُمّة، لأنّ هارون ومن سبقه لم يصلوا إلى منصب الخلافة و رئاسة الدولة الإسلامية عن طريق شرعيّ فكانوا يشعرون بأنّ الأمّة لا تؤمن بمشروعية خلافتهم و رئاستهم، و على هذا فمن الطبيعي أن يتسم عهد هارون بما يلي:

1 ـ الارهاب

استخدم هارون أُسلوبي الإرهاب والاغراء لتثبيت حكمه، فلم يسمح لأي معارضة وإن كانت سلمية، و لم يستمع لأي نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، فكان الأرهاب أحد السمات المميّزة لسياسته.
ففي إحدى خطبه قام إليه رجل فقال:
(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ)[١]،
فأمر بضربه مئة سوط[٢].
و في سنة (١٨٨ هـ) ضرب هارون أحد المقرّبين إلى أحمد بن عيسى العلوي ولم يتوقف عن ضربه إلى أن مات على الرغم من تجاوزه التسعين من عمره، و لم يكن له أيّ ذنب سوى أنّه لم يخبره بمكان العلوي[٣].
و طارد هارون يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثم آمنه، و لم يف له بالأمان فقد سجنه بعد وصوله إليه وبقي مسجوناً إلى أن مات، و قيل: إنّ الموكل به منعه من الطعام أياماً فمات جوعاً[٤].
وبأمر منه قَتَل حميد بن قحطبة الطائي ستين علوياً، ورماهم في بئر فكان البئر مقبرة جماعية لهم[٥].

2 ـ الاستبداد.

أصبح الحكم في عهد هارون ومن سبقه مُلكاً، يرثه الأبناء عن الآباء دون أن يكون للأمّة أيّ اختيار، ولم يشذ هارون عن هذه القاعدة السياسية، فقد استبدّ بالحكم وجعله لأبنائه الثلاثة من بعده، فاختار محمداً بن زبيدة وقدّمه على إخوانه في ولاية العهد، إرضاءً لها، على الرغم من إيمانه بعدم أهليته لهذا المنصب، حيث اعترف بذلك قائلا: و قد قدّمت محمداً... و إنّي لأعلم أنّه منقاد إلى هواه، مبذّر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الإماء والنساء، و لولا أم جعفر ـ يعني زبيدة ـ و ميل بني هاشم إليه لقدّمت عبدالله عليه[٦].
ومن مظاهر الاستبداد هي: إسناد المناصب الحكومية والادارية والعسكرية إلى أقربائه وخواصّه والمتملقين إليه دون النظر إلى مؤهلاتهم الدينية والخلقية وكفاءاتهم في الإدارة والإشراف.

---

١ . الصف : ٣.
٢ . العقد الفريد ١: ٥١.
٣ . تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٢٣.
٤ . المصدر ٢: ٤٠٨.
٥ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ١: ١٠٩.
٦ . تاريخ الخمس ٢: ٣٣٤.

3 ـ الأخطار الخارجيه.

كانت الدولة و الأُمة الاسلامية محاطة بمخاطر قوى خارجية تتربص الدوائر بالإسلام والمسلمين، ففي بداية عهد الإمام الرضا(عليه السلام) أوقع الخزر بالمسلمين وقعة شديدة الوطأة، قُتل فيها آلاف المسلمين، و اُسر فيها أكثر من مئة ألف من الرجال و النساء، وكما قال المؤرخون: جرى على الإسلام أمر عظيم لم يُسمع قبله بمثله أبداً[٧].
و كان الروم يتحيّنون الفرص للوثوب على المسلمين، و كانوا ينقضون الصلح بين فترة وا ُخرى، و لايرجعون إليه إلاّ بمعارك طاحنة.

4 ـ خلل الجبهه الداخليه

أدّت السياسة الخاطئة لهارون إلى ظهور خلل واضطراب في الجبهة الداخلية، ففي سنة (١٨٤ هـ) خرج أبو عمرو حمزة الشاري واستمر إلى سنة (١٨٥ هـ)، وخرج أبوالخصيب في نفس السنة و سيطر على عدة أمصار، ولم تنته هاتان الحركتان إلاّ بمقتل عشرات الألوف من الطرفين.
و توسع الخلل في الجبهة الداخلية سنة (١٨٧ هـ) حينما أقدم هارون على مقتل البرامكة الذين يمثلون أعمدة الحكم وأركانه.
و في السنة نفسها قُتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك لطلبه بثأر البرامكة.
و سجن هارون عبدالملك بن صالح بن علي العباسي، لسعي ابنه به و ادعائه بأنّه يطلب الخلافة.
و في سنة (١٨٩ هـ) توجه هارون إلى الري بعدما وصلته الأخبار بتمرد والي خراسان عليه، و عاد بعد أربعة أشهر إلى بغداد دون أن يعزله.
و كان كثير العزل والاقصاء لقادة الأجهزة الحسّاسة في الحكومة، فمنصب قائد الشرطة قد تناوب عليه ثمانية أشخاص يُعزل أحدهم ويستبدله بآخر[٨].

الأوضاع السياسيه فی عهد محمد بن هارون (الأمين).

ففي بداية حكومته بدأ الخلاف بينه و بين أخيه عبد الله، و انقسمت الحكومة إلى قسمين، و لكل منهما أنصار و أتباع و أموال و سلاح.
و في سنة (١٩٤ هـ) تمرد أهل حمص، فقام قائد جيش محمد بن هارون بقتل الوجوه البارزة وسجن الأهالي، وإضرام النار في نواحي تلك البلاد ولم ينته التمرد إلاّ بمزيد من القتل والخراب الاقتصادي.
وفي السنة نفسها أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى بولاية العهد من بعده، وأمر أخاه عبد الله المأمون بالدعاء له ولكنه رفض ذلك.
و في سنة (١٩٥ هـ) أرسل جيشاً إلى خراسان لقتال أخيه فرجع الجيش مهزوماً، و استمر بإرسال الجيوش قرابة عامين، فلم تسيطر على خراسان، بل لاحقتها جيوش المأمون إلى أن حاصرت بغداد حصاراً شديداً دام سنة كاملة.
و في سنة (١٩٨ هـ) سيطرت جيوش المأمون على بغداد بعد قتال دام ذهب ضحيته عشرات الآلاف من الطرفين، قُتل فيه محمد الأمين ومن بقي من أصحابه.

الخلاصه

١ـ عاصر الإمام الرضا (عليه السلام) عشر سنوات من حكم هارون الرشيد (١٨٣ ـ ١٩٣ هـ) وكانت سياسة هارون تتصف بالتعسف و الاضطهاد للمناوئين له باستخدام كافة السبل للقضاء عليهم كما هو حال البرامكة.
٢ـ إتسم عهد هارون بالارهاب و الاستبداد و الأخطار الخارجية و الداخلية التي عانت منها البلاد الإسلامية.
٣ـ تقلد الأمين مقاليد الأمور بعد أبيه هارون، وفي بداية حكومته بدأ الخلاف بينه وبين أخيه عبد الله (المأمون)، و انقسمت الحكومة إلى قسمين، و لكل منهما أنصار و أتباع و أموال و سلاح.
٤ـ سيطر المأمون على بغداد بعد قتال دام مع أخيه الأمين الذي ذهب ضحيته الآلاف من القتلى.

---

٧ . تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ١٨١، ١٩١) : ١٢.
٨ . تاريخ بغداد ١٤: ١٢.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 35

مظاهر التدهور الإقتصادى و الأخلاقى فى عهد الإمام الرضا (عليه السلام)

المقدمه

تعرضنا في الدرسين السابقين إلى بعض الخطوط العامة من تاريخ الإمام الرضا (عليه السلام)، فتناولنا بالكلام بعض مظاهر الإنحراف الفكري والعقائدي في الفترة التي عاشها عليه السلام مع هارون، وواصلنا الكلام في تاريخ هذا الإمام في الدرس السابق فتكلمنا في مظاهر الإنحراف السياسي في هذا العهد وعهد الأمين العباسي أيضا، ووصلت النوبة الآن الى التعرض الى مظاهر التدهور الإقتصادي والأخلاقي في عهد الإمام الرضا (عليه السلام)، ودوره عليه السلام خلال هذه الفترة أيضا.

المحتوى العلمى

شهد عصر الحكام العباسيين تدهورا اقتصاديا شديدا و من مظاهر هذا التدهور ما يلي:

1 ـ تلاعب الحكّام بأموال المسلمين

خالف الحكّام العباسيّون أسس و قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي، التي تنص على أنّ الأموال هي وديعة عند الحاكم وليست ملكاً خاصاً له، ومن واجباته الإنفاق على ضوء القيود الشرعية، فكان الحكّام يتصرفون بالأموال حسب أهوائهم وإشباعاً لرغباتهم وشهواتهم، وكانوا ينفقونها لشراء الذمم من أجل تثبيت سلطانهم، وكان البذخ والترف هو السمة المرافقة لهم ولأنصارهم والمتملقين لهم، وتمتع المغنّون والجواري بقسط وافر من بيت المال لدورهم الكبير في إدخال السرور على قلب الخليفة والحاكم المتسلط على رقاب المسلمين.

و من الأمثلة على ذلك : جيء إلى هارون بخراج عظيم وأموال طائلة من الموصل، فأمر بصرفها إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به، فقال أبو العتاهية: أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولاتتعلق كفّي بشيء منه؟! ثم دخل على هارون فأنشده ثلاثة أبيات، فأعطاه عشرين ألف درهم، وزاده الفضل بن الربيع خمسة آلاف[١].

و أسمعه ابراهيم بن المهدي أُغنيةً فأمر له بألف ألف درهم[٢].

و اشترى جارية بسبعين ألف درهم، واشترى لها جوهراً باثني عشر ألف دينار، ثم حلف ألاّ تسأله يومه ذلك شيئاً إلاّ أعطاها[٣].

و سار أولاده على نهجه في البذخ والترف والتلاعب بأموال المسلمين، فقد بنى محمد الأمين قبّة اتخذ لهافراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر و بالإبريسم[٤].

و صيدت له سمكة صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب فيهما حبّتا درّ، و قيل ياقوت[٥].

و كان ينفق الأموال على لهوه و على جلسائه و على الخصيان المحيطين به[٦].

و أنفق عبدالله المأمون أموالا طائلة في زواجه، و أمر بإعطاء خراج فارس و الأهواز إلى والد زوجته، يجبى إليه لمدة سنة[٧].

2 ـ تدهور المستوى المعيشى للمواطنين

نتيجة للتلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكّام، وفقدان العدالة الاجتماعية في الانفاق والتوزيع، وفقدان التواصي بالتكافل والتراحم من قبل الحكّام وولاتهم وأجهزة الدولة، وإثقال كاهل المواطنين بالضرائب الإضافية، عاشت قطّاعات واسعة من المسلمين حياة الفقر والحرمان، وخصوصاً من ليس لهم علاقة بالحاكم ولا بأجهزة دولته، والحوار الذي دار بين رجلين من قريش وبين هارون يوضّح لنا مظهراً من مظاهر الفقر والحرمان فقد خاطباه بالقول: نهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب[٨].

---

١ . الأغاني ٤: ٦٧.
٢ . الأغاني ١٠: ٩٩.
٣ . المصدر ١٦: ٣٤٢، ٣٤٣.
٤ . مروج الذهب ٣: ٣٩٢.
٥ . المصدر ٣: ٣٩٤.
٦ . الكامل في التاريخ ٦: ٢٩٤.
٧ . مروج الذهب ٣: ٤٤٣.
٨ . الأغاني ١٦: ٢٦١.



د ـ مظاهر الإنحراف الأخلاقى

إنّ الانحراف الأخلاقي في عهد الحكّام العباسيين هو نتيجة طبيعية من نتائج الابتعاد عن المنهج الإسلامي و عدم تحكيمه في العقول و النفوس، و قد ساهمت أجواء الترف و الرفاهية مساهمة فعّالة في انتشار الانحراف الأخلاقي عند الحاكم و مؤسساته و عند الأمّة تبعاً لذلك. و من مظاهر هذا الانحراف:

1 ـ اللهو واللعب

إنّ التصدّي للحكم مسؤولية عظيمة، و على الحاكم أن يقضي وقته للقيام بأداء دوره على أحسن وجه، بحيث لايبقى له فراغ ينشغل فيه باللهو و اللعب، و لكن الحكّام العباسيين لم يكترثوا بهذا المفهوم الاسلامي،
فكان هارون أول حاكم لعب بالصوالجة و الكرة ورمي النشاب، وبالشطرنج[٩].
و كان يُجري سباق الخيل، فجاء في أحد الأيام فرسه سابقاً، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه شعراً و أجزل لهم في العطاء حينما أنشدوا شعراً في هذه المناسبة[١٠].
و كان من حبّه للضحك و الفكاهة أنْ اختصّ بابن أبي مريم المدني، وكان لايصبر عن فراقه، و لايملّ من محادثته، و بلغ من اختصاصه به أن جعل له منزلا في قصره، و خلطه بحريمه و بطانته و مواليه و غلمانه[١١].
ولما وصل ابنه محمد الأمين إلى قمة السلطة طلب الخصيان وأتباعهم، وغالى في أثمانهم، فصيّرهم لخلوته في ليله ونهاره، وفرض لهم فرضاً من بيت المال، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه، وأنفق في بنائها أموالا عظيمة.
وتابع المأمون أباه وأخاه في اللهو واللعب، ومن الطبيعي أن تستشري هذه الظاهرة المنحرفة في الأوساط المقربّة للبلاط الحاكم، لأنّ فساد المؤسّسات بفساد الحاكم.

2 ـ الولع بالغناء وبالجوارى

على الرغم من تعرض الدولة والأُمّة إلى مخاطر ومؤامرات من قبل أعداء الإسلام إلاّ أنّ الحكّام العباسيين لم يكترثوا بذلك، و لم يكن من همّهم تحصين الإسلام من المخاطر المحدقة به،مادام المسلمون مشغولين بالغزوات و الفتوحات، لايتابعون ممارساتهم الانحرافية في الولع بالغناء و بالجواري و الغلمان.
فكان هارون من المولعين بالغناء حتى جعل للمغنّين مراتب و طبقات[١٢].
و كان الأمين يأمر بفرش ساحة مفتوحة بأفخر الفراش، و تهيئة آنية من الذهب و الفضة و الجواهر، ثم يأمر قيّمة جواريه بأن تهييء له مائة جارية، يصعدن إليه عشراً عشراً بأيديهنّ العيدان، يغنين بصوت واحد[١٣].
وقال إسحاق بن ابراهيم بن ميمون:
و كان المأمون كثير الشغف بالنساء، و أشدّ الناس ميلا إليهنّ و استهتاراً بهنّ[١٤]، و كانت الجواري يغنين

---

٩ . تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.
١٠ . الأغاني ٤: ٤٣.
١١ . تاريخ الطبري ٨: ٣٤٩، والكامل في التاريخ ٦: ٢٩٣، ٢٩٤.
١٢ . تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.
١٣ . الكامل في التاريخ ٦: ٢٩٥.
١٤ . العقد الفريد ٨: ١٥٦.

عنده إلى السَّحَر[١٥].

3 ـ شرب الخمر

شرب الخمر من المحرّمات الثابتة في الشريعة الإسلامية،فإذا استطاع الحكّام العباسيّون الحصول على فقهاء يبررون لهم سماع الغناء و الولع بالجواري، فإنّهم لايستطيعون تبرير شرب الخمر من قبلهم و لكنّهم خالفوا هذه الحرمة الثابتة في ممارساتهم العملية، فكان هارون مدمناً على شرب الخمر وكان يتولّى بنفسه سقاية ندمائه[١٦].
وكان المأمون يشرب مع ندمائه فيأخذ الشراب منهم مأخذاً[١٧]، وأُخرج من عدة طرق أنّ المأمون كان يشرب النبيذ[١٨].

4 ـ الممارسات المنحرفه فی مجالس الحكّام

الإنحراف الأخلاقي ليس غريباً عند من يتولىّ الحكم دون سابقة علم وتقوى، ودون مؤهلات فكرية وخلقية، ومن يتحدّى حدود الله تعالى الثابتة، فإنّه سيرتكب مادونها، وليس غريباً أن تكثر الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام، فقد كان هارون يستمع إلى ألفاظ الفحش، بل يضحك تشجيعاً لقائلها، وفي مجلسه كانت تمارس أُمور مصحوبة بالألفاظ البذيئة، وهو يضحك، ولم يكتفِ بذلك وإنّما كان يهب لمرتكبيها مالا، كما وهب لابن أبي مريم مائة ألف درهم[١٩].
أمّا ابنه الأمين فهو ـ كما يصفه ابن الأثير ـ : لم نجد في سيرته مايستحسن ذكره، من حلم أو معدلة أو تجربة، حتى نذكرها[٢٠].
وفي مجالس المأمون كان يكثر الغزل المباشر، ففي ليلة من الليالي كان محمد بن حامد واقفاً على رأس المأمون وهو يشرب، فاندفعت جاريته عريب فغنّت، فأنكر أن لاتكون ابتدأت بشيء، فأجابه ابن حامد: أنا ياسيدي أومأت إليها بقُبلة[٢١].

5 ـ الممارسات المنحرفه لأتباع الحكّام

كان أحد قضاة الأمين ثم المأمون مشهوراً بممارسة الشذوذ الجنسي، فاشتكى الناس عند المأمون فأجابهم: لو طعنوا عليه في أحكامه قُبل ذلك منهم.
وبعد ازدياد الشكاوى عليه عزله ثم جعله نديماً له، ورخّص له في أمور كثيرة[٢٢].

دور الإمام الرضا(عليه السلام) خلال هذه الفتره.

قام الإمام الرضا (عليه السلام) بأعمال كثيرة للحد من أثر المظاهر السلبية التي اجتاحت الأُمّة الإسلامية مستغنياً بأنصاره المخلصين الواعين ونذكر من ذلك عدّة أُمور:
الأول: نشر القواعد الأساسية للفكر السياسي، وكان ضمن عدة محاور.
أ ـ تقديم المفاهيم السياسية السليمة، وإن كان أُناس وكلّ أُمّة لابدّ أن يكون لها إمام يكون قدوتها، وهذا الإمام له علامات وخصائص وقد حدد ذلك الإمام الرضا(عليه السلام)لكي تتمكن الأُمّة من تشخيص إمامها ومعرفته.
ب ـ بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في الحياة وأنّهم سفينة النجاة لمن ركبها، وأنّهم كالنجوم أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.
ج ـ تحديد هوية الشيعي وأنّه من أهل الورع والتقوى، والنموذج الأمثل في المجتمع.
د ـ الحث على إقامة الشعائر الحسينية بشكل يتسجم مع عمق الأهداف التي ضحى من أجلها الإمام الحسين(عليه السلام) ليعمق الولاء العاطفي والسياسي للمنهج الثوري الذي انتهجه الإمام الحسين(عليه السلام).
الثاني: أكّد على إعطاء الخمس للإمام الحق، لأنّه حق للإمام (عليه السلام) فرضه الله على الأُمّة ليستعين به على مسؤولية في الأُمّة.

---

١٥ . تاريخ الخلفاء: ٢٦٠.
١٦ . حياة الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) ٢: ٢٢٤، باقر شريف القرشي.
١٧ . الكامل في التاريخ ٦: ٤٣٧.
١٨ . تاريخ الخلفاء: ٢٦٠.
١٩ . تاريخ الطبري ٨: ٣٤٩، ٣٥٠.
٢٠ . الكامل في التاريخ ٦: ٢٩٥.
٢١ . تاريخ الخفاء: ٢٦٠.
٢٢ . مروج الذهب ٣: ٤٣٥.

الثالث: حث الأُمّة على أداء الزكاة; لأنّها حق الفقراء والمساكين وغيرهما من الأصناف التي ذكرتها الآية المباركة، وبدونها لا يتحقق التوازن في الحياة الاجتماعية.
الرابع: الدعوة إلى التكافل الاجتماعي من خلال مساعدة المحتاجين والمعوزين، وكان الإمام (عليه السلام) الأول في هذا الميدان، فقد أنفق على الفقراء والمحتاجين بشكل ألفت نظر البعض، فقال الفضل بن سهل: إنّ هذا المغرم فقال(عليه السلام): «بل هو المغنم، لا تعدن مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرما»[٢٣].
الخامس: محاربة المفاهيم الخاطئة في الزهد والتصوف اللذان انتشرا فعل مما أصاب بعض طبقات الأُمّة من الترف والانغماس في الشهوات وبالاخص طبقة الحكام والأُمراء ومن خالفهم.
وما كان من الإمام (عليه السلام) إلاّ أن وضح المفهوم الحقيقى للزهد الذي ينسجم مع المفاهيم القرآنية الحقة.
السادس: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وقد تمّ ذلك ضمن محاور عديدة:
أ ـ من خلال نشر أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي ترسم للمسلمين المنهج السلوكي السليم.
ب ـ من خلال ضرب الأمثال بالقصص وغيرها ليبقى المفهوم الأخلاقي شاخصاً في النفوس، ومن ذلك قوله(عليه السلام):
إنّ رجلا كان في بني إسرائيل عبد الله تبارك وتعالى أربعين سنة فلم يقبل الله منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلاّ منك، ولا الذنب إلاّ لك، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: «ذمّك نفسك أفضل من عبادة أربعين سنة»[٢٤].
السابع: استعمل الشعر كوسيلة للإصلاح الأخلاقي وكأُسلوب للتربية وأراد أن يلفت النظر إلى أنّ الشعر لو وظف بشكله الصحيح لكان من الوسائل الناجحة لذلك.
الثامن: واظب الإمام (عليه السلام) على تكميل ما قام به الأئمة السابقين من بناء الجماعة الصالحة بما يتناسب والمرحلة التي تمرّ بها الأُمّة الإسلامية وبالفعل فقد تنوعت أساليب البناء واتسعت الجماعة الصالحة حتى شغلت مناصب حساسة في الدولة كأبي الصلت الهروي مستشار المأمون العباسي.

الخلاصه

١ـ شهد عصر الحكام العباسيين تدهورا اقتصاديا شديدا ، ومن مظاهر هذا التدهور ما يلي:
تلاعب الحكّام بأموال المسلمين، الولع بالغناء وبالجواري، وتدهور المستوى المعيشي للمواطنين.
٢ـ من مظاهر الإنحراف الأخلاقي الذي انتشر عهد هارون:
اللهو واللعب، الولع بالغناء وبالجواري، شرب الخمر، الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام، والممارسات المنحرفة لأتباع الحكّام.
٣ـ تمثل دور الإمام الرضا (عليه السلام) خلال هذه الفترة بعدة أمور منها:
الأول: نشر القواعد الأساسية للفكر السياسي، وكان ضمن عدة محاور.
الثاني: التأكيد على إعطاء الخمس للإمام الحق.
الثالث: حث الأُمّة على أداء الزكاة.
الرابع: محاربة المفاهيم الخاطئة في الزهد والتصوف وغير ذلك.

---
٢٣ . مناقب آل أبى طالب ٤ : ٣٩٠.
٢٤ . قرب الاسناد : ٣٩٢.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 36

ملامح عصر المأمون العباسى حتى استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام)

المقدمه

استلم المأمون زمام الحكم في سنة (١٩٨ هـ) بعد حرب دامية ضد أخيه الأمين استمرت خمس سنوات، قتل فيها الآف القادة والجنود التابعين للجيشين ، وحدث تفتّت في التحالف العباسيّ، وانقسم البيت العباسي إلى مؤيدين ومعارضين لحكم المأمون، وهذا الوضع أدّى إلى ظهور اضطراب الوضع العام.
هذا ما نريد التحدث عنه في هذا الدرس فنتعرض الى أهم ملامح عصر المأمون العباسي حتى استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام)، ومن ذلك مسألة ولاية العهد .

المحتوى العلمى

و أما بالنسبة الى ملامح الإضطراب الذي وقع في الوضع العام، فيمكن ذكر ما يلي في هذا المجال :

أ ـ ظهور الحركات المسلّحه

ففي أول سنة من حكم المأمون و هي سنة (١٩٨ هـ)، أظهر نصر بن شيث العقيلي الخلاف في حلب و تغلّب على ماجاورها من البلدان و لم يقض عليه إلاّ في سنة (١٩٩ هـ).
و في السنة نفسها حدثت فتنة الموصل بين اليمانية والنزارية، وقتل فيها نحو ستة آلاف من النزارية.
و في سنة (١٩٩ هـ) انفجرت المعارك بين بني ثعلبة وبني أسامة.
و كانت سنة (١٩٩ هـ) فاتحة لثورة عظيمة و حركة تمرّد واسعة قادها العلويون، حيث خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق و معه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل الحسني، فضرب الدراهم بالكوفة بغير سكة العباسيين، و سيّر جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيها.
و توزعت الثورة على عدّة جبهات: كجبهة البصرة ومكة واليمن و... .
و استمرت هذه الثورات أكثر من سنة إلى أن قضي عليها، و في سنة (٢٠٠ هـ) خرج محمد بن جعفر الصادق(عليه السلام)و لكنّه لم يستمر في خروجه فاستسلم و أرسل إلى المأمون.
و كان لهذه الثورات أثر كبير في خلخلة الأوضاع الداخلية و إرباك المواقف العسكرية و السياسية، وبالأخص قيام أبي السرايا فقد نظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان مائتا ألف رجل[١].

ب ـ تدهور الوضع العام بعد إخماد الثورات

في سنة (٢٠١ هـ) أصاب بغداد بلاء عظيم، وجلا كثير من ساكنيها بسبب النهب و السلب والغلاء وخراب الدور[٢].
و تدارك المأمون موقفه من الثوار فأعلن العفو عن قادة الثورات و خصوصاً العلويين، و هذا العفو لم يمنعه من استخدام الإرهاب لإخماد أصوات المعارضين.

ولايه العهد

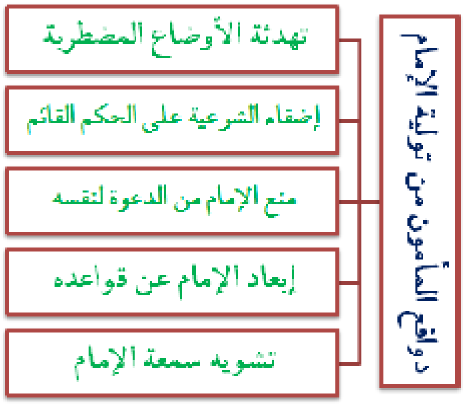
في سنة (٢٠٠ هـ) و بعد عامين من سيطرة المأمون على زمام السلطة، كتب إلى الإمام الرضا (عليه السلام) يدعوه للقدوم إلى خراسان ، فاعتلّ الإمام (عليه السلام) بعلل كثيرة و استمر المأمون بمكاتبته و مراسلته حتى علم (عليه السلام) أنّه لايكفّ عنه، فاستجاب له و أمر المأمون الشخص الموكّل بالإمام الرضا (عليه السلام) أن لايسير به عن طريق الكوفة و قم و عند وصوله إلى مرو عرض عليه أن يتقلد الخلافة، فأبى(عليه السلام) هذا العرض، و جرت بينهما مخاطبات كثيرة دامت نحواً من شهرين، و الإمام (عليه السلام) يأبى الموافقة و حينما يئس المأمون عرض عليه ولاية العهد، فأجابه الإمام (عليه السلام) بعد الإلحاح الشديد و التلويح بالقتل، و شرط عليه شروطاً منها: إنّي أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر، و لا أنهى، و لا أقضي، و لا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كلّه[٣].
فقبل منه المأمون ماشرطه عليه الإمام (عليه السلام)، وتمت ولاية العهد في الخامس من رمضان سنة (٢٠١ هـ).

---

١ . مقاتل الطالبيين: ٥٥٠ .
٢ . العبر في خبر من غبر ١: ٢٦٣.
٣ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ١٤٩، ١٥٠.

دوافع المأمون من توليه الإمام(عليه السلام)

لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام (عليه السلام) وليّاً لعهده نابعة من ولائه لأهل البيت (عليه السلام)، بل كان ميله لهم مصطنعاً[٤]، إذ لا يعقل أن يضحيّ بالحكم الذي قتل من أجله أخاه و الآلاف من الجنود و القادة ثم يسلمه بكل سهولة إلى غيره.
و يمكن تحديد دوافع المأمون في النقاط التالية:
١ ـ تهدئة الأوضاع المضطربة.
اضطربت أوضاع الحكم بسبب القتال الدامي بين الأخوين، إضافة إلى قيام الثورات والحركات المسلّحة، وازدياد عدد المعارضين لحكم المأمون.
فأراد المأمون من تقريب الإمام (عليه السلام) استقطاب أعوانه وأنصاره، وإيقاف حركاتهم المسلّحة ليتفرغ إلى بقية الثائرين والمتمردين الذين لا يُعتد بهم قياساً للثوار العلويين.
وأراد كسب ودّ الأغلبية العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام (عليه السلام)، وخصوصاً أهل خراسان الذين أعانوه على احتلال بغداد، والشاهد على ذلك استقبال الإمام (عليه السلام) من قبل عشرين ألف عالم وفقيه وصاحب حديث في نيسابور[٥].
٢ ـ إضفاء الشرعية على الحكم القائم.
فإنّ ماقام به المأمون من تولية الإمام (عليه السلام) يمكن أن يحقق له مايصبو إليه من إضفاء الشرعية على حكمه، مستفيداً من الولاء الفكري والعاطفي للإمام(عليه السلام) في نفوس المسلمين، ورضاه الظاهري، يعني رضاه عن الحكم الواقع وعدم معارضته له، وهذا ماتستنتجه الأمة حسب مشاهدتها للظواهر.
٣ ـ منع الإمام (عليه السلام) من الدعوة لنفسه.
الإمام (عليه السلام) مسؤول عن دعوة الأمة للارتباط بالإمام الحق والمنهج الحق، والمتعارف عليه أنّ ولي العهد يدعو للحاكم الفعلي ثم لنفسه، ومن هنا كان تفكير المأمون منصباً على منع الإمام من ذلك، وقد صرّح بهذه الحقيقة بقوله: «قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلى نفسه دوننا، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا; ليكون دعاؤه إلينا»[٦].
٤ ـ إبعاد الإمام عن قواعده.
إنّ وجود الإمام (عليه السلام) في العاصمة يعني انفصاله عن قواعده الشعبية، وتحجيم الفرص المتاحة للإجتماع بوكلائه ونوابه المنتشرين في شرق الأرض وغربها، وكثّف المأمون من مراقبة الإمام (عليه السلام) وقام بتقريب هشام بن ابراهيم الراشدي ـ أحد خواص الإمام ـ وولاّه حجابة الإمام(عليه السلام)، فكان ينقل الأخبار إليه، ويمنع من اتصال كثير من مواليه به، وكان لايتكلم في شيء إلاّ أورده على المأمون[٧].
٥ ـ تشويه سمعة الإمام.
أجاب الإمام (عليه السلام) المأمونَ موضحاً دوافعه بقوله:
«تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً بالخلافة؟!»[٨].



---
٤ . شذرات الذهب ٢: ٣.
٥ . الفصول المهمة: ٢٥١، نور الابصار: ١٧٠.
٦ . فرائد السمطين ٢: ٢١٤.
٧ . بحار الأنوار ٤٩: ١٣٩.
٨ . علل الشرايع: ٢٣٨.

أسباب قبول الإمام (عليه السلام) بولايه العهد

1 ـ التهديد بالقتل

قال المأمون للإمام(عليه السلام): >يا ابن رسول الله! قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.
فقال الإمام(عليه السلام): بالعبودية لله عزّ وجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجوالفوز بالغنائم، وبالتواضع في الدنيا أرجوالرفعة عندالله تعالى.
فقال المأمون: إنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك!.
قال الإمام(عليه السلام): إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلايجوز لك أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.
فقال المأمون: يا ابن رسول الله! لابدّ من قبول هذا الأمر. قال الإمام (عليه السلام): لست أفعل ذلك طايعاً أبداً».
فمازال يجهد به أياماً فلما يئس من قبوله; عرض عليه ولاية العهد، ثم جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام (عليه السلام) دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون ثم قال: >إنّك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك، فان فعلت وإلاّ ضربت عنقك.
فقال الإمام(عليه السلام): قد نهاني الله عزّ وجلّ أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل مابدا لك، وأنا أقبَل ذلك على أن لا أُولّي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقضنّ رسماً ولاسنة، وأكون في الأمر بعيداً مشيراً<، فرضى منه بذلك، وجعله ولي عهده والإمام (عليه السلام) كاره لذلك[٩].
وفي رواية أُخرى أنّ المأمون قال له: >إن عمر بن الخطّاب جعل الشورى في ستة، أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولابدّ من قبولك ما أُريده منك، فإنّي لا أجد محيصاً منه<[١٠].
وقد صرّح الإمام (عليه السلام) باضطراره للقبول وكان يقول: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل»[١١].
وقيل له: يا ابن رسول الله! ماحملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال (عليه السلام): «ما حمل جدّي أميرَ المؤمنين على الدخول في الشورى»[١٢].

2 ـ استثمار الظروف لإقامه الدين و إحياء السنّه

إنّ الحرية النسبية الممنوحة للإمام (عليه السلام) و لأهل بيته و أنصاره هي فرصة مناسبة لتبيان معالم الدين و إحياء السنة النبوية و نشر منهج أهل البيت (عليه السلام) في مختلف الأوساط الاجتماعية و السياسية و خصوصاً في البلاط الحاكم عن طريق الالتقاء بالوزراء و الخواص و الخدم و الحرّاس و غيرهم.
و قد سمحت الظروف للإمام (عليه السلام) لتبيان المنهج السليم أمام الوزراء و القضاة و الفقهاء و أهل الديانات الذين جمعهم المأمون لمناظرة الإمام (عليه السلام)، إضافة إلى قيامه بتوجيه المأمون إلى اتخاذ الرأي الأصوب مهما أمكن.

الخلاصه

١ـ اتسم عهد المأمون بالاضطراب السياسي وكثرة الثورات والخروج ضد الدولة.
٢ـ كانت دعوة المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) بعد سنتين من تولّيه السلطة، وكان يكاتب الإمام (عليه السلام) ويراسله ويضغط عليه من أجل قبول الخلافة أو ولاية العهد.
٣ـ كان الإمام (عليه السلام)يمانع ولم يبد قبولا، حتى استجاب للمأمون تحت ضغط التهديد بالقتل.
٤ـ قبل الإمام (عليه السلام) ولاية العهد بشروط منها : ان لايأمر ولاينهى ولايقضي ولا يغيّر شيئاً مما هو قائم.
٥ـ كان المأمون يهدف من تولية الإمام (عليه السلام) ولاية العهد أهدافاً متعدده أهمّها تهدئة الأوضاع المضطربة ومحاولة إضفاء الشرعية على حكمه وسلطته.
ومع كل ذلك، فالإمام (عليه السلام) عمل على إفشال ماخطّط له المأمون؛ حيث تمكن من تعبئة الجماهير المؤمنه بقيادته فضلا عن فضح السلوك المنحرف للسلطة العباسية في مناسبات عديدة، كما تمكنّ الإمام (عليه السلام) من إحياء سنة جده (ص) وآبائه الكرام (عليه السلام).

---

٩ . علل الشرايع: ٢٣٧، ٢٣٨.
١٠ . الإرشاد: ٢١٠.
١١ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ١٣٩.
١٢ . عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ١٤١.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 37

مكتسبات القبول بولايه العهد

المقدمه

تكلمنا في الدرس السابق عن أهم ملامح عصر المأمون العباسي حتى استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام)، وكان من ضمن ذلك مسألة ولاية العهد التي أجبر المأمون عليها الإمام الرضا (عليه السلام)، ونريد أن نواصل في هذا الدرس الكلام عن هذا الموضوع فنتعرض الى مكتسبات القبول بولاية العهد من قبله (عليه السلام)، كما سنتعرض آخر الدرس الى قضية استشهاده عليه السلام.

المحتوى العلمى

جمع المأمون الخطباء و الشعراء بعد انعقاد ولاية العهد، فأخذوا يعدّدون فضائل و مآثر و كرامات الإمام الرضا (عليه السلام)

و طلب المأمون من الإمام (عليه السلام) أن يخطب الناس، فخطب موضحاً الحقوق المتبادلة بينه و بين الناس قائلا: «أيها الناس! إنّ لنا عليكم حقاً برسول الله (صلى الله عليه و آله)، ولكم علينا حقاً به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم و السلام»[١].

ثم خطب المأمون و قال: «أيها الناس! جاءتكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و الله لو قرأت هذه الأسماء على الصمّ البكم لبرئوا بإذن الله عزّ وجلّ»[٢].

و وضّح الإمام (عليه السلام) المنهج السياسي للحاكم الإسلامي، و دوره في تطبيق أحكام الشريعة، والأسباب التي تؤدي إلى شرعيّة الاستمرار في الحكم، جاء ذلك في *وثيقة العهد التي كتبها (عليه السلام)* بخطّه: «... جعلت لله على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين، و قلدني خلافة العمل فيهم...أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى، و طاعة رسوله (صلى الله عليه و آله)، ولا أسفك دماً حراماً، و لا أبيح فرجاً، و لا مالا إلاّ ماسفكته حدوده، و أباحته فرائضه، و أن أتخير الكفاة جهدي و طاقتي...وإن أحدثت أو غيّرت أو بدّلت كنت للعزل مستحقاً و للنكال متعرضاً...»[٣].

و استطاع الإمام (عليه السلام) بهذا القبول أن يحقق جملة من المكتسبات، منها:

أولا: اعتراف المأمون بأحقية أهل البيت (عليه السلام)

كتب المأمون كتاباً للعباسيين المعترضين على تولية الإمام (عليه السلام) جاء فيه : «...فلم يقم مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحد من المهاجرين كقيام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فإنّه آزره ووقاه بنفسه...وهو صاحب الولاية في حديث غدير خم و صاحب قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي...وكان أحب الخلق إلى الله تعالى و إلى رسوله و صاحب الباب ، فتح له و سدّ أبواب المسجد.

و هو صاحب الراية يوم خيبر و صاحب عمرو بن عبدودّ في المبارزة. و أخو رسول الله(صلى الله عليه و آله) حين آخى بين المسلمين».

ثم وضّح في الكتاب نفسه ظلم العباسيين لأهل البيت (عليه السلام) فقال: «...ثم نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفاهم، وضيّقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قَتْل بني أميّة إيّاهم»[٤].

و في موضع آخر: احتجّ المأمون على الفقهاء بفضائل الإمام علي (عليه السلام) و أحقيّته بالخلافة، فأيَّده الفقهاء و قالوا: «كلنّا نقول بقول أمير المؤمنين أعزّه الله»[٥].

و اعترف بأحقّية الإمام الرضا (عليه السلام) بالخلافة، و أخبر خواصّه بأنّه: نظر في ولد العباس، و ولد عليّ رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أفضل و لا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى الرضا[٦].

و اعتراف المأمون يستلزم تشجيع أتباعه و أتباع الإمام (عليه السلام) على ذكر مناقب و فضائل أهل البيت (عليه السلام)، و هذا مايزيد في توسع القاعدة الشعبية الموالية لأهل البيت فكراً وعاطفةً وسلوكاً.

ثانياً: توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام (عليه السلام).

وظّف المأمون وسائل الإعلام الرسمية لصالح الإمام (عليه السلام)، فالولاة و الأمراء و أئمّة الجمعة

---

١ . الفصول المهمّة: ٢٥٥، ٢٥٦.
٢ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ١٤٧.
٣ . الفصول المهمّة: ٢٥٨، ٢٥٩.
٤ . بحار الأنوار ٤٩: ٢١٠، عن كتاب: نديم الفريد، لابن مسكويه.
٥ . العقد الفريد ٥: ٣٥٨، ٣٥٩.
٦ . مروج الذهب ٣: ٤٤١.

يدعون له مِنْ على المنابر في كل يوم، و كلّ جمعة و كلّ مناسبة، إضافة إلى طبع اسمه على الدراهم والدنانير المعمول بها في جميع الأمصار.
و كثرت الخطب والأشعار المادحة للإمام (عليه السلام)، و الذاكرة لفضائله وفضائل أهل البيت (عليه السلام) و انتشرت في جميع الأمصار، دون حاجة إلى بث الدعاة من قبل الإمام(عليه السلام)، وقد كان المأمون سبّاقاً في نظم الشعر.
و قد أثمر هذا الإعلام فيما بعد، ففي سنة ٢١١ هـ أمر المأمون أن ينادى:
برئت الذمّة ممّن يذكر معاوية بخير، وأنّ أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) عليّ ابن أبي طالب[٧].

ثالثاً: حرية الإمام (عليه السلام) في المناظرة.
أمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام (عليه السلام) أصحاب المقالات و منهم: *الجاثليق وهو رئيس الأساقفة، ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الروم، والمتكلمون.*
و في جلسات المناظرة احتجّ الإمام (عليه السلام) بالكتب المعتبرة عندهم و فنَّد مناهجهم و متبنياتهم الفكرية و العقائدية، فاعترف الجميع بأعلميته و اعترفوا بصحّة أفكاره و آرائه، و أذعنوا إليها.
قال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلاّ الله.
و أسلم عمران الصابي وقال: «أشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحّدت، وأشهد أنّ محمداً عبدُه المبعوث بالهدى ودين الحقّ»، ثم خرّ ساجداً نحو القبلة.
و لما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي، ـ وكان جدلا ـ لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط، لم يدن من الإمام (عليه السلام) أحد منهم، ولم يسألوه عن شيء[٨].
و في مجلس آخر بعث المأمون على الإمام (عليه السلام) ليناظر متكلم خراسان سليمان المروزي، فتناظرا في البداء، وصفات الله تعالى، والفرق بين صفات الذات و صفات الفعل، وكان الإمام (عليه السلام) يجيب على جميع أسئلته، ويقطعه في الحجج إلى أن سكت لايستطيع الجواب، فقال المأمون: ياسليمان! هذا أعلم هاشمي[٩].
و في مجلس آخر جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلاّ وقد ألزمه الإمام (عليه السلام) حجته.
و قام إليه علي بن محمد بن الجهم، و أثار الشبهات حول عصمة الأنبياء استناداً إلى الآيات المتشابهة الواردة في *القرآن الكريم*، و كذا أثار الشبهات حول عصمة رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأثبت له (عليه السلام) العصمة بالعقل و النقل، فبكى ابن الجهم وقال:
«يا ابن رسول الله! أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من أن أنطق في أنبياء الله (عليه السلام) بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته»[١٠].
و كان هدف المأمون ـ كما يرى *الشيخ الصدوق* ـ هو الحرص على انقطاع الإمام (عليه السلام)عن الحجّة مع واحد من هؤلاء، حسداً منه له و لمنزلته من العلم.
و استطاع الإمام (عليه السلام) من خلال حرية المناظرة أن يردّ على جميع الشبهات المثارة من قبل أصحاب الأديان و أصحاب المذاهب، و استثمر الحرية المتاحة في تفنيد آراء الغلاة و الواقفة و تثبيت الآراء السليمة المنسجمة مع نهج أهل البيت (عليه السلام).

رابعاً: نشر مفاهيم و فضائل أهل البيت (عليه السلام).
استثمر الإمام (عليه السلام) الفرصة المتاحة له لنشر مفاهيم و فضائل أهل البيت (عليه السلام) و دورهم الريادي في الأمة، وخصوصاً بين الوزراء و قادة الجيش و الفقهاء و القضاة، ومن يرتبط بالبلاط الحاكم بصلة و اليك صوراً من هذا النشاط:
١ ـ فضائل ومقامات الإمام علي(عليه السلام)
نشر الإمام (عليه السلام) أحاديث رسول الله (صلى الله عليه و آله) التي تتعلق بإمامة علي (عليه السلام) و فضائله و مقاماته السامية، بعد أن طمست في عهد الأمويين و العباسيين الذين سبقوا المأمون في الحكم، ومنها:
قول رسول الله (صلى الله عليه و آله): «عليّ إمام كل مؤمن بعدي»[١١].
و قوله (صلى الله عليه و آله): «ياعليّ! أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، و أنت النبأ العظيم و أنت الصراط المستقيم و أنت المثل الأعلى. ياعليّ! أنت إمام المسلمين و أمير المؤمنين و خير الوصيين و سيد الصديقين. ياعليّ! أنت الفاروق الأعظم و أنت الصديق الأكبر...إنّ حزبك حزبي و حزبي

٧ . تاريخ الخلفاء: ٢٤٧.
٨ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ١٦١، ١٧٧.
٩ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ١٧٩ ـ ١٩١.
١٠ . المصدر ١: ١٩١ ـ ١٩٥.
١١ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٢٨١.

حزب الله و إن حزب أعدائك حزب الشيطان»[١٢].
٢ ـ فضائل ومقامات العترة الطاهرة.
و في مجلس عقده المأمون لجماعة من علماء العراق و خراسان سأل عن معنى الآية الكريمة:
{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}[١٣].
فأجابه العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمّة كلّها.
فقال المأمون: ماتقول: يا أبا الحسن؟
فقال الإمام(عليه السلام): «لاأقول كما قالوا و لكنّي أقول: أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة».
ثم ذكر اثنتي عشرة آيةً قرآنية تدل على أفضلية العترة الطاهرة و دورها الريادي في إمامة المسلمين.
فقال المأمون ومنْ معه: «جزاكم الله أهل بيت نبيّكم عن هذه الأمة خيراً، فما نجد الشرح و البيان فيما اشتبه علينا إلاّ عندكم»[١٤].
٣ ـ كتاب الإمام في محض الإسلام.
سأل المأمون الإمام (عليه السلام) أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب إليه أصول العقائد و منها الإمامة
و جمعها في كتاب جاء فيه:
«و إنّ الدليل بعده ـ أي: بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ـ و الحجة على المؤمنين و القائم بأمور المسلمين و الناطق عن القرآن و العالم بأحكامه، أخوه و خليفته و وصيّه و وليّه، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أمير المؤمنين، و إمام المتقين، و قائد الغر المحجلين و أفضل الوصيين و وارث علم النبيين والمرسلين.
وبعده الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة».
ثم بين (عليه السلام) في كتابه أسماء الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) وقال (عليه السلام): «و من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وأنّ من دينهم الورع والعفة و الصدق والصلاح و الاستقامة و الاجتهاد و أداء الأمانة إلى البر والفاجر...»[١٥].
٤ ـ خصائص وواجبات إمام المسلمين.
وضّح الإمام (عليه السلام) في لقاءاته و في أجوبته و مناظراته مايتعلق بإمام المسلمين من خصائص وشروط و واجبات و حقوق، لكيّ تطلع الأمّة على المفاهيم السليمة حول الإمام (عليه السلام)، و تقارن بينها و بين المتصدي لمنصب الإمامة في خصوص الجانب التطبيقي و هو الحكم.
و من أقواله (عليه السلام): «إنّ الإمام يحلّل حلال الله و يحرّم حرام الله، و يقيم حدود الله، و يذبّ عن دين الله، و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة»[١٦].
و بيّن (عليه السلام) خصائص الإمام الذي يقوم بدور القدوة و الحجّة و الإشراف على تطبيق أحكام الإسلام، ومنها أن يكون الأفضل في العلم و التقوى و الكفاءة في الإدارة والسياسة.
خامساً: حقن الدماء.
من مكتسبات قبول ولاية العهد من قبل الإمام (عليه السلام) هو حقن دماء المسلمين من أتباع أهل البيت (عليه السلام) ومن أتباع النظام الحاكم، فأعلن المأمون العفو العام عن قادة الثورات، ومنهم: زيد وابراهيم أخوة الإمام (عليه السلام)، ومحمد بن جعفر، وتوقفت الثورات المسلحة، وتوجّه قادتها وكوادرها إلى إصلاح الأوضاع بصورة سلمية هادئة،وبناء قواعدهم الشعبية،والاستفادة من الظروف المتاحة لتطوير الحركة الرسالية، وتبيان الحقائق للمسلمين لكي لايزجهم الحاكم فيما بعد لقمع المعارضين لحكمه من أهل البيت(عليه السلام) أو من غيرهم، وكان لتعيين أُخوة الإمام (عليه السلام)في بعض المناصب الحكومية دور كبير في إرشاد و توجيه المسلمين لاتخاذ الموقف السليم في التعامل فيما بينهم، و التعامل مع الحكومة القائمة و قد جاء قبول الإمام (عليه السلام) لولاية العهد في وقت كان أتباعه في أمسّ الحاجة لقسط من التفرّغ للعمل الرسالي بعيداً عن حمل السلاح الذي يكلّفهم كثيراً من الطاقات و الإمكانيات المادية و البشرية.

١٢ . المصدر ٣: ٦.
١٣ . فاطر: ٣٢.
١٤ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٢٢٨ الى ٢٤٠.
١٥ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ١٢٢.
١٦ . عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٢١٨، وبنحوه في: تحف العقول.

ما حققه الإمام بقبول ولاية العهد
١- اعتراف المأمون بأحقية آهل البيت(عليه السلام)
٢- توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام(عليه السلام)
٣- حرية الإمام (عليه السلام) في المناظرة
٣- نشر مفاهيم و فضائل أهل البيت (عليه السلام)
٤- حقن الدماء

إستشهاد الإمام الرضا (عليه السلام)

بعد تنامي القاعدة الشعبية للإمام (عليه السلام) حتى تأثّر به الوزراء والقواد والفقهاء والمقربون للبلاط، وبعد فشل المأمون في تحقيق ما أراد من تثبيت سلطانه بسبب تمرد العباسيّين عليه ، وبعد فشله في الحط من شأن الإمام أمام الملأ، مضافاً إلى معارضة الإمام (عليه السلام) للمأمون في جملة من مواقفه وممارساته، بعد كل هذا وغيره، أقدم المأمون على قتل الإمام (عليه السلام) بدسّ السمّ إليه كما هو ظاهر أغلب الروايات[١٧].

الخلاصه

١ـوضّح الإمام (عليه السلام) المنهج السياسي للحاكم الإسلامي و دوره في تطبيق أحكام الشريعة و الأسباب التي تؤدي إلى شرعيّة الاستمرار في الحكم في وثيقة العهد التي كتبها (عليه السلام) بخطّه بعد أن اضطر الى قبول ولاية العهد تحت التهديد والضغط.
٢ـ على الرغم من اضطرار الإمام الى القبول بولاية العهد، لكنه أحرز عدّة مكتسبات بقبوله بها و من هذه المكتسبات مايلي:
أ ـ الجو العام الذي حصلت به البيعة الذي ساعد على نشر وايضاح مكانة الإمام الرضا (عليه السلام)وعظيم فضله وعلمه.
ب ـ انتشرت فضائل أهل البيت(عليه السلام) حيث كتب المأمون كتاباً للعباسيين المعترضين على ولاية العهد يوضّح فيه فضائل الإمام علي(عليه السلام) وأهل البيت(عليه السلام) ودورهم في إرساء دعائم الرسالة ونصر الرسّول(صلى الله عليه و آله).
ج ـ الحرية النسبية التي تمتع بها الإمام (عليه السلام) وجماعته الصالحة.
د ـ تمكن الإمام (عليه السلام) من نشر مباديء أهل البيت(عليه السلام) بشكل بعيد عن التقية.
هـ ـ تأكيد الإمام الرضا (عليه السلام) على صفات الإمام ودوره في حفظ الشريعة وإقامة العدل موضّحاً بذلك انحراف الخليفة العباسي.

١٧ . الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥١؛ مرآة الجنان ٢ : ١٢؛ تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٣؛ الثقات لابن حبّان ٨ : ٤٥٧؛ نهاية الإرب ٢٢ : ٢١٠؛ مآثر الإناقة في معالم الخلافة ١ : ٢١١.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 38

عصر الإمام محمد الجواد(ع)

الملامح العامه لعهد الإمام محمد الجواد(ع)

المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من تاريخ علم آخر من أعلام بيت النبوة والحي وهو الإمام الرضا (عليه السلام)، ونبدأ هذا الدرس بتاريخ الإمام من بعده ، وهو الإمام الجواد (عليه السلام)، حيث نتناول الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، بدأ بإطلالة عامة نلقي فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.

المحتوى العلمى

ولادته ، نسبه ، كناه ، ألقابه

ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة .
و أما نسبه : أبا وأما فهو محمد الجواد ابن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
و أما أمه أم ولد يقال لها سبيكة النوبية وقيل : المريسية .
و أما كنيته : فأبو جعفر كنية جده محمد الباقر .
و أما ألقابه : فالجواد و القانع و المرتضى و أشهرها الجواد.[١].

النص على إمامته.

القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا ولده أبو جعفر محمد الجواد للنص عليه والإشارة له بها من أبيه ، كما أخبر بذلك جماعة من الثقات العدول[٢].
فعن صفوان بن يحيى قال : قلت للرضا :
قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر من القائم بعدك فتقول : يهب الله لي غلاما ، و قد وهبه الله لك وقر عيوننا به ، فإن كان كون و لا أرانا الله لك يومك فإلى من ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه وعمره إذ ذاك ثلاث سنين ، فقلت : و هذا ابن ثلاث ! فقال : و ما يضر من ذلك؟ فقد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين.[٣]

العلاقه بين المأمون والإمام الجواد (عليه السلام).

بسبب إدراك المأمون جيداً أن الإمام الجواد (عليه السلام) هو الوارث الحقيقي لأبيه، وهو القائد الشرعي لامّة جدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لذلك تعامل في تخطيطه السياسي معه تعاملا جادّاً بصفة أنّ الإمام (عليه السلام) كان قطباً مهمّاً من أقطاب الساحة السياسية الإسلامية وقتذاك فيما يمثله من قائد مطاع من قبل الطليعة الواعية في الامّة، وما يمتلكه من مكانة واحترام في نفوس قطاعات واسعة من الاُمّة.

وقد أعلن المأمون تصوره هذا أمام العباسيين عندما قالوا له:
«يا أمير المؤمنين! أتزوجُ ابنتك و قرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله؟! ولا يعرف حلاله من حرامه، ولافرضاً من سنة؟! ـ و لأبي جعفر (عليه السلام) إذ ذاك تسع سنين ـ فلو صبرت له حتى يتأدب و يقرأ القرآن و يعرف الحلال من الحرام».
فأجاب المأمون بأنّه لأفقه منكم و أعلم بالله و رسوله و سنته و أحكامه و أقرأ لكتاب الله منكم و أعلم بمحكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و ظاهره و باطنه و خاصّه و عامّه و تنزيله و تأويله منكم.

و لذلك نرى أنّ تعامل المأمون مع الإمام الجواد (عليه السلام) كان مخططا له بعناية وحنكة. و هذا الأمر يفسر البعد الضخم الذي أخذه زواج الجواد(عليه السلام) من بنت المأمون و كيف اهتم القوّاد و الحجّاب و الخاصّة و العمّال به.

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة : ج ٢ - هامش ص ١٠٣٥ – ١٠٣٦.
٢ . راجع مثلا: الكافي : ١ / ٣١٣ ح ١٤ و ١٦ ، و إعلام الورى : ٣١٧ و ٣٢٠ ، وكشف الغمة : ٢ / ٢٧٢ ، وإثبات الهداة : ٥ / ٤٧٤ ح ١٨ ، وحلية الأبرار : ٢ / ٣٧٥ و ٣٨٩ ، و الغيبة للطوسي : ٢٧ ، ٢٤،وغيرها من الكتب.
٣ . **أنظر**: **الكافي** : **١ / ٣٢٠ ح ١٠ ، كفاية الأثر للخزاز** : **٢٧٩ ، إثبات الوصية** : **٨٥ ، ٢١٢ ، الإرشاد للمفيد** : **٢ / ٢٧٦ ، و ٣٥٧ ط آخر ، البحار** : **٥٠ / ٢١ ح ٨ ، و** : **١٤ / ٢٥٦ ح ٥٢ ، و** : **٢٥ / ١٠٢ ح ٤**.

أهداف سياسه حسن التعامل مع الإمام(عليه السلام)

على أساس النقطة السابقة فقد تظاهر المأمون بحبّه وتقديره للإمام الجواد (عليه السلام) مستهدفاً ما يلي:
أ ـ كسب الجماهير المسلمة المحبة لأهل البيت (عليه السلام) .
ب ـ التغطية على جريمة قتله للإمام الرضا (عليه السلام).

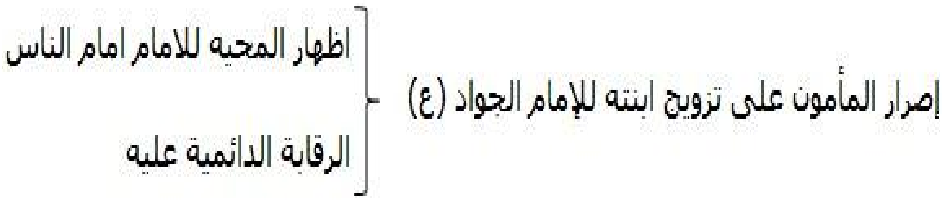
الموقف الحقيقي للمأمون من الإمام الجواد(عليه السلام).

كانت علاقة المأمون بالإمام الجواد (عليه السلام) كعلاقته السابقة مع أبيه الإمام الرضا (عليه السلام)، تستبطن أغراضاً سياسية، ظاهرها جميل وباطنها ماكر مخادع.
لقد كاد المأمون للإمام الجواد (عليه السلام)، ولكنّه لم يستطع تحقيق أغراضه في الانتقاص منه وإسقاطه، فكانت آخر محاولة له مع الجواد هي تزويجه لابنته.
أمّا توجهات قاضي القضاة ابن أكثم في التصدي لإحراج الإمام بالاسئلة الصعبة فما كانت إلاّ بدافع من المأمون.

قال المأمون ليحيى بن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا(عليهما السلام) مسألة تقطعه فيها، فقال: يأبا جعفر ماتقول في رجل نكح امرأة على زنا أيحل أن يتزوجها؟ فقال(عليه السلام): «يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يؤمَن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه. ثم يتزوج بها إن أراد، فإنّما مثلها مثل نخلة أكل رجل منها حراماً ثم اشتراها فأكل منها حلالا. فانقطع يحيى»[٤]. و لكن دهاء المأمون وحنكته السياسية كانا يجعلانه يظهر الفرح عندما يجيب الإمام الجواد (عليه السلام) على المشكلات من المسائل فتظهر توجهات ابن أكثم و كأنّها توجهات فردية. و هذا لون من ألوان السياسة المتّبعة حتى الآن وهي أنّ القائد يظهر الودّ لجهة ما، لكنّه يأمر أتباعه و أذنابه بمحاربة هذه الجهة.

و لم تنطل هذه السياسة على جملة من اتباع الإمام (عليه السلام) الواعين لألاعيب السلطة وسياساتها تجاه أهل البيت(عليه السلام).

الرقابه الصارمة على تحركّات الإمام الجواد(عليه السلام).



إنّ إصرار المأمون على تزويج ابنته للإمام الجواد (عليه السلام) إضافة لما سيحققه هذا الزواج من دعاية في الأوساط العامة للمأمون لما سوف يظهره من كونه محباً لأهل البيت (عليه السلام)، فإنّ ثمة سبباً آخر لانستبعده وهو وضع الجاسوس والرقيب الدائم على الإمام (عليه السلام) في بيته ليحصي عليه سكناته وحركاته ويرفعها إلى الجهة التي زرعته وهكذا كانت أمّ الفضل مع الإمام الجواد (عليه السلام).

موقف العباسيين من الإمام الجواد(عليه السلام)

اتسم موقف العباسيين بالحقد والتعصب والسذاجة. فقد استاؤوا ممّا رأوه من تساهل المأمون مع الإمام (عليه السلام) في الظاهر كثيراً دون إدراك البعد الحقيقي الذي كان يستهدفه المأمون من هذا التقارب والتمازج.
وقد استفاد المأمون من موقفهم العدائي ليظهر وكأنه موال حقيقي لأهل البيت(عليهم السلام).

---

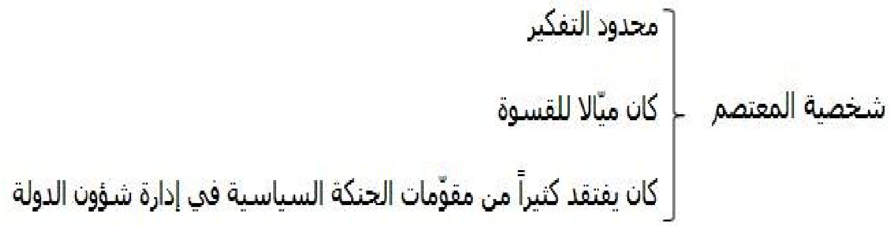
٤ . تحف العقول: ما أثر عن الإمام الجواد (عليه السلام).

موقف الإمام (عليه السلام) من ابن أكثم

لقد تصدى الإمام (عليه السلام) للرد على ابن أكثم ففضحه أمام الناس للأسباب الآتية:
أ ـ إثبات إمامته وعلمه أمام الناس في وقت راحت تشن الجهات المعادية حملة إعلامية شديدة على الإمام بزعمها أنّه(عليه السلام) لايفقه من الدين شيئاً وذلك لصغر سنّه.
ب ـ تفنيده وإفحامه لابن أكثم يعتبر تفنيداً وإفحاماً للنظام الحاكم باعتباره عالمه وقاضي قضاته.
ج ـ تثقيف الناس وكشف الحقيقة بإظهار العلم الصحيح لهم من خلال الإجابه على أسئلته.

حكومه المعتصم.

المعتصم العباسي هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة، كذا *قال الذهبي*.
وكان فاسد الأخلاق له غلام يقال له عجيب وكان مشغوفاً به.



لقد كان المعتصم محدود التفكير ميّالا للقسوة في تعامله مع خصومه السياسيين و غيرهم، وكان يفتقد كثيراً من مقوّمات الحنكة السياسية في إدارة شؤون الدولة، وقد تعرّض حكمه لكثير من الاضطرابات السياسية في أقاليم عديدة من الدولة العباسية، و قد هيمن الجيش على الحكم في عصره بعد أن مال المعتصم إلى أخواله الأتراك وكوّن منهم جيشاً خاصاً به و أغدق عليهم الأموال الطائلة مما أثار حفيظة العسكريين العرب، و كرّس الروح القومية في المجتمع.
و تعتبر سياسة المتعصم هذه أخطر ماواجهته الدولة العباسيّة في مسيرتها، فيما ساءت الأحوال بعد المعتصم، واستشرى خطر العسكريين في الدولة وباشروا الانقلابات العسكرية على الخلفاء الذين حاولوا تقليص سلطاتهم.

المعتصم والإمام محمد الجواد (عليه السلام)

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) على يد المعتصم عبر خطوتين:
<u>لم تكن</u> المدة التي قضاها الإمام الجواد(عليه السلام) في خلافة المعتصم طويلة فهي <u>لم تتجاوز</u> السنتين، كان ختامها استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) على يد هذا الحاكم العبّاسي المنحرف، وذلك عبر خطوتين:
الخطوة الأُولى: استقدام الإمام (عليه السلام) الى بغداد:
لقد خشي المعتصم من بقاء الإمام الجواد (عليه السلام) بعيداً عنه في المدينة، لذلك قرر استدعاءه إلى بغداد، حتى يكون على مقربة منه يحصي عليه أنفاسه ويراقب حركاته، و كان سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة «فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، و توفي بها في ذي القعدة من هذه السنة.»
لقد كان هذا الاستقدام بمثابة الاقامة الجبرية تتبعه عملية أكبر و هي التصفية الجسدية.
الخطوة الثانية: اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام):
كان وجود الإمام الجواد (عليه السلام) يمثل خطراً حقيقياً على النظام الحاكم؛ لما يملكه هذا الوجود من دور فاعل وقيادي للأُمّة، لذلك قررت السلطة أن تتخلص منه مع عدم استبعادها وجود العلاقة بين الإمام القائد و التحركات النهضوية في الأُمّة.
فقد روى المؤرخون *عن زرقان صاحب ابن أبي داود قاضي المعتصم قوله*:
رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قدمت منذ عشرين سنة، قال قلت له: و لم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين، قال: قلت له: و كيف كان ذلك؟ قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، و سأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكرسوع.... .
(للبحث والتحقيق)

يرجى كتابة بحث حول هذه الحادثة وتتمتها وسبب كونها علة قتله عليه السلام. راجع مثلا تفسير العياشي ١ : ٣١٩. وغيره من الكتب لذلك، حيث استدعي من قبل المعتصم وكان الامام الجواد (عليه السلام) يتوقع مقتله بعد هذا الاستدعاء؛ فقد روي عن إسماعيل ابن مهران قوله: لمّا أخرج أبو جعفر(عليه السلام) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الاولى من خرجتيه قلت له عند خروجه: جُعلت فداك، إنّي أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الامر بعدك؟ قال (عليه السلام): «فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً» و قال: «ليس حيث ظننت في هذه السنة»، فلمّا استُدعي به إلى المعتصم صرتُ إليه فقلتُ له: جُعلتُ فداك، أنت خارجٌ، فإلى من هذا الامرُ من بعدك؟ فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم التفتَ اليّ فقال (عليه السلام): «عند هذه يُخاف عليّ، الأمرُ من بعدي إلى ابني علي»[٥].

إحتمال سمّ الإمام بواسطه أُمّ الفضل

و هناك من يذهب الى أن المعتصم قد سمّ الإمام بواسطة أُمّ الفضل؛ إذ لم يجد أفضل من بنت أخيه المأمون للقيام بهذه المهمة، فهي التي تستطيع أن تقتله بصورة أكيدة دون أن تثير ضجة في الأُمّة، مستغلا نقطتين في شخصيتها:

١ ـ كونها تنتمي للخط الحاكم انتماء حقيقياً، فهي بنت المأمون وعمها المعتصم، و ليست بالمستوى الايماني الذي يجعلها تنفك عن انتمائها النسبي هذا، لذلك كانت تخضع لتأثيراته و ما تفرزه من سلبيات ضد الإمام.

٢ ـ غيرتها وحقدها على الإمام بسبب تسريّه وتزوّجه من نساء أُخريات، خصوصاً وأنّها لم تلد للإمام (عليه السلام)، بينما قد ولدت له أمّ الإمام الهادي(عليه السلام).

و لقد كان أمر غيرتها شائعاً بين الناس، ولذلك قال بعض المؤرخين: قد روى الناس أنّ أُم الفضل كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر و تقول: إنّه يتسرّى عليّ ويغيرني، فكتب إليها المأمون يابنيتي، إنّا لم نزوّجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالا، فلا تعاودي لذكر ماذكرتي بعدها[٦].

الاعتداءات الظاهريه على الإمام (عليه السلام)

و لم تخل هذه الفترة من الاعتداءات الظاهرية على الإمام (عليه السلام) من طرف أذناب السلطة، و من ذلك مافعله عمر بن فرج الرفجي الرجل المعادي لأهل البيت (عليه السلام) و العامل عند السلطة العباسية. فقد روى *المؤرخون عن محمد بن سنان قوله*:

دخلت على أبي الحسن (عليه السلام)، فقال: يامحمد! حدث بآل فرج حدث؟ فقلت: مات عمر، فقال: الحمد لله على ذلك. أحصيت أربعاً وعشرين مرة، ثم قال: أو لاتدري ماقال لعنه الله لمحمد بن علي أبي؟ قال: قلت: لا، قال: خاطبه في شيء، فقال: أظنّك سكران، فقال أبي: اللهم إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب وذلّ الأسر، فوالله إن ذهبت الأيام حتى حُرب ماله، و ماكان له، ثم أُخذ أسيراً، فهو ذا مات[٧].

الخلاصه

إن اهتمام المأمون بالإمام الجواد (عليه السلام) يعكس أُموراً أهمّها:

١ ـ إنّ المأمون كان يدرك أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) هو الوارث الحقيقي والامتداد الواقعي لخط الإمامة، وهو القائد الشرعي لأمّة جده (صلى الله عليه و آله).

٢ ـ إن الاحتفاء بالإمام الجواد(عليه السلام) كان يؤدّي إلى اضفاء نوع من الشرعية على حكم المأمون وتأمين جانب من توقعات الجماعة الصالحة المرتبطة بالإمام (عليه السلام) فكرياً وروحياً وعقائدياً.

٣ ـ إمكان تحجيم دور الإمام الجواد (عليه السلام) حيث يكون قريباً من عيون السلطة ويقع تحت رقابتها. ومن هنا نجد إسراع المأمون في استدعاءالإمام الجواد(عليه السلام) وتزويجه من إبنته(أمّ الفضل).

٤ـ مات المأمون (سنة ٢١٨ هـ) ليخلفه المعتصم على عرش الدولة العباسية، والذي كان لايختلف في سياسته عن المأمون فضلا عن اعتماده على الأتراك في قيادة الدولة والجند.

٥ـ لم يشهد الإمام الجواد (عليه السلام) سوى سنتين من حكم المعتصم، حيث تمّ اغتياله بالسمّ على يد عمّال المعتصم.

---

٥ . الارشاد: ٣٦٩.

٦ . كشف الغمة ٢ : ٣٥٨.

٧ . اصول الكافي (كتاب الحجة): ٤١٥.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 39

نشاطات الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

المقدمه

بدأنا في الدرس السابق بالحديث عن تاريخ الإمام الجواد (عليه السلام)، حيث تناولنا بعض الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، فبدأنا بإطلالة عامة ألقينا فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.
و نلتقي بكم اليوم للحديث عن خطوط عامة أخرى من هذا التاريخ.

المحتوى العلمى

الإمام الجواد (عليه السلام) و البناء الفكرى و العلمى للجماعه الصالحه

كان اهتمام الإمام الجواد (عليه السلام) في بناء الجانب العقائدي في شخصية الإنسان المسلم واضحاً للناظر في تراثه فمما يرتبط بالعقيدة في تراثه نلاحظ مايلي:

1ـ الدعوه إلى التوحيد الخالص

التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية. و سلامة تصورات المسلم عن الله تعالى تعدّ الركيزة التي تستند عليها باقي المفردات العقيدية، و من هنا كان الإمام (عليه السلام) يعتني عناية شديدة بإيضاح هذا الأساس و تجليته.
قال داود بن قاسم الجعفري: قلت لأبي جعفر الثاني(عليه السلام): «قل هو الله أحد»، مامعنى «الأحد»؟
قال(عليه السلام): « المجمع عليه بالوحدانية ، أما سمعته يقول : {و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله}»، ثم يقولون بعد ذلك: له شريك و صاحبة».
فقلت: قوله: «لاتدركه الأبصار»[1].
قال(عليه السلام): «يأبا هاشم! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، و لم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لاتدركه، فكيف تدركه الأبصار؟!»
و سئل(عليه السلام): أيجوز أن يقال لله: إنّه شيء؟
فقال(عليه السلام): «نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه»[2].
و غير ذلك من المحاورات و المناظرات في هذا المجال.

2ـ الرد على الشبهات

لقد استغل بعض الناس صغر سنّ الإمام الجواد (عليه السلام) للردّ على عقيدة الإمامة لاهل البيت (عليه السلام) فراحوا يبثّون الدعايات المضادّة حولها.
قال صاحب *الملل و النحل*:
«فاعلم أنّ من الشيعة من قال بإمامة: أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علي الرضا (عليه السلام) و من قال بعلي: شك أولا في محمد بن علي؛ إذ مات أبوه و هو صغير غير مستحق للإمامة و لاعلم عنده بمناهجها و ثبت قوم على إمامته»[3].
و ردّاً على مثل هذه الشبهات فقد تصدى الإمام الجواد (عليه السلام) إلى إثبات إمامته من خلال كثير من المواقف العملية و الفكرية.
قال علي بن أسباط: «رأيت أباجعفر (عليه السلام) و قد خرج عليّ، فأخذت النظر إليه و جعلت أنظر إلى رأسه و رجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد، فقال: ياعليّ! إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، فقال: «و آتيناه الحكم صبياً».
«و لمّا بلغ أشده» «وبلغ أربعين سنة»، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي و يجوز أن يؤتاها و هو ابن أربعين سنة»[4].

---

١ . الاحتجاج ٢ : ٢٣٨.
٢ . كافي الشيعة ١ : ١٦.
٣ . الملل والنحل ١ : ١٦٩.
٤ . الكافي ١ : ٤١٣، كتاب الحجة.

و أجوبته على المسائل الصعبة دليل على إمامته، مضافاً إلى ظهور الكرامات على يديه.

3 ـ التمهيد إلى إمامه الإمام المهدى (عج) و غيبته

قضية الإمام المهدي (عج) من القضايا الأساسية في الثقافة الإسلامية، والمتتبع لآثار الرسول (صلى الله عليه و آله) والائمّة (عليه السلام) من بعده يجد التأكيد عليها واضحاً جداً.
و على هذا المنهج سار الإمام الجواد (عليه السلام)، فطرح قضية الإمام المهدي(عج) للأمّة قاصداً تركيز هذا المفهوم في الأذهان و إعدادها لاستقبال عصر إمامته و ظهوره و من نماذج هذه الدعوة:
ماجاء عن عبد العظيم بن عبد الله الحسن (رضي الله عنه) قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى(عليه السلام): يامولاي! إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد، الذي يملأ الارض قسطاً و عدلا كما ملئت ظلماً و جوراً. فقال(عليه السلام):
«مامنّا إلا قائم بأمر الله، و هاد إلى دين الله. و لكن القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر و الجحود و يملؤها قسطاً و عدلا هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، و يحرم عليه تسميته، و هو سميّ رسول الله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، و يذل له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: (ثلاثمائة وثلاثة عشر)، رجلا من أقاصي الأرض وذلك قول الله عز وجل: {أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير}. فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو (عشرة آلاف) رجل، خرج بإذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل».
قال عبدالعظيم: فقلت له: ياسيدي! و كيف يعلم أن الله تعالى قد رضي؟
قال(عليه السلام): «يلقي في قلبه الرحمة. فإذا دخل المدينة أخرج اللاّت و العزى فأحرقهما»[٥].

4 ـ النص على إمامه الهادى(عليه السلام) ومن يليه

قال الصقر ابن أبي دلف: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول:
«إن الامام بعدي ابني عليّ، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي والإمام بعده ابنه الحسن، أمره امر ابيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه»، ثم سكت. فقلت له: يابن رسول الله! فمن الامام بعد الحسن؟ فبكى(عليه السلام) بكاءً شديداً، ثم قال: «ان من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر» فقلت له: يابن رسول الله! لم سمّي القائم؟ قال: «لانه يقوم بعد موت ذكره وارتداد اكثر القائلين بإمامته». فقلت له: ولم سمّي المنتظر؟ قال(عليه السلام): «لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزيء بذكره الجاحدون، ويكذب بها الوقّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون»[٦].

5 ـ تصحيح المفاهيم الخاطئه

كان للغلو ألوان شتّى، منها الغلو بالصحابة، ونجد في حوار للإمام الجواد(عليه السلام) مع يحيى بن أكثم أمام جماعة كبيرة من الناس أنه قد فنّد فيه التوجهات المغالية بالصحابة:
قال له يحيى بن أكثم: ماتقول يابن رسول الله في الخبر الذي، روي: أنه «نزل جبرئيل(عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال: يامحمد! إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راض فإني عنه راض»؟
فقال أبو جعفر(عليه السلام): «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله) في حجّة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذّابة، وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل و سنتي، فما وافق كتاب الله و سنتي فخذوا به، و ما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به». و ليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: {ولقد خلقنا الاِنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد}، فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى يسأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول».
ثم قال يحيى بن أكثم: و قد روي: «إن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».
فقال (عليه السلام): «و هذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأن جبرئيل و ميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قط، و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة. و هما قد أشركا بالله عزّ وجلّ و إن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر

٥ . الاحتجاج ٢ : ٢٥٠.
٦ . كمال الدين: ٣٨٧.

أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبّههما بهما».
إلى أن قال يحيى: روي أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: «لونزل العذاب لما نجا منه إلا عمر».
فقال(عليه السلام): «وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول: «وما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون». فأخبر سبحانه أنه لايعذب أحداً مادام فيهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وما داموا يستغفرون الله»[٧].
و هكذا طرح الإمام (عليه السلام) منهج أهل البيت (عليه السلام) في مرجعية *القرآن الكريم* وكيفية الاستضاءة به للرد على التحريف الذي خيمّ على الحديث النبوي والتاريخ الاسلامي خلال عصور الخلفاء والحكّام الامويين والعباسيين.

مدرسه الامام محمد الجواد (عليه السلام).

لقد كان عُمر الإمام الجواد(عليه السلام) منذ ولادته و حتى استشهاده لايتجاوز العقدين و نصف العقد و هو أقل من متوسط عمر سائر الائمة (عليه السلام) الذين سبقوه حين استلامهم للقيادة و تصدّيهم لمنصب الإمامة.
و قد قضى مايقل عن العقد الواحد في ظل أبيه الرضا(عليه السلام) و كانت مدة مباشرته لمهام الإمامة ثماني عشرة سنة و إذا لاحظنا الظروف الخاصة التي اكتنفت حياته من حيث الرقابة المشددّة على نشاطه و لا سيما فيما يرتبط بعلاقاته مع شيعته و أتباعه في عهد المأمون الذي شغل خمسة عشر عاماً من عمر الإمام الجواد(عليه السلام)،

ولاحظنا أيضاً حجم التراث الذي وصلنا عنه(عليه السلام) وحجم الرواة عنه ـ البالغين ٢٧٦ راوياً وراوية[٨]؛ لعرفنا مستوى نشاط مدرسة الإمام الجواد(عليه السلام) العلمية ومدى نجاحه في المهمّة التعليمية والبناء التثقيفي للجماعة الصالحة في عهده القصير جداً فيما إذا قورن إلى عهود غيره من الائـمّة السابقين عليه.

الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وتبلور نظام الوكلاء.
إنّ نظام الوكلاء الذي يعتمد الوعي والاخلاص من أتباع الأئمة وأصحابهم كان من الطبيعي أن يبدأ تأسيسه منذ عهد أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وبدأت تظهر آثاره وتتضح معالمه ورموزه بشكل واضح في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) حيث أخذ التشيع بالانتشار وبدأت الشيعة تشعر بضرورة الارتباط الدائم بالإمام المعصوم(عليه السلام) عبر أصحابه و تلامذته.
و كلما كانت الرقابة تشتد ضد الائمة (عليه السلام) و نشاطهم كلما كانت الحاجة تشتد إلى ازدياد عدد الوكلاء، و اتساع مجال تحركهم و نشاطهم.
من هنا كان الخط البياني لهذا النظام تصاعديّاً خلال عهود الائمة الثلاثة: *الكاظم والرضا و الجواد*(عليه السلام).
و بعد الرقابة المشدّدة التي أُعملت في داخل بيت الإمام الجواد (عليه السلام) من خلال ابنة الخليفة العباسي التي كانت تحصي على الإمام (عليه السلام) أنفاسه بداية عهد جديد لتوسيع رقعة هذا النظام (نظام الوكالة) و تعميقه في داخل المجتمع الإسلامي و الخط الشيعي باعتبار الحاجات المستجدة للجماعة الصالحة التي سوف تحرم بالتدريج من الارتباط المستمر بالإمام المعصوم من جهة، و ضرورة استقلال الكيان الشيعي والحفاظ على قدرته للصمود أمام التيارات المنحرفة في المجتمع الإسلامي و قدرته على الاستمرار في ايجاد التغيير الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي من جهة أخرى.
و سوف نلاحظ تلك المستجدات في عهود الائمة اللاحقين و هم *الهادي و العسكري و المهدي*(عليه السلام).
و هكذا تبلورت ظاهرة الوكالة في عهد الإمام الجواد (عليه السلام)، واعتبرت بداية عصر جديد للجماعة الصالحة من حيث ضرورة تدريبها وتعويدها على الاستقرار والاستقلال في أيّامها المقبلة حين تنقطع عن الإمام المعصوم وتضطرها الظروف السياسية القائمة لقطع العلاقة المباشرة وغير المباشرة بالإمام إذ يضطر الإمام (عليه السلام) إلى الغيبة عن الأنظار ويكون ارتباطه من جهة واحدة و يكتفي بالتوجيه و الارشاد دون أن يعرفه الناس بشخصه وكان الائـمّة(عليهم السلام) منذ عهد الإمام علي(عليه السلام) يمهدّون الأمر لهذه الظروف العصيبة التي كانوا يخبرون شيعتهم بها ويتنّبأون بها استعداداً بعصر الغيبة.

٧ . الاحتجاج ٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٩.
٨ . راجع الامام الجواد(عليه السلام) من المهد الى اللحد: ٩٥ ـ ٢٧٦.

الإمام محمد الجواد(عليه السلام) والتربيه الاجتماعيه.

إنّ توثيق أواصر الكيان الاجتماعي لأتباع أهل البيت ضرورة فعلية ومستقبلية تعينهم على الصمود أمام التحديات التي كانت تزداد أمامهم يوماً بعد يوم.
من هنا نلاحظ توجّهاً خاصّاً للإمام الجواد (عليه السلام) نحو هذا المجال. قال(عليه السلام):
١ ـ إنّ لله عباداً يخصّهم بالنعم ويقرّها فيهم مابذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها الى غيرهم.
٢ ـ ماعظمت نعمة الله على عبده إلاّ عظمت عليه مؤونة الناس فمن لم يحتمل المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال.
٣ ـ أهل المعروف الى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأنّ لهم أجره وفخره وذِكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنّما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ ـ شكر ماصنع إلى نفسه ـ من غيره. وغير ذلك من النصوص.

الامام محمد الجواد(عليه السلام) والتربيه الروحيه.

لقد اعتنى أئمة أهل البيت(عليه السلام) ببناء الانسان داخلياً قبل أي بناء،
واهتموا ببناء الروح أشد الاهتما؛م لأن الانسان المتعالي بروحه هو الذي يستطيع أن يتسلّق سلّم الكمال ويسمو بقوّة الروح على المصائب والمشاكل ولايهتز مهما قويت الأعاصير.

اهتمام الامام بالتربية الروحيه و ذلک من خلال:
- التوبة
- الاستغفار
- التوجه إلى الله تعالى
- الدعاء بنصوص صادرة عن المعصومين(ع)

فالتوبة والاستغفار والتوجه إلى الله تعالى في كل صغير وكبير من الأُمور، والدعاء بنصوص صادرة عن المعصومين هي من أولى خطوط التربية النفسية والروحية في مدرسة أهل البيت(عليه السلام).
و قد أُثرت عن الإمام الجواد (عليه السلام) مجموعة من الأدعية عُرفت بالمناجاة أو *الوسائل الى المسائل* وقد جعلها الإمام (عليه السلام) مهراً لزوجته حينما زوّجه المأمون ابنته فكتب(عليه السلام)للمأمون: «إنّ لكل زوجة صداقاً من مال زوجها وقد جعل الله أموالنا في الآخرة مؤجّلة مذخورة هناك كما جعل أموالكم معجلة في الدنيا..و قد أمهرتك ابنتك (*الوسائل الى المسائل*) وهي مناجاة رفعها إليّ أبي...ثم عرّفها: بأنها كنوز الدنيا والآخرة، وقال: فلاتؤثرها في حوائج الدنيا فتبخسن بها الحظّ من آخرتك...»[9]

الخلاصه

١ـ كانت مسيرة الإمام الجواد (عليه السلام) اكمالا و اتماماً لمسيرة، آبائه(عليه السلام) و إن اختلفت الوسائل والخطط في مواجة التحديات التي تحتمها الظروف التي يعيشها الإمام (عليه السلام)، فإن تحركه (عليه السلام) يتحدد بنفس هدفهم و غايتهم من التحرك في حفظ الرسالة و الحيلولة دون انحراف الامة و بناء الجماعة الصالحة المرتبطة بخط الإمامة فكرياً وروحياً.
٢ـ لهذا نجد أن مواقف الإمام (عليه السلام) كانت تنصب في جملة من القضايا و الامور المهمه التي تتلخص في:
أ ـ موقف الإمام (عليه السلام) تجاه البناء الفكري والعقائدي.
ب ـ الموقف ضد الغلو و المغالين في أهل البيت (عليهم السلام) و الصحابة.
ج ـ التركيز على البناء التربوي للجماعة الصالحة.
د ـ رد الشبهات التي كانت تثار من قبل المعاندين وناصبي العداء لأهل البيت(عليهم السلام)ووعاظ السلاطين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة.
هـ ـ أكّد على غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وأنه آخر الائمّة(عليهم السلام) وأنه سيظهر ويملأ الأرض عدلا وقسطاً.
٣ـ طور الإمام (عليه السلام) نظام الوكلاء; لأنّ المرحلة تقتضي ذلك.

---

٩ . راجع مهج الدعوات: ٢٥٨ ـ ٢٦٥.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 40

الإمام على الهادى (عليه السلام)

و ملامح عصره

المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من تاريخ علم آخر من أعلام بيت النبوة و الحي و هو الإمام الجواد (عليه السلام)، ونبدأ هذا الدرس بتاريخ الإمام من بعده، و هو الإمام الهادي (عليه السلام)، حيث نتناول الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، بدأ بإطلالة عامة نلقي فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.

المحتوى العلمى

ولادته، نسبه، كناه، ألقابه

ولد أبو الحسن علي العسكري في رجب سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة .
وأما نسبه أبا وأما، فهو علي الهادي ابن محمد الجواد ابن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).
و أما أمه فأم ولد يقال لها سمانة المغربية ، وقيل غير ذلك.
و أما كنيته، فأبو الحسن لاغير.

ألقابه:
- الهادي
- المتوكل
- الناصح
- المتقي
- المرتضى
- الفقيه
- الأمين
- الطيب

و أما ألقابه : فالهادي و المتوكل و الناصح و المتقي و المرتضى و الفقيه و الأمين و الطيب و أشهرها الهادي و المتوكل و كان يأمر أصحابه أن يعرضوا عن تلقيبه بالمتوكل لكونه يومئذ لقبا للخليفة جعفر المتوكل ابن المعتصم.[1]

النص على إمامه على بن محمد الهادى(عليه السلام).

تصدى الإمام لمنصب الإمامة الكبرى في ذي الحجة من سنة (٢٢٠ هـ) حيث استشهد والده الجواد (عليه السلام) بأمر من المعتصم العباسي بعد أن نصّ على إمامة ابنه الهادي(عليه السلام)[2] وأتّم الحجّة على شيعته، وبهذا يكون عمره الشريف حين تصدّيه لإمامة المسلمين الربّانيّة ما لايزيد على ثمان سنوات، كما تصدّى من قبل أبوه الجواد(عليه السلام) لهذا المنصب الإلهي الخطير وهو في عمر لايزيد على الثمان سنوات أيضاً.

إذن فإمامة الهادي (عليه السلام) هي المصداق الثاني للإمامة المبكّرة التي ظهرت في مدرسة أهل البيت(عليه السلام)، و على هذا فمن الطبيعي أن يكون خضوع علماء الطائفة و وجهائها لإمامته على أساس النص المعتبر أو الإحساس المباشر بقابليات الإمام(عليه السلام)و قدراته الربّانية التي تعتقد

---
١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢: ١٠٦٣ – ١٠٦٤.
٢ . راجع في ذلك:الكافي ١: ٣٢٣ ومابعدها; كفاية الأثر : ٢٧٩ وما بعدها، وبحارالأنوار ٥٠ : ١٢٣.

الطائفة لزوم توفّرها في الإمام المعصوم

لأنّ الإمامة الربّانية هي إمامة العقول والقلوب والدين فلابد للإمام المعصوم من أن يكون كفوءً لهذا المنصب ولايضرّه الصغر في السنّ لأن علمه ليس مستمداً من التجارب أو الاكتساب العادي.

وعاصر بعد استشهاد أبيه خلال أربع وثلاثين سنة ـ وهي سنيّ إمامته ـ ستة من الحكام العباسيين، وهم :المعتصم، الواثق.المتوكل. المستنصر. المستعين. المعتز.
و استشهد في عهد المعتز العباسي في سنة (٢٥٤ هـ) .

ملامح عصر الإمام الهادى(عليه السلام).

الحاله السياسيه (إنتشار الفوضى وفقدان الأمن):

اتّسم عصر الإمام الهادي (عليه السلام) بانتشار الفوضى وفقدان الأمن، لأنّ السلطة العباسية كانت قد فقدت هيمنتها وقدرتها التي كانت تتمتع بها أيام الرشيد والمأمون.

الأسباب:

و يعود ذلك إلى عدة أسباب منها: تسلّط الأتراك على زمام الحكم حتى لم يعد للخليفة أي نفوذ وسلطان، إذ كانوا هم الذين يولّون من شاءوا ويعزلون من أرادوا من الخلفاء فضلا عن الوزراء وسائر أعمال الدولة[٣].
و كان الولاة يشترون وظائفهم من الوزراء، وجهد أغلبهم على ظلم الناس والاستبداد عليهم وزجّوا الأبرياء في ظلمات السجون.
وتعرّض العلويون ـ ولاسيما في أيّام المتوكل ـ إلى الاعتقال و الاضطهاد لالذنب سوى مطالبتهم بحقوق الأمّة المهدورة وتوارى جمع من كبار العلويين وفضلائهم و هربوا إلى الأرياف متنكرين خوفاً من السلطة العباسية الغاشمة.
و أقدم المتوكّل على هدم قبر الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)؛ إذ كان يتحرّق غيظاً ممّا يسمعه من تهافت الناس على زيارة هذا القبر الشريف. كما هدم كل بناء حول القبر وكرب ماحوله و أجرى الماء عليه إلاّ أنّ الماء قد دار حول القبر و لم يصل إليه و من ثم سمي بالحائر، و قد خرجت من القبر الشريف رائحة طيّبة لم يشم الناس عطراً مثلها[٤].
و منع المتوكل رسمياً المسلمين من زيارة قبر ريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله و سلم) وسيد شباب أهل الجنة إذ أقام المراصد وبثّ العيون لملاحقة الزائرين وإنزال أقسى العقوبة بهم متمثلةً في القتل و الصلب وقطع الأيدي. لكن المسلمين كانوا يزدحمون على زيارة هذا القبر الشريف رغم كل هذا الاضطهاد والتنكيل حتى ثار أهل السواد واضطّر للكفّ عن هذا الحظر[٥].

الحياه الاقتصاديه (الفوضى)

إنّ الفوضى السياسية التي أُشير إليها كانت ترافقها فوضى اقتصادية تتمثل في السلب والنهب وعدم التوزيع الصحيح للثروة فضلا عن احتكار الأموال الطائلة في خزّانات المتنفذّين وانتشار البؤس والفقر بين الأكثرية الساحقة من أبناء الأمّة إلى جانب البذخ والإسراف الذي كان يطغي على سلوك الخلفاء، فكانت هباتهم للمغنّين وجواري القصور واللاهين والشعراء الذين كانوا ينتقصون أهل البيت(عليه السلام)،هذا فضلا عن الاحتفالات والدعوات التي كانت تقام لأدنى مناسبة ويتفنّن فيها بمالا يخطر على فكر بشر من أنواع البذخ والإسراف[٦].

الحاله الدينيه

لقد أثارت القوى الحاقدة على الإسلام ـ في العصر الذي لاحظنا عليه الاضطراب السياسي والانهيار الاقتصادي ـ شكوكاً كثيرة حول العقيدة الإسلامية بشكل عام. كما اندسّت زمرة خبيثة من الملاحدة في صفوف الشيعة المعارضين للحكم القائم...لتشويه معالم الخط المعارض الذي ينتسب أصحابه إلى آل الرسول (ص) من العلويين وأتباعهم المؤمنين بخط أهل البيت (عليه السلام).

---

٣ . راجع تأريخ اليعقوبي: عهد المعتصم والمعتمد والمعتز.
٤ . مقاتل الطالبيين: ٦٥٨ و ٥٩٨ وأخبار الدول: ٣٥٩.
٥ . حياة الامام علي الهادي: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
٦ . المصدر: ٣٠٥ ـ ٣٠٨.

وتمثّلت هذه البدع بالغلّو بأهل البيت (عليه السلام) من جانب والتهتك بترك الفرائض والسنن وإسقاطها والتشجيع لاقتراف المآثم من جانب آخر.
كما أُشيع القول بالتناسخ إلى جانب إنكار ضروريات الشريعة الإسلامية، كما حاول البعض تأويل الفرائض وتفسيرها بتفسيرات بعيدة عن منهج الإسلام وخطّه الواضح المبين.

المعتصم و الإمام الهادى (عليه السلام).

بعد اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) بأمر المعتصم، عهد المعتصم إلى عمر بن الفرج أن يشخص إلى المدينة ليختار معلّماً لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) البالغ من العمر آنذاك ثمان سنين على أكبر تقدير، وقد عهد إليه أن يكون المعلّم معروفاً بالنّصب والانحراف عن أهل البيت (عليه السلام) ليغذّيه ببغضهم، ولما انتهى عمر إلى المدينة التقى بالوالي وعرّفه بمهمّته، فأُرشِدَ إلى الجنيدي، وكان شديد البغض للعلويين، فأرسل خلفه وعرّفه بالأمر فاستجاب له، وعيّن له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتّصال به، وباشر الجنيدي مهمته إلاّ أنّه قد ذهل لما كان يراه من الإمام (عليه السلام) حتى قال:
«إنّي والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظنّ أنّي قد بالغت، ثمّ إنّه يملي عليّ أبواباً أستفيده منه، فيظنّ الناس أنّي أعلّمه، وأنا والله أتعلم منه».
و قال أيضاً: «والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل مَن برأه الله تعالى، وأنّه لربّما همَّ بدخول الحجرة فأقول له: حتى تقرأ سورة، فيقول أيّ سورة تريد أن أقرأها؟ فاذكر له السور الطوال فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحّ منها، وكان يقرؤها بصوت أطيب من مزامير داود، إنّه حافظ القرآن من أوّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله. وأضاف قائلا: هذا الصبّي صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود فمن أين عَلِمَ هذا العلم الكبير ياسبحان الله؟!»
ثمّ نزع عن نفسه النّصب لأهل البيت (عليه السلام)، ودان بالولاء لهم واعتقد بالإمامة[٧].
٢ ـ الإمام الهادي(عليه السلام) في عهد الواثق العبّاسي.

كان الواثق كأسلافه الحاكمين في إسرافه في اللّهو والمفاسد، وقد قيل عنه:
كان وافر الأدب مليح الشّعر، وكان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً يجيد ضرب العود، وكان راويةً للأشعار والأخبار[٨]. محبّاً للغلمان.

إخبار الإمام (عليه السلام) بموت الواثق.

كان الإمام الهادي (عليه السلام) يتابع التطورات السياسية ويرصد الأحداث بدقّة. فعن خيران الخادم قال: قدمت على أبي الحسن(عليه السلام) المدينة بعد حديث مع الإمام (عليه السلام) فقال لي:
«ياخيران! مات الواثق، وقد قعد المتوكّل جعفر وقد قتل ابن الزيات» فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: «بعد خروجك بستة أيام»[٩].
وهذه الرواية دون شكّ تظهر لنا حدّة الصراع والتنافس على السلطة داخل الأُسرة العبّاسية الحاكمة.

الخلاصه

١ـ إنّ الحقبة الزمنية الممتدّة من سنة (٢٢٠ ـ ٢٥٤ هـ) تمثّل عصر إمامة الإمام الهادي(عليه السلام) حيث تولّى قيادة الجماعة الصالحة بعد استشهاد والده(عليه السلام)، فقد مارس دوره في بناء الجماعة الصالحة وحفظ الرسالة، وتخلّلت هذه الحقبة أحداث كثيرة، وفيها كان منعطف الدّولة الكبيرَ بعد قوّتها ومنعتها إذ دبَّ إليها الضّعف والوهن حيث استولى الأتراك على مقاليد الدّولة وقيادة الجيش.
٢ـ عاصر الإمام (عليه السلام) عدداً من خلفاء العصر العبّاسي الثّاني، وكانت له (عليه السلام) مواقف إزاء الأحداث والقضايا التي أكتنفت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي.
٣ـ تدهور الوضع الاقتصادي للمجتمع الإسلامي خلال هذه الفترة، وإن شهد تقدماً ثقافياً ملحوظاً وأدبياً أيضاً.
٤ـ كان الإمام الهادي(عليه السلام) في أوائل هذا العصر يحيا في المدينة المنوّرة، غير أنّ المتوكل أشخصه إلى سامراء ليكون تحت رقابة الدّولة من أجل إبعاده عن قواعده وتحديد دوره وتقليص تأثيره في الأمّة.
٥ـ حاول المعتصم أن يحتوي تحرّك الإمام (عليه السلام) من خلال تكليف من يقوم بتعليمه، وليحط من مقام الإمام (عليه السلام) ولكنّه باء بالفشل.
٦ـ كان الواثق كأسلافه الحاكمين في إسرافه في اللّهو والمفاسد، وقد أخبر الإمام بقتله حين قتل.

٧ . مآثر الكبراء في تاريخ سامراء:٣ : ٩٥ ـ ٩١ راجع حياة الإمام الهادي (ع) للشيخ باقر شريف القرشي: ٤:٣٦.
٨ . تاريخ الخلفاء، للسيوطي : ٣٤٣.
٩ . أصول الكافي ١ : ٣٨١.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 41

الإمام الهادى (عليه السلام) و ملامح عصره

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق الخطوط العامة في تاريخ الإمام الهادي عليه السلام، حيث شرعنا بإطلالة عامة ألقينا فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.
وهذا ما نريد أن نواصله في هذا الدرس أيضا.

المحتوى العلمى

المتوكّل العبّاسى والإمام الهادى(عليه السلام)

لقد عُرف المتوكّل ببغضه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بشكل خاص ولآل البيت (عليه السلام) بشكل عام، وكان شديداً على الشيعة،

فعمد إلى هدم قبر الإمام أبي عبدالله الحسين بن علي (عليه السلام) ومنع الشيعة من زيارته وأخذ يعاقبهم عليها ويضطهدم لِذلك.

إشخاص الإمام الهادى(عليه السلام) إلى سامراء

وقد أشخص المتوكل الإمام الهادي إلى محل حكومته في سامراء.

أسباب الإشخاص:

و يمكن أن نذكر النقاط التالية كأسباب لذلك:
١ ـ قوّة تأثير الإمام الهادي (عليه السلام) و انشداد النّاس إليه و تعلّقهم به; لكثرة إحسانه إليهم.
٢ ـ خشية السلطة العباسية من تعاظم أمر الإمام (عليه السلام) لسهولة اتّصال الجماعة الصّالحة به، فكان في إشخاصه إلى سامرّاء إبعاداً له عنهم، فضلا عن وضعه تحت المراقبة الشديدة وتحديد حركته وارتباطاته أو كشفها لإبادتها.
٣ ـ عزل الإمام (عليه السلام) عن شيعته ومحبّيه، فسامرّاء مدينة أسّسها العباسيّون أنفسهم وكانت تسكنها غالبية تركية (قوّاد وجنود) ـ ولم يكونوا ليعبأوا بالدّين وقِيَمِهِ بقدر اهتمامهم بالسيطرة وإحكام السلطة.
إن من أسباب إشخاص الإمام (عليه السلام) إلى سامرّاء ـ كما تفيده بعض المصادر التاريخية ـ وشاية بعض عمّال السلطة العباسية الذين كانوا يرون الإمام (عليه السلام) منافساً لهم.
و ممّا يؤكّد ما ذكرنا من الأسباب هو ما كتبه بريحة العبّاسي ـ صاحب الصلاة بالحرمين ـ إلى المتوكّل: إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج عليّ بن محمد منهما فإنّه قد دعا إلى نفسه واتّبعه خلق كثير، و تابع بريحة الكتب في هذا المعنى فوجه المتوكّل يحيى بن هرثمة وكتب معه إلى أبي الحسن(عليه السلام) كتاباً جميلا يعرّفه أنّه قد اشتاقه ويسأله القدوم عليه كما في الرسالة التي ذكرناها[١].

كبس دار الإمام الهادى(عليه السلام) فى سامّراء و استدعائه

لم تحقّق وسائل السلطة في التضييق على الإمام ومراقبته شيئاً من أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكّد صحّة الوشايات بالإمام (عليه السلام)، فكثيراً ماسعى بعض المتزلّفين للخليفة بالإمام (عليه السلام) أو غروا صدره ضدّ الإمام (عليه السلام)، و أخبروا الخليفة كذباً بأنّ لديه السلاح وتجبى إليه الأموال من الأقاليم، ممّا أدّى بالخليفة إلى إرسال بعض أمراء جنده إلى دار الإمام (عليه السلام) و تفتيشها ثمّ استدعاء الإمام (عليه السلام) إلى البلاط.

اعتقال الإمام الهادى(عليه السلام) فى سامرّاء

و أمر الطّاغية المتوكّل باعتقال الإمام وزجّه في السجن، فبقي فيه أياماً ثمّ أطلق سراحه.

---

١ . إثبات الوصية، للمسعودي : ١٩٦ ـ ١٩٧.

المتوكل و محاوله اغتيال الإمام الهادى(عليه السلام)

و قد دبّرت السلطة الحاكمة آنذاك مؤامرة لقتل الإمام الهادي (عليه السلام) ولكنّها لم تنجح، فقد حدّث أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب عن أبيه، قال: كنّا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكّل على سريره فسلّم المنتصر ووقف ووقفت خلفه، و كان إذا دخل رحّب به وأجلسه، فأطال القيام وجعل يرفع رجلا ويضع أخرى وهو لايأذن له في القعود، ورأيت وجهه يتغيّر ساعة بعدساعة ويقول للفتح بن خاقان: هذا الذي يقول فيه ماتقول؟ يردّ عليه القول والفتح يسكته ويقول: هو مكذوب عليه. وهو يتلظى ويستشيط ويقول:

«والله لاقتلنّ هذا المرائي الزّنديق، و هو يدّعي الكذب ويطعن في دولتي» ، ثمّ طلب أربعة من الخزر أجلافاً و دفع إليهم أسيافاً. و أمرهم أن يقتلوا أبا الحسن(عليه السلام) إذا دخل، و قال: والله لأحرقنّه بعد قتله. و أنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر، فدخل أبو الحسن و شفتاه تتحركان و هو غير مكترث و لاجازع، فلما رآه المتوكّل رمى بنفسه عن السرير إليه، و أنكبّ عليه يقبّل بين عينيه و يديه، و احتمل شقّه بيده و هو يقول:

ياسيّدي! يابن رسول الله! ياخير خلق الله! يابن عمّي! يامولاي يا أبا الحسن!

و أبو الحسن(عليه السلام) يقول: «أعيذك يا أمير المؤمنين! من هذا». فقال: ماجاء بك ياسيّدي في هذا الوقت؟ قال: «جاءني رسولك» قال: كذب ابن الفاعلة.

إرجع ياسيّدي! يافتح! ياعبيد الله! يامنتصر! شيّعوا سيّدكم وسيّدي، فلما بصر به الخزر خرّوا سجّداً، فدعاهم المتوكّل و قال: لِمَ لم تفعلوا ما أمرتكم به؟

قالوا: «شدّة هيبته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأمّلهم، و امتلأت قلوبنا من ذلك رُعباً، فقال: يافتح هذا صاحبك» و ضحك في وجهه.

و قال: الحمد لله الذي بيّض وجهه و أنار حجّته.

هلاك المتوكل إثر دعاء الإمام (عليه السلام)

و استجاب الله دعاء وليّه الإمام الهادي (عليه السلام) فقصم ظهر عدّوه، و انتقم منه كأشدّ مايكون الانتقام، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيام حتّى أودى الله بحياته وجعله أثراً بعد حين.

و تمّ ذلك باتّفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعة من الأتراك،

حيث هجم الأتراك على المتوكّل ليلة الأربعاء المصادف لأربع خلون من شوال (٢٤٧ هـ) يتقدّمهم باغر التركي، و قد شهروا سيوفهم، و كان المتوكّل ثملا سكراناً، و ذعر الفتح ابن خاقان فصاح بهم: «ويلكم، أمير المؤمنين».

فلم يعتنوا به، ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له، إلاّ أنّه لم يغن عن نفسه و لا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقطّعوهما إرباً إرباً، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر ـ كما يقول بعض المورّخين ـ ودفنا معاً.

و بذلك انطوت أيام المتوكّل الذي كان من أعدى الناس لأهل البيت (عليه السلام).

و خرج الأتراك، و كان المنتصر بانتظارهم، فسلّموا عليه بالخلافة، و أشاع المنتصر أنّ الفتح بن خاقان قد قتل أباه و أنّه أخذ بثأره فقتله، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الأسرة العباسية وسائر قطعات الجيش.

و قد استقبل العلويون وشيعتهم النّبأ بهلاك المتوكّل بمزيد من الابتهاج والأفراح فقد هلك الطاغية الذي صيّر حياتهم إلى مآسي لاتطاق[٢].

٤ ـ المنتصر و العلويين

من الأمور المعروفة عند حدوث الانقلابات السياسية هي إحسان السلطة الجديدة للقوى المظلومة في العهد السابق، و هكذا كان المنتصر مع العلويّين المظلومين في عهد أبيه، فعطف المنتصر عليهم و وجّه بمال فرّقه عليهم و كان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله و مضادّة مذهبه طعناً عليه و نصرة لفعله[٣].

فقدكان محسناً إلى العلويّين ومواليا لهم،أزال عن آل أبي طالب (عليه السلام) ماكانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من قبل المتوكّل من زيارة قبر الحسين(عليه السلام) و ردّ على آل الحسين (عليه السلام)فدكاً.

موت المنتصر

و لمّا ولي المنتصر صار يسبّ الأتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء، فعملوا عليه و همّوا به فعجزوا عنه لأنّه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرّزاً، فتحيّلوا إلى أنْ دسّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه

٢ . الكامل في التاريخ ١٠ : ٣٤٩.
٣ . مقاتل الطّالبيّين : ٣٩٦.

فأشار بفصده، ثمّ فصده بريشة مسمومة فمات، و قيل: بل سُمّ في كمّثراة، وقيل: مات بالخوانيق»[٤]، ثمّ بويع للمستعين بالخلافة.

٥ ـ الإمام (عليه السلام) في عهد المستعين

الوضع العامّ: و كان المستعين ضعيفاً أمام الأتراك، و لكنّه أراد أن يتخلّص من هذه الحالة، فقتل كبارهم، فتنكّر له الأتراك لمّا قتل وصيفاً وبغا و نفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكّل، و لم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر .

و لما تنكّر له الأتراك خاف وانحدر من سامراء إلى بغداد[٥] فخلعه الأتراك و بايعوا أخاه المعتزّ بدلا عنه، وتبعوه حتى قتلوه.

و قد حصل الكثير من الثورات في عصره في أماكن عدة.

عزل المستعين و قتله

خلع المستعين في أوّل سنة (٢٥٢ هـ) و أُشهد عليه القضاة وغيرهم، ثمّ بويع للمعتز بالخلافة، و أرسَلَ المعتزّ إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله، فقال:

والله لاأقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة نفسها، و له إحدى و ثلاثون سنة»[٦].

٦ ـ عهد المعتزّ

الوضع العام: كان المعتزّ مستضعفاً من قبل الأتراك و ألعوبة بأيديهم، و أوّل سنة تولّى الحكم فيها مات أشناس الذي كان الواثق قد استخلفه على السلطة، و خلّف خمسمائة ألف دينار، فأخذها المعتزّ و خلع خلعة الملك على محمد بن عبدالله بن ظاهر، و قلّده سيفين، ثمّ عزله و خلع خلعة الملك على أخيه ـ يعني أخا المعتز أبا أحمد ـ و توّجه بتاج من ذهب و قلنسوة مجوهرة، و وشاحين مجوهرين و قلّده سيفين، ثمّ عزله من عامه ونفاه إلى واسط، وخلع على بغا الشرابي و ألبسه تاج الملك فخرج على المعتزّ بعد سنة فقتل وجيء إليه برأسه.

اضطهاد الشيعه:

و ذكر المؤرّخون موقف المعتزّ الاستبدادي ضد آل محمد (صلى الله عليه و آله) و اضطهادهم و اضطهاد شيعتهم[٧].

الخلاصه

١ـ كان المتوكّل معروفاً ببغضه لأمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت (عليه السلام)، و كان شديداً على القواعد الشيعية الموالية لأهل البيت (عليه السلام)، لذا عمد إلى إشخاص الإمام (عليه السلام)من المدينة إلى سامراء وصحب ذلك اضطراب شديد في المدينة حزناً وألماً لذهاب الإمام (عليه السلام) إلى سامراء.

٢ـ يمكن أن يضاف إلى عامل حقد المتوكّل على الإمام (عليه السلام) والشيعة عوامل اخرى دفعت المتوكّل إلى إبعاده عن المدينة هي:

أ ـ تأثير الإمام (عليه السلام) في أهل المدينة وانشدادهم إليه.

ب ـ خشية السلطة من تعاظم أمر الإمام (عليه السلام).

ج ـ اتّخاذ الإمام (عليه السلام) من المسجد النبوي مقراً لبثّ علوم أهل البيت(عليه السلام).

د ـ محاولة إبعاد وعزل الإمام (عليه السلام) عن الجماعة الصالحة .

٣ـ لم يترك المتوكّل الإمام (عليه السلام) وشأنه حيث حلّ في سامراء، بل ذهب إلى مضايقته وتحديد تحركه بل عمد المتوكّل إلى سجن الإمام (عليه السلام) ومن ثمّ عمل على اغتياله (عليه السلام) ولكن باءت محاولته بالفشل.

٤ـ تولى المنتصر الخلافة بعد هلاك المتوكّل، وحصل شيء من تحوّل في سياسة الدولة تجاه الإمام (عليه السلام) وشيعته والعلويين حيث بدأت تتحسّن معاملة السلطة لهم، صاحب ذلك تدهور الحالة العامّة والأوضاع السياسية حيث استشرى أمر الترك وعتوا كثيراً، لما حصل بينهم وبين الحكّام العباسيّين من جفوة وتناحر حتى آل الأمر إلى أن يعجّل الأتراك في القضاء على الخليفة والإتيان بغيره.

٥ـ ثم جاء المستعين وكان ضعيفاً أمام الأتراك وقد قتل منهم جماعة. ولكنهم قتلوه وبايعوا المعتزّ مكانه وكان المعتز شديداً قاسياً مع أهل البيت (عليه السلام) وشيعتهم وعُرف بالاستبداد والظلم.

---

٤ . تاريخ الخلفاء : ٣٥٧.

٥ . المصدر : ٣٥٨.

٦ . تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٥٩.

٧ . مقاتل الطالبيّين : ٤٣٤.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 42

نشاطات الإمام الهادی (عليه السلام)

المنهج التربوی عند الإمام (عليه السلام)

المقدمه

إنّ المتتبّع لسيرة الإمام الهادي(عليه السلام) وماروي عنه من أحاديث تبرز أمامه ملامح المنهج الذي أتخذه هذا الإمام (عليه السلام) في تكامل بناء الجماعة الصالحة وصيانتها من الانهيار وإحكام تماسكها وتأمين عطائها الرّسالي بحفظ ماتحمله من مفاهيم معبّرة عن رسالتها تجاه الواقع بأبعاده الاجتماعية والسياسية والفكرية.
لذا فإنّا نجد إتجاهين واضحين في منهج الإمام (عليه السلام) في البناء، هذا ما سنتعرض إليه في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

المحتوى العلمى

منهج الإمام الهادى (عليه السلام) فى البناء (إتجاهان واضحان فى هذا المجال)

في ما يرجع إلى منهج الإمام الهادي (عليه السلام) في البناء، فإننا نجد إتجاهين واضحين في هذا المجال ، وهما:
الأوّل: بناء الذات و تزكية النفس.
إذ كان الإمام (عليه السلام) يعمد إلى تركيز مفهوم التقوى و طاعة الله سبحانه في كل مناسبة و فرصة، بشكل مباشر أو من خلال رسائله إلى شيعته و مواليه، فقد أوصى فتح بن يزيد الجرجاني حين ضمّه و إيّاه الطريق من مكّة إلى خراسان قائلا له: «من اتقى الله يُتقى و من أطاع الله يُطاع»[١].
الثاني: بناء كيان الجماعة الصالحة.
و مواقفها إزاء الوقائع و الأحداث و الظروف التي تكتنفها و مايتعلق بالجانب التنظيمي لها لتتجاوز الصعاب التي تضعها السلطة أمامها، و لتقوم بنشر الوعي الرسالي بما يتناسب مع الظروف التي تكتنفها.
١ ـ نشاط الإمام الهادي(عليه السلام) و منهجه في بناء الذات:
أما في ما يرجع الى بناء الذات، فنقول: لدينا وصايا وأحاديث عن الإمام الهادي(عليه السلام) تركّز على جوانب وميادين متعدّدة تتعلّق بالبناء الذّاتي للفرد، كما هي ناظرة في الوقت نفسه إلى تقوية أواصر العلاقة فيما بين أفراد الجماعة الصالحة ذاتها، والسير بهم نحو الكمال من خلال الاتصال بالله سبحانه وتعالى، فلو راجعنا أمثال النصوص التالية اتضح لك ما قلنا.
فعنه(عليه السلام) أنّه قال لأحد مواليه: كاتب فلاناً وقل له: «إنّ الله إذا أرد بعبد خيراً; إذا عوتب قبل»[٢].
وقال (عليه السلام): «و من أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين و من أسخط الخالق فلييقنْ أن يحلّ به سخط المخلوقين»[٣].
٢ـ وسائل الإمام (عليه السلام) في البناء الفكري و الثقافي:
تعدّدت الأساليب و الوسائل التي اتّبعها الإمام (عليه السلام) في تنمية و بناء الجانب الفكري و الثقافي للجماعة الصالحة وقواعده الشعبيّة و كان من هذه الوسائل: الرسائل المكتوبة إلى أصحابه و مواليه و هى عديدة تجدها مبثوثة في كتاب الإحتجاج وأمثال ذلك[٤].

ظاهره الزياره فى تراث الامام الهادى(عليه السلام) وسيله ايصال المفاهيم .

تعدّ ظاهرة الزيارة للإئمة (عليه السلام) إحدى وسائل الإمام الهادي (عليه السلام) في ايصال المفاهيم الفكرية و الروحية لشيعته و مواليه من أجل تركيز هذه المفاهيم السليمة و تنمية الجانب الروحي و الفكري لدى الجماعة الصالحة، و هذه الوسيلة لا تثير الشكّ و الرّيب مع سهولتها في الانتشار و ظهور أثرها في الأمّة و الجماعة الصالحة.
وما ورد عن الإمام الهادي(عليه السلام) و حَفَظَه لنا التاريخ من الوثائق المهمّة في هذا المضمار مايلي:
١ ـ الزيارة الجامعة.
٢ ـ زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير.
٣ ـ زيارات متعدّدة للأئمة (عليه السلام).

١ . كشف الغمّة ٢ : ٣٨٦.
٢ . تحف العقول: ٣٦٠.
٣ . المصدر : ٣٦١.
٤ . الطبرسي، الاحتجاج ٢ : ٤٥، ٤٩، ٥٠ ، و الحسني، هاشم معروف ٢ : ٤٧٤.

أهميّه زياره الجامعه:

و بهذه المناسبة تشير إلى أهميّة زيارة الجامعة فهي من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين (عليه السلام) و أعلاها شأنا، و أكثرها ذيوعاً و انتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت(عليه السلام)و شيعتهم على حفظها، و زيارة الأئمّة بها خصوصاً في يوم الجمعة و نتحدّث ـ باختصار ـ عنها.

سند زياره الجامعه:

أمّا سند زيارة الجامعة فقد حاز درجة القطع من الصّحة، حيث رواها شيخ الطائفة في التهذيب، ورئيس المحدّثين الصدوق في (الفقيه) و(العيون) و غيرهما و قال المجلسي: إنّ هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً، و أعمقها مورداً: و أفصحها لفظاً و أبلغها معنى، و أعلاها شأناً[5].

خصائص زياره الجامعه:

وتفيض زيارة الجامعة بالأدب الرائع، فقد رُصّعت بأرقّ الألفاظ كما تحلّت بجواهر الفصاحة والبلاغة، وبداعة الديباجة، وجمال التّعبير ودقّة المعاني الأمر الذي يدلّل على صدورها عن الإمام (عليه السلام)، فقد اعتبر العلماء أنّ آية الخبر الصحيح هو ما إذا كان في أرقى مراتب البلاغة، فإنّ الأئمّة الطاهرين هم معدن البلاغة والفصاحة، وهم الذين أسّسوا قواعد الكلم البليغ، فكان كلامهم في أعلى مراتب الكلام الفصيح.
و اهتمّ العلماء اهتماماً بالغاً بشرح *زيارة الجامعة* لما فيها من المطالب العالية و الأسرار المنيعة، والأمور البديعة.
محتويات زيارة الجامعة:
و أما محتويات زيارة الجامعة فمنها: الدعوة إلى التشيع و الاتّباع الكامل لأهل البيت (عليه السلام).

الجانب التنظيمى فى نشاط الإمام الهادى(عليه السلام).

لقد مارس الإمام الهادي (عليه السلام) وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه والراعي لمصالحهم بالرّغم من الظروف الصعبة التي كانت تمرّ بالإمام (عليه السلام) وبشيعته من تتبّع السلطة لهم ومطاردتهم و فرض الإقامة الجبرية على الإمام بعد إشخاصه من المدينة إلى سامرّاء[6]ليكون قريباً من السلطان و تحت رقابته المباشرة و تتجلّى لنا مواقف الإمام (عليه السلام) في اتجاهين:
الأوّل: فيما يتعلّق بإثبات الحقّ أو نقد الباطل على المستويات المختلفة سواء اتّجاه الدولة أو المخالفين أو سواهما، و قد سبقت الإشاره لمواقف الإمام (عليه السلام)مع المتوكّل، و بعض مقرّبيه.
الثاني: و هو مايتعلّق بالمحافظة التامّة على شيعته ورعاية مصالحهم وقضاء حوائجهم و تحذيرهم ممّا تحوكه السلطة ضدّهم، ومايجب أن يتخذوه من حيطة وكتمان لنشاطهم و اتصالاتهم حتّى لايقعوا في حبائل السلطة الغاشمة التي كانت تتربّص بهم، وبالإمام (عليه السلام) الدوائر.
لذا فإنّ وصايا الإمام (عليه السلام) كانت تُظهر مدى اهتمامه و مدى قربه من الأحداث العامّة و الخاصّة و كانت إجراءاته و أوامره تصل الجماعة الصالحة سابقة للأحداث لتتمكّن تلك الجماعة من تجاوز مايحاك ضدّها، كما أنّ إجراءات الإمام وأساليبه كانت مظهراً لعمل حركي و تنظيمي على درجة عالية من الدّقة و التخطيط، و هذا ماتظهره لنا خطابات الإمام (عليه السلام)إلى شيعته و التي تحمل بين طيّاتها أدوات و وسائل مختلفة و متعددة لمواجهة الظروف التي تحيط بهم و اليك شيئاً منها:
أ ـ الحذر من تدوين الأمور.
كان الإمام (عليه السلام) يحذّر أصحابه من تدوين وكتابة بعض الأمور وخصوصاً مايتعلّق بعلاقات ووضع الجماعة الصالحة ومواقفها.
ب ـ إستعمال الأسماء الحركية.
كان الإمام (عليه السلام) يذكر في توقيعاته إلي بعض أصحابه وينسبهم إلى عبيد *بن زرارة*، وكانوا قد عرفوا ببني الجهم، وهم من أكابر بيوت الشيعة وأصحاب الأئمّة (عليه السلام)، فعن الزراري (أحدهم) قال: إنّ ذلك تورية وستر من قبل الإمام (عليه السلام) ثمّ اتسع ذلك وسمّينا به، وكان (عليه السلام) يكاتبه في أمور له بالكوفة وبغداد[7].
ج ـ تنويع الوسائل المستعملة ضدّ الأعداء.
لقد اختلفت وتعدّدت الوسائل التي أوصى بها الإمام (عليه السلام) شيعته ومواليه أن يتخذوها ضدّ

---

٥ . راجع حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام): ١٣٨ باقر شريف القرشي.
٦ . تاريخ الطبري ٧، احداث عام ٢٣٤ هـ .
٧ . تاريخ الكوفة : ٣٩٣.

أعدائهم بحسب حجم الخطورة وماتسمح به الظروف السياسية و الاجتماعية آنذاك، فنجده تارة يوصي أن يضرب ويخدش أحد المغالين والمدّعين لِولاء الإمام (عليه السلام) كما في حالة علي بن حسكة[٨] بيد أنّه ـ أي الإمام ـ أمر باغتيال و قتل (فارس بن حاتم) لِما كان يشكّله من خطر على الجماعة الصالحة، فعن الجنيد أنّه قال: أرسل إليّ أبو الحسن العسكري(عليه السلام) يأمرني بقتل فارس بن حاتم[٩].

د ـ تحريم العمل مع الظّالمين.

بعد أن لم تكن للدّولة العباسية والسلطات الحاكمة أيّ شرعية إسلامية، كان العمل معهم غير مشروع، إلا أن يكون فيه خدمة للموالين والمستضعفين.

هـ ـ احترام أهل الكفاءة والقابليات.

روي أنّه اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري(عليه السلام): أنّ رجلا من فقهاء شيعته كلّم بعض النواصب فأفحمه بحجّته حتّى أبان عن فضيحته، فدخل إلى عليّ ابن محمّد (عليه السلام) وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويّين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدست، و أقبل عليه...»[١٠].

للبحث والتحقيق:

الرجاء إجراء تحقيق في هذا المجال.

الخلاصه

١ـ هناك اتجاهان واضحان في منهج الإمام الهادى (عليه السلام) والذي هو امتداد لمنهج آبائه (عليه السلام).

الأول: ما يخص البناء الذاتي(الفردي).

والثاني: ما يخص كيان الجماعة الصالحة ومواقفها إزاء الأحداث.

٢ـ تعددت وسائل الإمام (عليه السلام) في تنمية وبناء الفرد والجماعة.

٣ـ اتخذ الإمام الهادي (عليه السلام) الزيارة وسيلة لإيصال المفاهيم الفكرية والروحية لشيعته وكان أعظمها زيارة الجامعة المعروفة.

٤ـ للحفاظ على كيان الجماعة الصالحة أو ما يصطلح عليه بالجانب التنظيمي سعى الإمام (عليه السلام) بشتّى الوسائل والطرق ليجنّب الجماعة الصالحة ما تحوكه السلطة ضدها من خطط ومؤامرات من أجل النيل منها وإضعافها.

ويمكن تحديد منهج الإمام (عليه السلام) هذا بالنقطتين التاليتين:

١. ما يتعلق بإثبات الحق ونقد الباطل على المستويات المختلفة.

٢. ما يتعلق بالحفاظ على قواعده ورعاية مصالحهم.

فكانت تعليماته(عليه السلام) إليهم تتضمن جملة أمور منها:

ـ تحذيره لهم من كتابة الرسائل وغيرها.

ـ طلبه من بعض قواعده تغيير أسمائهم.

ـ اشتراط العمل مع السلطان الظالم بشروط خاصة.

ـ وكان الإمام (عليه السلام) يتفقد أحوال مواليه ويسهم في قضاء حوائجهم ومشكلاتهم.

---

٨ . رجال الكشي : ٤٣٧.

٩ . المصدر : ٤٤٤.

١٠ . الاحتجاج : ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 43

نشاطات الإمام الهادى (عليه السلام)

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق الخطوط العامة في تاريخ الإمام الهادي عليه السلام، حيث ألقينا فيها نظرة على متطلبات عصر الإمام الهادي(عليه السلام)، فتكلمنا في المنهج التربوي عند الإمام (عليه السلام)، ونواصل الكلام في هذا المجال في هذا الدرس فنتكلم عن جملة من الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام.

المحتوى العلمى

نشاط الإمام (عليه السلام) فى مجال الغلاه والمنحرفين

إنّ موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الغلاة و تحرّكهم كان موقفاً متشدّداً، بحسب خطورة التحرّك أو باعتبار ما لصاحبه من منزلة ومكانة في المجتمع، لذا اختلفت مواقف الإمام (عليه السلام) إزاءهم كما تعدّدت وصاياه في هذا الاتّجاه لشيعته موضّحاً مايجب أن يتخذوه تّجاه الغلاة والمنحرفين، فربّما كان يكتفي بالاستخفاف والهجران، و ربّما أمر بالضرب لبعضهم وربّما تطلّب الأمر أن يقتل زعيم أو رأس تلك العصابة المغالية أو المنحرفة.

عن *أحمد بن محمد بن عيسى* قال:

كتبت إليه ـ أي الإمام الهادي(عليه السلام) ـ في قوم يتكلّمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ماتشمئزّ منها القلوب، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي، فأوّلوها وصيّروها، فإن رأيت أن تبيّن لنا وأن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيّرهم إلى المعطب والهلاك، والذين ادّعوا هذه الأشياء ادّعوا أنّهم أولياء، وادّعوا إلى طاعتهم، منهم عليّ بن حسكة والقاسم اليقطيني، فما تقول في القول منهم جميعاً؟

فكتب(عليه السلام) «ليس هذا ديننا فاعتزله»[1].

و عن *محمد بن عيسي* قال: «كتب إليّ أبو الحسن (عليه السلام) ابتداء منه: لعن الله القاسم اليقطيني، ولعن الله عليّ بن حسكة القمّي، إنّ شيطاناً يتراءى للقاسم فيرمي إليه زخرف القول غرورا».

و قد تضمّنت بعض النّصوص الشريفة الصادرة عنه (عليه السلام) جملة من الأمور المهمّة نشير إليها:

١ ـ تأكيده على مقام الألوهية، و أنّ الحجّة لله سبحانه على جميع خلقه وأنّ الطّاعة لله سبحانه هي الأساس في رضا الله سبحانه.

٢ ـ إنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) والأنبياء (سلام الله عليهم) دعوا إلى الحنيفية والعبادات المفروضة.

٣ ـ إنّ الأئمّة (عليه السلام) هم أوصياء الرسول محمد (صلى الله عليه و آله) لايشركون بالله شيئاً.

٤ ـ تأكيد الإمام (عليه السلام) على البراءة من هؤلاء الغلاة و المنحرفين و لعنهم و حرّض مواليه على هجرانهم وإيقاع الأذى فيهم.

و وفقاً لهذا نجد الإمام الهادي (عليه السلام) ـ كما هو شأن آبائه (عليه السلام) ـ سعوا جاهدين للحفاظ على سلامة الشريعة الإسلامية، كما عملوا كثيراً من أجل صيانة الأمّة من الانحراف، بيد أنّا نجد الكثير من المسلمين ـ و للأسف ـ اتّخذوا منهج المستشرقين في رمي الشيعة الإمامية ممّاهم بُراء منه مثل هذه الافتراءات التي ذكرت أعلاه وسواها ممّا ورد عن الأئمّة(عليه السلام) أنفسهم ردّها ولعن أصحابها و منع شيعتهم من الاختلاط بهم و ضرورة الابتعاد عنهم، فالأئمّة(عليه السلام) كانوا يراقبون هذه الأمور بدقّة، و تصدر عنهم الوصايا إلى شيعتهم أوّلا بأوّل وحسب الظروف و أهمّية تلك المطالب.

الإمام الهادى(عليه السلام) و ثورات عصره

إنّ أهمّ مايميّز عصر الإمام الهادي(عليه السلام) هو ضعف الخلافة العبّاسية و سقوط هيبتها لاستيلاء الأتراك علي العاصمة و العمّال و الأمراء على الأطراف و نتيجة لذلك كان الخليفة مسلوب الإرادة يُحرّك من قبل قوّاده الّذين كانت بأيديهم زمام السلطة[2].

و اتّسم الوضع بعدم الاستقرار وازدياد الاضطرابات و كثرة الخارجين على السلطة وكثرة الوثبات في الأمصار، فكان للخوارج نشاط ملحوظ قوّي ومدعم بالمال والسلاح، كما نجد أنّ مجموعة من الأقاليم قد

---

١ . رجال الكشي : ٤٣.

٢ . الكامل، لابن الاثير ٦ : ٧٣.

حدثت فيها انتفاضات ضدّ السلطة كما حصل في الأردن بقيادة رجل من لخم و كانت في حمص وثبة أخرى ضدّ عاملها كيدر الأشر و بيني، و كذا وثبة الجند في سامرّاء فضلا عن حدوث ثورات أُخرى منها: ثورة يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) و قد انطلقت هذه الثورة من كربلاء باتّجاه الكوفة، و كان شعارها الدعوة إلى «الرضا من آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)» و عرف يحيى بحسن السيرة و أظهر العدل حتّى قتل[٣].

إنّ موقف الإمام الهادي(عليه السلام) تّجاهها و سواها من الأحداث يصعب الوقوف عليه لعدم وجود نصّ صريح عنه(عليه السلام)، بيد أنّه يمكن أن يُستفاد من خروج بعض المخلصين من أصحابه مع العلويّين موقفه غير العلنيّ، و يعلل عدم إبدائه أيّ رأي تجاه الثورة أو الحدث للظروف الحرجة التي كان يعيشها من مراقبة مشدّدة و اضطهاد لشيعته و مواليه، فليس من السهل أن يعطي رأياً صريحاً بثورة سواء كانت تّتفق وخطّه، أم لاتتّفق، فإنّ الفساد والظلم قد استشريا في هذا العصر الذي ازداد سوءاً باستيلاء الأتراك على مقاليد الأمور، فهم الذين كانوا ينصبون الخليفة أو يعزلونه وقد لاقت منهم الأمّة الأمرّين[٤].

أصحاب الإمام الهادى(عليه السلام) و دورهم الفاعل

كان لأصحاب الأئمّة (عليه السلام) ـ الذين تُميزّهم الرعاية الخاصّة ـ الدور البارز في نقل تراث الأئمّة (عليه السلام) و مواقفهم إزاء الظروف الاجتماعية، فكان هؤلاء الأصحاب يمثّلون الخطّ الرّسالي و يجسّدون أعلى درجات الوعي و الالتزام بخطّ الأئمّة (عليه السلام) على امتداد وجودهم المبارك رغم اشتداد الظروف وقساوتها تجاههم.

و الذي يدعو إلى الاعتزاز و الفخر بجهاد هؤلاء الرواة، هو أنّهم اتّصلوا بالأئمّة (عليه السلام) و دوّنوا عنهم، في وقت كان من أعسر الأوقات حراجة و أكثرها ضيقاً و ضغطاً، و قد أمعنت السلطات الأموية و العبّاسية في ظلم العلويّين وشيعتهم، و منعت الأوساط الشعبية من الاتصال بهم، و أخذت تطارد كلّ من ينشر فضائل أهل البيت (عليه السلام)، أو يتحدّث عن مناقبهم، ومآثرهم أو يروي أحاديثهم[٥].

و قد بلغ عدد الرواة عن الإمام الهادي (عليه السلام) و أصحابه ١٨٢ راوية[٦] و هي نسبة كبيرة قياساً إلى الرواة عن الأئمّة(عليه السلام).

الإمام الهادى(عليه السلام) و الأتراك

لم يكن الإمام (عليه السلام) ليوافق على تصرفات الأتراك التي لم تكن قائمة على شيء من تعاليم الدين والعدل الإسلامي، وبخاصّة أنّه يعلم موقفهم ضدّه وضدّ مواليه، حتّى كان الخليفة يستخدمهم في الكبس على دار الإمام وحبسه، ومن هنا ينبثق موقفه (عليه السلام) حيث كان موقفاً حكيماً جدّاً مراعياً فيه ظروفهم وموقعهم السياسي والاجتماعي.

إن جهود الإمام (عليه السلام) في هذا الإتّجاه قد أثمرت بعض الشيء في تقريب بعضهم إليه وايمانهم بفضله، وربّما بإمامته...و كانت جهوده(عليه السلام) متواصلة في ذلك[٧].

فمن ذلك موقفه (عليه السلام) تجاه (بغا الكبير)، و الذي يعتبر أحد القوّاد البارزين في عصر الإمام (عليه السلام) و الذي يصفه *المسعودي* بقوله: «كان بغا الكبير كثير التعطّف والبّر على الطالبيّين» ثم، ينقل عنه تعاطفه مع أحد شيعة الإمام (عليه السلام) حيث حاول قتل عامل المعتصم علي الكوفة، فأمر المعتصم بغا أن يلقيه إلى السباع، فلم يلقه إلاّ أنّه أمره بأن يجهد أن لا يظهر في أيّام المعتصم[٨]، فالتعاطف هذا يعتبر مظهراً من مظاهر تأثير الإمام (عليه السلام) في هذا القائد التركي.

التمهيد لإمامه المهدى المنتظر(عج)

إنّ البشارة بالمهدي (عج) وظهوره لإقامة العدل في الأرض بعد ماتملأ ظلماً وجوراً قد نقلها المسلمون كافّة عن الرسول (صلى الله عليه و آله)، ثمّ إنّ الأئمّة قد تابعوا في ذكر ذلك: وروايته حتّى كانت إمامة الهادي (عليه السلام) وعندما قُرب استشهاده أبلغ شيعته ومواليه إمامة الخلف من بعده وأخبرهم عمّا سيكون من غيبة حفيده وهو بين أظهرهم ولايستطيعون الوصول إليه، وسيخفى عنهم ويحجب ولايحقّ لهم ذكر اسمه خوفاً من طلب السلطان ومتابعته له.

عن أبي جعفر محمدبن *أحمد العلوي* عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن (عليه

٣ . مقاتل الطالبيّين، أبو الفرج الإصفهاني : ٤٢٠.
٤ . يُراجع الكامل لابن الاثير ٦ : ٥ ، أحداث السنين (٢٤٧ ـ ٢٥٥ هـ).
٥ . القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الهادي(عليه السلام) : ١٦٩ ـ ١٧٠.
٦ . تاريخ التشريع الإسلامي، عبدالهادي الفضلي : ٢٠٥.
٧ . الغيبة الصّغرى، م.س : ١٥٨ ـ ١٥٩ بتصرف.
٨ . مروج الذهب، للمسعودي ٤ : ٧٦.

السلام)يقول:
«الخلف بعدي ابني الحسن، فكيف بالخلف بعد الخلف؟» فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: «إنّكم لاترون شخصه، و لايحلّ لكم ذكره باسمه» قلت: فكيف نذكره؟ فقال: «قولوا: الحجّة من آل محمد صلّى الله عليه و آله»[9].

النص على إمامه أبى محمّد الحسن العسكرى(عليه السلام)

إن النّص والإشارة إلى الإمام (عليه السلام) في كل عصر من قبل الإمام (عليه السلام) السّابق له قد توالت منذ عهد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) فالإمام الهادي(عليه السلام) قد نصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكري لما اعتلّ فضلا عن النصوص الواردة عن النبّي(صلى الله عليه و آله) والأئمّة(عليه السلام) حول إمامته(عليه السلام)وممّا ورد عن الإمام الهادي(عليه السلام) نصّاً على إمامة الحسن العسكري(عليه السلام) مايلي:
١ ـ عن عليّ بن محمد، عن محمد بن أحمد النهّدي، عن يحيى بن يسار القنبري قال أوصى أبو الحسن(عليه السلام) إلى إبنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي[10].
٢ ـ و عن عليّ بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن(عليه السلام) في صحن داره فمرّ محمد إبنه فقلت له: جعلت فداك! هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسن[11].

استشهاد الإمام على الهادى(عليه السلام)

لقد استشهد وليّ الله عليّ بن محمد (عليهما السلام) في آخر ملك المعتزّ، ودفن (عليه السلام) في داره بسرّ من رأى[12] وكان عمره الشريف يوم وفاته أربعين سنةً.
يقول *المسعودي*[13]: لما أعتلّ (عليه السلام) دعا ولده أبا محمّد (عليهما السلام) و سلّم له المواريث ـ وهي ماورثه عن آبائه (عليه السلام) ـ وسلاح الإمامة، وأوصى إليه أنّه مات مسموماً[14].
و روى *المسعودي*: أنّه اجتمع في دار الإمام الهادي(عليه السلام) حين التحق بالرّفيق الأعلى جملة من بني هاشم من الطالبيين والعباسيّين، واجتمع خلق من الشيعة، و لم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمّد (عليه السلام) ـ أي الإمام الحسن العسكري ـ و لاعرف خبره إلاّ الثّقات الذين نصّ أبو الحسن عندهم عليه، فحكوا أنّهم كانوا في مصيبة وحيْرة، ففيما هم فيه، إذ خرج من الدار الداخلة خادم، و صاح بخادم آخر: يارباش، خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار أمير المؤمنين ـ أي: الخليفة المعتزّ ـ و ادفعها إلى فلان و قل له: هذه رقعة الحسن بن علي، فاستشرف النّاس لذلك، ثم فتح من صدر الرواق باب و خرج خادم أسود، ثمّ خرج بعده أبو محمّد (عليه السلام) حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب وعليه مبطنة بيضاء، و كان وجهه وجه أبيه (عليه السلام) لايخطيء منه شيئاً، و كان في الدار أولاد المتوكّل، و بعضهم ولاة العهود، فلم يبق أحد إلاّ قام... ثمّ دفن في دار من دوره[15] وكان ذلك في سنة أربع و خمسين و مائتين للهجرة يوم الإثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة[16].

الخلاصه

١ـ تعاظم تيار الغلاة وحدثت عدّة ثورات في عصر الإمام الهادي (عليه السلام)، وكانت تصدر التعليمات والوصايا من الإمام (عليه السلام) إلى قواعده الموالية لتكون على بيّنة من أمرها في التعامل مع تلك الأحداث والظواهر. ولتجنيبها مزالق الانحراف فتارة نجد أنّ الإمام(عليه السلام)يأمر باعتزال أهل الغلّو والانحراف، واخرى يوصي بتأديبهم بالضرب أو الزجر، فإذا لم تجدِ هذه الوسائل نجده يأمر باغتيال أشخاص لخطرهم وتأثيرهم في المجتمع الإسلامي.
٢ـ أهمّ مايميّز الدولة العباسية في عصره (عليه السلام) هو الضعف وسقوط هيبتها؛ لاستيلاء الأتراك على العاصمة والأطراف الأخرى، فالخليفة والحالة هذه يكون مسلوب الإرادة يُحرَّك من قبل قوّاد الجند الذين ملكوا زمام الأمور، لذا نجد أنّ الإمام (عليه السلام) لم يؤيد مواقف وتصرفات الأتراك وكان يحذّر منهم.

---

٩ . إثبات الوصية، للمسعودي، عليّ بن الحسين : ٢٠٨.
١٠ . كافي الشيعة ١ : ٣١٣.
١١ . المصدر ١ : ٣٨٤.
١٢ . أعلام الورى، الطّبرسي، الفضل بن الحسن ٢ : ١٠٩ ـ ١١٠.
١٣ . إثبات الوصية، للمسعودي : ٢٠٥.
١٤ . الفصول المهمّة، إبن صباغ المالكي، عليّ بن أحمد : ٢٧٩.
١٥ . إثبات الوصية: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
١٦ . كشف الغمة ٢ : ١٧٤.

٣ـ في الختام نجد أنّ الإمام (عليه السلام) ركّز على أمرين هاميّن: أحدهما فيما يخصّ الإمام (عليه السلام)بعده، والثاني الإمام المنتظر وغيبته، وحاول تثبيت هذين الأمرين بين خاصّته وقواعده.
٤ـ استشهد وليّ الله عليّ بن محمد (عليهما السلام) في آخر ملك المعتزّ، ودفن (عليه السلام) في داره بسرّ من رأى، وكان عمره الشريف يوم وفاته أربعين سنةً.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 44

الإمام الحسن العسكری (علیه السلام)

وملامح عصره

المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من تاريخ علم آخر من أعلام بيت النبوة و الحي وهو الإمام الهادي (عليه السلام)، ونبدأ هذا الدرس بتاريخ الإمام من بعده و هو الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، حيث نتناول الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، بدأ بإطلالة عامة نلقي فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصديه للإمامة.

المحتوى العلمى

ولادته، نسبه، كناه، ألقابه

ولد أبو محمد الحسن بالمدينة لثمان خلون من ربيع الآخر سنة اثنين و ثلاثين و مائتين للهجرة.
أما نسبه أبا وأما، فهو الحسن الخالص ابن علي الهادي ابن محمد الجواد ابن علي الرضا ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.
و أما أمه، فأم ولد يقال لها حديث و قيل سوسن .
و أما كنيته، فأبو محمد .
و أما لقبه، فالخالص و السراج و العسكري و كان هو و أبوه و جده كل واحد منهم يعرف في زمانه بابن الرضا[1].
التنصيص على إمامته.
تقدم بعض ما يرتبط بالمقام في الدرس السابق.
كما يرجى إجراء بحث في هذا المجال من قبل الطلاب بالإستفادة من الكتب المعتبرة.

العصر العباسى الثانى:

أطلق مؤرخو التاريخ الإسلامي على الفترة التي تبدأ بخلافة المتوكّل (٢٣٢ هـ) و ما بعدها إسم العصر العباسي الثاني; لما لهذه الفترة من خصائص امتازت بها عن خصائص العصر العباسي الأول الذي بدأ بعد سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ) وقيام دولة بني العباس فيها.
عاصر الإمام العسكري (عليه السلام) أعواماً عصيبة في العصر العباسي الثاني مع خلفاء مستبدين اعتلوا عرش الدولة منذ أن قدم سامرّاء مع أبيه الإمام الهادي (عليه السلام) أيام المتوكّل عام (٢٣٤ هـ)، و استمر قاطناً فيها حتى استشهد عام (٢٦٠ هـ) في خلافة المعتمد العباسي.

أهمّ مظاهر هذا العصر

و يمكن إجمال أهمّ مظاهر هذا العصر في مايلي:
١ ـ تدهور الوضع السياسي للدولة العباسية: حيث ثّم استيلاء الموالي و الذين كان أغلبهم من الأتراك و كانت سيطرتهم على مقاليد السلطة في العاصمة و الأمصار. حيث ساهموا في خلع المتوكّل و قتله (٢٤٧ هـ) و المهتدي (٢٥٦ هـ) و نصب غيرهما[2].
٢ ـ اللهو و المجون و حياة الترف التي كان يحياها الخليفة و أتباعه[3].
٣ ـ حوادث الشغب و الفتن التي حدثت في بغداد[4].
٤ ـ الحركات الانفصالية في أطراف الدولة و التي يعود سببها إلى ضعف سلطان الخليفة و من أوضح تلك الموارد ، بلاد الأندلس التي كانت مستقلّة تحت حكم عبدالرحمن الخليفة الأموي.

---

١ . الفصول المهمة في معرفة الأئمة٢ : ١٠٧٩ ـ ١٠٨٠.
٢ . الكامل في التاريخ ٤، أحداث السنين (٢٤٧ ـ ٢٥٦ هـ) وتاريخ المسعودي ٤: ٦٠ ومابعدها.
٣ . تاريخ المسعودي ٤ : ١١.
٤ . الكامل في التاريخ ٤ : ٣٩٠.



ثمّ ازداد الأمر بعد ذلك سوءاً ففقدت الدولة سيادتها على أطراف كثيرة، وولدت دول الطوائف والاُمراء في الأمصار بعد أن كانت دولة واحدة تخضع لحكومة مركزية في بغداد أو سامرّاء[٥]، حتى أطلق المؤرخون على هذا العصر: عصر (إمرة الاُمراء)[٦] ثمّ عصر الدول المستقلة كما هو الحال بالنسبة لإمارة المداينين والبويهين والدولة الصفارية (٢٥٤ هـ) و الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ) وغيرها.

الحاله الاجتماعيه

التفكك الاجتماعي في هذا العصر أدّى إلى ظهور الطبقية التي تتناهى و روح الإسلام و يمكن ملاحظته من خلال طبقات المجتمع فيه:

١ ـ طبقة الرقيق: فقد جُلب كثير من الزنج لفلاحة الأرض وحراسة الدور، وإنّ كثرة الزنج في العراق أدّت إلى قيام ثورة الزنج التي دامت أكثر من أربع عشرة سنة (٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ)[٧]، ممّا أسهم بشكل كبير في إضعافها.

٢ ـ أهل الذّمة: وهم اليهود والنصارى، ولم تتدخل الدولة في شعائرهم بل على العكس كان يبلغ من تسامح الحكّام أنّهم كانوا يحضرون مواكبهم واحتفالاتهم ويأمرون بحمايتهم[٨].

٣ ـ رجال البلاط و الملاّك و غيرهم ممّن لهم نفوذ كبير في سياسة الدولة و تأثير واسع في الوضع الاقتصادي و الاجتماعي.

٤ ـ عامّة الناس و الذين أجهدتهم الضرائب و الحروب و الخلافات و المنازعات الداخلية.

٥ ـ و نشأت طبقة واسعة من الرقيق و غيرهم ـ من المغنّيات ـ اللاّئي كنّ يُحيين ليالي اللهو للخلفاء و غيرهم، و قد ارتفعت أسعارهن بشكل ملفت للنظر[٩].



الحاله الثقافيه.

في هذا العصر انتشرت الترجمة للكتب غير الإسلامية، من يونانية وفارسية، وهندية، ونحو ذلك، و أدّى

---

٥ . تاريخ الطبري ٧ : ج ٧، حوادث السنين (٢٣٤ ـ ٢٦٠ هـ).
٦ . تاريخ الإسلام السياسي، د . حسن إبراهيم حسن ٣ : ٢٦ و ما بعدها.
٧ . تاريخ الطبري ٧، أحداث السنين (٢٢٥ ـ ٢٧٠ هـ).
٨ . الحضارة الإسلامية : ١٥ و ٢٦٨، عن تاريخ الاسلام : ٤٢٤.
٩ . تاريخ الإسلام السياسي ٣ : ٤٣٥.

دخول هذا الكم الهائل من الكتب إلى المسلمين، ومن دون الاستعداد له، إلى انتشار الشبهات و النظريات و الآراء المختلفة و الخطرة مما أوجب أن يتصدى لهذا الوضع العلماء و الصلحاء و على رأسهم أئمة أهل البيت(عليهم السلام) للرد على الشبهات و تصحيح الآراء و لبيان الحق في المسألة.

الحاله الاقتصاديه.

كان أهم منبع للثروة، و أهم مورد لميزانية الدولة، هو ما تدره الزراعة ولذا اعتنى العباسيون بالزراعة و فلاحة البساتين; و ذلك عن طريق نشر المدارس الزراعية وتنظيم أساليب الري في أغلب المناطق الإسلامية، و إنشاء السدود و صيانتها من قبل جماعة أُطلق عليهم بالمهندسين مهمتهم الحفاظ عليها[١٠].

الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) وحكّام عصره.

لقد عاصر الإمام العسكري(عليه السلام) ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية و هم كالتالي:

1 ـ المعتزّ العباسي

لقد ازداد نفوذ الأتراك بعد قتلهم المتوكّل عام (٢٤٧ هـ) وتنصيب ابنه المنتصر بعده، حتّى أنّ الخليفة العباسي أصبح مسلوب السلطة ضعيف الإرادة.

عاصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أواخر خلافة المعتزّ الذي كان استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام) على يديه بدسّ السمّ إليه؛ إذ كانت سياسة المعتزّ امتداداً لسياسة المتوكّل في محاربة الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) والشيعة، بل ربّما ازدادت ظروف القهر في هذه الفترة، حتى أنّ المعتزّ نفسه أمر بتسفير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) إلى الكوفة لمّا تنبّه الخليفة إلى خطر وجود الإمام (عليه السلام) واتّساع دائرة تأثيره وكثرة أصحابه.
ثم خلعغ الأتراك المعتز هذا، وكان سبب خلعه أنه منع الأتراك أرزاقهم، و لم يكن لديه من المال و قد تنازلوا له إلى خمسين ألف دينار، فأرسل إلى أمّه يسألها أن تعطيه مالا فأرسلت إليه: «ماعندي شيء»، فتآمروا عليه وقتلوه.
و هذه القصة خير موشّر على ضعف السلطة العباسية وخروج الأمر من يد الخليفة، فالكتّاب المسؤولون على الأموال يتصرّفون بها كيف مايشاءون ولايطيعون الخليفة فكانت تلك النهاية المخزية للمعتزّ على أيدي أعوانه، و حرّاسه من الأتراك.

2 ـ المهتدى العبّاسى

هو محمد بن الواثق بن المعتصم، ولي الخلافة بعد مقتل أخيه المعتزّ سنة (٢٥٥ هـ)، وماقبل أحد ببيعته حتى جيء بالمعتزّ واعترف أمام شهود أنّه عاجز عن الخلافة، ومدّ يده فبايع المهتدي، فارتفع حينئذ إلى صدر المجلس[١١]، وبويع بالخلافة.
ولقد تصنّع الزهد والتقشف محتذياً سيرة عمر بن عبدالعزيز إغراء للعامّة ومحاولة لتغيير انطباعهم عن الخلفاء العباسيين الذين عُرفوا بالمجون والترف والإسراف على الملذّات والخمر ومجالس اللهو.

سياسه المهتدى تجاه معارضيه.

أ ـ الخليفة وأمراء الجند: كانت سياسة المهتدي تجاه الأتراك تتمثّل بالحذر والحيطة والخشية من انقلابهم عليه كما فعلوا بالمتوكّل والمعتزّ، لذا أمر بقتل موسى ومفلح من اُمراء جنده الأتراك الذين كانوا يتمتّعون بنفوذ كبير وتأثير فاعل في مجريات الأحداث، فأجمعوا على قتل المهتدي فقتل في عام (٢٥٦هـ)[١٢].
ب ـ سجن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام): وأما الشيعة والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في عهد المهتدي، فقد عانوا الكثير من الظلم والتعسّف.ولما رأى المهتدي أنّ وسائل النفي والإبعاد والمصادرة لم تكن لتحد من نشاط الإمام (عليه السلام) وشيعته، واتّساع حركته، لما كان لتعليمات الإمام (عليه السلام) ورقابته لشيعته من أثر في إفشال محاولات السلطة العباسيّة لم تحد

---

١٠ . تجارب الأُمم ابن مسكويه ٢ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ بتصرف.
١١ . تاريخ الخلفاء، السيوطي : ٣٦١.
١٢ . تاريخ الخلفاء، السيوطي : ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

السلطة بُدّاً من اعتقال الإمام (عليه السلام) والتضييق عليه في السجن[١٣].
٣ ـ المعتمد بن المتوكل العبّاسي.
المعتمد العباسي، الذي انهمك في اللهو والملّذات واشتغل عن الرعيّة فكرهه الناس وأحبّوا أخاه طلحة[١٤].
كان ضعيفاً قد وقع تحت تأثير الأتراك الذين يديرون أُمور الحكم، ويقومون بتغيير الخلفاء والأُمراء.

أهم الأحداث فى عصر المعتمد.

وكان من أهم الأحداث في عصر المعتمد ما يلي:
أ ـ ثورة الزنج : كانت ثورة الزنج حدثاً مهّماً لما نتج عنها من آثار سيّئة، فقد صحب حركة الزنج هذه، قتل، ونهب، وسلب، وإحراق ممّا أدّى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عدّة أمصار سيطر عليها صاحب الزنج، فبدأت ثورتهم في البصرة وامتدّت إلى الأهواز وعبّادان وغيرهما.
وقد كلّف القضاء على هذه الحركة الدولةَ كثيراً من الأموال والجند الذين هزمهم صاحب الزّنج في أكثر من واقعة، وأخيراً تمكّنت الدولة من القضاء عليهم[١٥].
وقد ادّعى صاحب الزّنج علي بن محمد أنّه ينتسب إلى الإمام علي(عليه السلام)، ولكنّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كذّب هذا الادعاء، *فعن محمد بن صالح* الخثعمي قال: كتبت إلى أبي محمد ـ الحسن العسكري (عليه السلام) ـ أسأله ـ وكنت أريد أن أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة ـ فوقّع(عليه السلام):
«صاحب الزنج ليس مِنّا أهل البيت»[١٦].
وفي نصّ الإمام (عليه السلام) هذا دلالة على عدم شرعيّة ثورة صاحب الزنج وعدم ارتباطها بخطّ أهل البيت(عليهم السلام) وأنّها بعيدة عن الالتزام بمباديء الإسلام.
ب ـ ثورة علي بن زيد في الكوفة:
كانت حركة علي بن زيد في الكوفة سنة (٢٥٦ هـ) واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة، واستقرّبها، وسيَّر إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا وانهزم الشاه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه، ثمّ وجّه المعتمد كيجور التركي لمحاربته، وقد أرسل كيجور إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطّاعة وبذل له الأمان، وطلب علي بن زيد أُموراً لم يجبه كيجور إليها، فخرج علي بن زيد من الكوفة وعسكر في القادسية فبلغ خبره كيجور فاشتبكا وانهزم علي بن زيد وقُتل جماعة من أصحابه[١٧].
وحصلت حوادث أخرى في عهد المعتمد فقد استولى الحسن بن زيد العلوي على جرجان وقتل كثيراً من العساكر وغنم هو وأصحابه ماعندهم وخرج مساور الخارجي وطوق من بني زهير وهو من الخوارج أيضاً وقاتلهم الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي وهزمهم وقطع رأس مساور وأنفذه إلى سامرّاء[١٨].

وقد استمرتّ هذه الحركات التي كانت ضدّ الدولة العباسية الجائرة حتّى سقوط بغداد على يد التتار عام (٦٥٦ هـ).

الخلاصه

يعتبر عهد المتوكّل بداية لانحلال الدولة العباسية وضعفها وقد سُميَّ العصر الذي بدأ به المتوكل بالعصر الثاني حيث تمكّن الأتراك من السيطرة على مقاليد الأمور وزمام السلطة، ثم أصبح الخلفاء بعد ذلك خاضعين لقادة الجند الأتراك، كما امتاز هذا العصر بازدياد الشغب والحركات الانفصالية ضدّ الدولة مع اطّراد ظاهرة اللهو والمجون لدى السلاطين العباسيين وقادة الجند والطبقة المقربة من البلاط العباسي.
وقد ظهرت الطبقية في المجتمع نتيجة لظروف القهر والاضطهاد حيث أصبحت الثروة دولة بين علية القوم والقادة.
وعاصر الإمام العسكري (عليه السلام) عدداً من السلاطين منهم المعتزّ إذ عاصر الإمام(عليه السلام)أواخر أيامه، كما عاصر المهتدي العباسي من بعده.
وقد عانت الجماعة الصالحة الكثير من الاضطهاد ومصادرة الأموال والممتلكات، فقد أمر المهتدي بسجن الإمام العسكري (عليه السلام) كما همَّ بإبعاده إلى الكوفة.
كان الوضع العام في عهد المعتمد العباسي مضطرباً، وقد عاصر الإمام (عليه السلام) من حكمه خمس سنوات، حتى استشهاد الإمام (عليه السلام)، وكانت السلطة تطارد الشيعة وتضطدهم وتضيّق على

---

١٣ . كشف الغمة ٢ : ٤١٤.
١٤ . تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٦٣.
١٥ . راجع الكامل في التاريخ ٤ : ٤٣٠ ـ ٤٤٥.
١٦ . كشف الغمة ٢ : ٤٢٤.
١٧ . الكامل في التاريخ ٤ : ٤٤٧.
١٨ . الكامل في التاريخ ٤ : ٤٣٩.

الإمام (عليه السلام) فكانت هناك صعوبات واجهها الإمام (عليه السلام) والجماعة الصالحة. كما أنّه قد حدثت عدة وقائع وثورات خلال هذا العهد، كثورة الزنج وحركة ابن الصوفي العلوي وثورة علي بن زيد في الكوفة.
ولم يختلف المعتمد عن سابقيه في التضييق على الإمام (عليه السلام) والسعي للتخلّص منه ومتابعة الشيعة واضطهادهم ومحاولة التأثير فيهم لعزلهم عن الإمام العسكري (عليه السلام).
فكانت وسائل السلطة اتجاههم تتدرج من المراقبة والتضييق ثم السجن أو القتل.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 45

نشاطات عصر الإمام العسكرى(ع)

المقدمه

كان همّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الكبير هو إعداد الشيعة للمرحلة القادمة، و هى مرحلة الغيبة و ما تتطلّبه من إعداد و منهج خاصين و هو ما نتكلم عنه بعد قليل و مع ذلك لم يترك الإمام وظيفته الشرعية في القيام بما يتطلّبه زمانه من مواقف خاصة.

المحتوى العلمى

نشاطات الإمام (عليه السلام) فى بعدين

لم يترك الإمام وظيفته الشرعية في القيام بما يتطلّبه زمانه من مواقف خاصة و كانت تشتمل على بعدين:
الأول: بُعد الإحاطة بمتطلّبات عصره، من الرد على أصحاب الفرق و المذاهب.
الثانى: بعد استكمال المنظومة المعرفية في كافة مجالات الإنسان ـ الفكرية و الفقهية و العقائدية و الأخلاقية و نحو ذلك ـ التي قدمها أهل البيت(عليهم السلام) للأُمّة الإسلامية و بالأخص الموالين لهم; إذ سيأتي زمان غيبة الإمام الحجة عن الناس و الذي فيه سيكون الدور في قيادة الأُمّة،بالذات القواعد المواليه لأئمّة أهل البيت(عليهم السلام)إلى الفقهاء الذين يقومون بالنيابة العامّة عن الإمام و الذين سوف يحتاجون إلى هذه المنظومة المعرفية متكاملة حتى تستوعب متطلّبات عصر الغيبة بكاملة بلا حاجة إلى الالتجاء إلى مباني غير صحيحة كالاستحسان و المصالح المرسلة و القياس و أمثال ذلك و التي احتاج إليها بعض فقهاء المذاهب الإسلامية بسبب نقصان المنظومة المعرفية عندهم لتركهم الأخذ من أئمة أهل البيت(عليه السلام).

مدرسه الفقهاء، والتمهيد لعصر الغيبه الصغرى.

لَقد اتّسم عهد الأئمّة من أبناء الرضا(عليه السلام) (وهم الجواد و الهادي و العسكري(عليهم السلام)) باتّساع رقعة انتشار التشيّع و كثرة العلماء و الدعاة إلى مذهب أهل البيت، و اكتمال معالم و أبعاد مدرستهم الفقهية في المنهج و المادّة معاً.

المنهج الذى سارت عليه مدرسه الفقهاء الرواه.

و يتلخّص المنهج الذي سارت عليه مدرسة الفقهاء الرواة عن أهل البيت(عليه السلام) في نقاط جوهرية و أساسية تميزّها عمّا سواها من المدارس الفقهية حينذاك و هي:
١ ـ اعتماد الكتاب والسنّة فقط مصدراً للتشريع الإسلامي.
٢ ـ الرجوع في تعلّم العلوم الشرعية و أخذ الفتوى إلى الإمام المعصوم إن امكن.
٣ ـ الرجوع إلى الفقهاء الثقات حيث لايمكن أو يتعسر الرجوع إلى الإمام المعصوم.
٤ ـ الإفتاء بنصّ الرواية أو بتطبيق القاعدة المستخلصة من الرواية[١].
و بذلك يكون قد أعطى للمدرسة الفقهية تركيزاً واهتماماً يشير الى أنّ الخط الفقهائي هو الخط المستقبلي الذي يجب على القاعدة الشيعية أن تسير عليه[٢].
و قد أيّد الامام العسكري(عليه السلام) جملة من الكتب الفقهية و الاصول الروائية التي جمعت في عصره أو قبل عصره و أيدّ أصحابها و شكر لهم مساعيهم.
و قد أحصيت أسماء أصحاب الامام الحسن العسكري(عليه السلام) ورواة حديثه فبلغوا ٢١٣ شخصاً[٣] و مع ملاحظة حراجة الظروف المحيطة بالامام العسكري(عليه السلام) و قصر الفترة التي عاشها إماماً و مرجعاً للأُمّة و الشيعة فإنّ هذه النسبة من الرواة تشكّل رقماً قياسيّاً مهمّاً طبعاً.
و كان *لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفّار* المتوفي سنة (٢٩٠ هـ) مجموعة من المؤلفات تقارب الأربعين مؤلفاً[٤].

---

١ . تاريخ التشريع الاسلامي، عبدالهادي الفضلي: ٢٠٢ ـ ٢١١.
٢ . راجع حياة الإمام العسكري، الشيخ محمد جواد الطبسي : ٣٢٥.
٣ . نفس المصدر : الفصل العاشر.
٤ . الفهرست، للشيخ الطوسي : ١٧٤.

و من ثقات الإمام الحسن العسكري(عليه السلام): علي بن جعفر الهماني، أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، داود بن أبي يزيد النيسابوري و غيرهم.
و من أصحابه (عليه السلام): محمد بن الحسن الصفار ـ عبدوس العطار ـ عمري بن سلامة النيشابوري ـ أبو طالب الحسن بن جعفر ـ أبو البختري ـ الحسين بن روح النوبختي(رضي الله عنه).

الغيبه وقياده العلماء

إن مرجعية العلماء وقيادتهم للشيعة بعد الغيبة الكبرى التي ابتدأت سنة (٣٢٩ هـ) عند وفاة الوكيل الرابع[٥] للإمام المهدي (عج) كانت تأسيساً حيّوياً من قبل الائمة المعصومين (عليهم السلام) وبأمر من الله ورسوله، فهم الذين أمروا الشيعة بالرجوع إلى العلماء و الفقهاء الذين تربّوا في مدرستهم الرسالية لأخذ معالم دينهم عنهم، وهذا المفهوم قد أعطاه الإمام الصادق (عليه السلام)صيغته التشريعية بقوله (عليه السلام): ينظر من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله و هو على حدّ الشرك بالله[٦].

خطوات الإمام الهادی (علیه السلام)

ثم كان للخطوات التي اتخذها الإمام الهادي (عليه السلام) الدور البارز في إعطاء الصيغة الاجتماعية الكاملة لمرجعية العلماء ـ فقد قال(عليه السلام): لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام)من العلماء الداعين إليه و الدالّين عليه و الذابّين عن دينه بحجج الله، و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته، و من فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلاّ ارتدّ عن دين الله و لكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عندالله عزوجل[٧].
إنّ الأساس و المرتكز الذي تقوم عليه فكرة إرجاع الشيعة إلى الفقهاء العدول هو: أن الأجيال المسلمة تحتاج باستمرار إلى المرشد و الموجّه و المفكّر المُدبّر كي يعطيهم تعاليم دينهم و يرتفع بهم إلى المستوى المطلوب في ايمانهم و عقيدتهم ويشرح لهم إسلامهم و يوجّههم في سلوكهم إلى العدل و الصلاح ورضا الله عزّوجل[٨].

خطوات الإمام العسکری (علیه السلام).

ثمّ نجد أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان يوجّه القواعد الشعبيّة للرجوع إلى الفقهاء و تقليدهم و أخذ معالم دينهم عنهم بعد أن يذكر الصفات التي يجب أن يكونوا عليها بقوله(عليه السلام):
«فأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه»[٩].
و بهذه الخطوات أكمل الإمام العسكري (عليه السلام) الدور الموكّل إليه في هذه المرحلة المهمّة من تأريخ الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ مدرسة علمية لها الدور الأكبر في حفظ تراث أهل البيت(عليهم السلام) و مبادىء الإسلام أوّلا، ومن ثمّ كان لها الأثر الكبير في نشر فكرة الغيبة وتهيئة الذهنية العامّة لتتقبلّها ثانياً، كما كان لها مساهمة فعّالة في توجيه شيعة الإمام (عليه السلام) بالرجوع إلى الفقهاء الذين هم حصن الإسلام الواقي للمسلمين من الأعداء ثالثاً.
و بعد الغيبة الكبرى ظهرت الآثار الايجابية لمدرسة الإمام العسكري (عليه السلام)وتعاليمه ووصاياه في التزام الشيعة و أتباع أهل البيت(عليهم السلام) بخط المرجعية الرشيدة.

مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإمامية

و يعدّ مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإمامية مظهراً لواقعية هذا المذهب في قدرته على الحفاظ على روح التشريع والرسالة الإسلامية بعد غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام) و إلى اليوم الذي يملأ الله به الأرض عدلا و قسطاً بعد ما ملئت جوراً و ظلما.

---

٥ . يراجع كشف الغمة، علي بن محمد السمري ٣ : ٢٠٧.
٦ . وسائل الشيعة، الحر العاملي، كتاب القضاء ٣ : ٤٢٤.
٧ . الاحتجاج ٢ : ٢٦٠.
٨ . الغيبة الصّغرى : ٢١٩.
٩ . تفسير الإمام العسكري: ١٤١.

استشهاد الإمام العسكرى (عليه السلام).

و بعد أن أدّى الإمام العسكري(عليه السلام) مسؤوليته بشكل كامل تجاه دينه وأمّة جده (ص) و ولده(عليه السلام) نعى نفسه قبل سنة ستين و مئتين، و أخذ يُهدّيء روع والدته قائلا لها: لابد من وقوع أمر الله لاتجزعي...و نزلت الحادثة كما قال، والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن اعتلّ (عليه السلام)في أوّل يوم من شهر ربيع الأول من ذلك العام[١٠]. و لم تزل العلة تأخذ منه والمرض يثقل عليه حتّى توفي في الثامن من ذلك الشهر، و روي أيضاً أنّه قد اغتيل بالسمّ من قبل السلطة إذ دس السم له المعتمد العباسي الذي كان قد أزعجه تعظيم الامّة للإمام العسكري و تقديمهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين فجمع رأيه على القتل، و لم يخلفّ غير ولده أبي القاسم محمد (الحجة) وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين حيث آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب[١١].
و دفن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) إلى جانب أبيه الإمام الهادي(عليه السلام)[١٢]. في سامرّاء، و قد ذكر أغلب المؤرّخين أنّ سنة وفاته كانت (٢٦٠ هـ) و أشاروا إلى مكان دفنه، دون إشارة لسبب وفاته[١٣]، بالرغم من أنه كان صحيحاً سالماً و في عمر الشباب حيث لم يتعد عمره الثامنة والعشرين.

الصلاه على الإمام العسكرى (عليه السلام).

و كان لاستشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) صدى كبير في سامرّاء حيث عطّلت الأسواق وسارع العامّة والخاصّة مهرعين إلى بيت الإمام (عليه السلام)، *ويروي أحمد بن عبيد* واصفاً ذلك اليوم العظيم قائلا: «ولما رُفع خبر وفاته، ارتجّت سرّ من رأى، و قامت ضجّة واحدة: «مات ابن الرضا[١٤]، و عطّلت الأسواق، و غلّقت أبواب الدكاكين وركب بنو هاشم و الكتّاب و القوّاد و القضاة و المعدّلون و ساير الناس إلى أن حضروا جنازته فكانت سر من رأى شبيهاً بالقيامة»[١٥].
و بعدما جُهّز الإمام العسكري (عليه السلام) خرج عقيد خادمه، فنادى جعفر بن علي فقال: ياسيّدي! قد كُفّن أخوك، فقم وصلِّ عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله، يتقدّمهم عثمان بن سعيد العمري وهو أحد وكلائه (عليه السلام) ولما دخلوا الدار فإذا بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن علي ليصلّي عليه، فلما همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة بشعره قطط، وبأسنانه تفليج ـ فجذب رداء جعفر و قال (عليه السلام):
«ياعمّ! أنا أحقّ بالصّلاة على أبي، فتأخّر جعفر وقد أربدّ وجهه واصفرّ، فتقدّم الصبيّ فصلّى على أبيه (عليه السلام)»[١٦].
و لما أخرج نعش الإمام العسكري (عليه السلام) صلّى عليه أبو عيسى بن المتوكّل[١٧]، بأمر الخليفة المعتمد العباسي ، تمويهاً على الرأي العام و تغطية على استشهاد الإمام (عليه السلام) و كأنّ السلطة ليس لها في ذلك يد، بل على العكس فقد أظهرت اهتماماً كبيراً أيّام مرض الإمام (عليه السلام) حتّى خرج كبار رجال البلاط العباسي مشيّعين و لكن مثل هذه الأمور لايمكن أن تنطلي على شيعة الإمام و مواليه و هكذا غالبية المسلمين الذين عاصروا الأحداث المؤلمة التي واجهها الإمام (عليه السلام) من قبل السلطة من سجن و تضييق.

الخلاصه

١ـ كان همّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الكبير هو إعداد الشيعة للمرحلة القادمة، وهى مرحلة الغيبة وما تتطلّبه من إعداد ومنهج خاصين.
٢ـ إنّ أحد أهم الأهداف الأساسية في منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو إنشاء جماعة صالحة تمثل خطّهم الفكري والعقائدي والأخلاقي، فكان الإمام العسكري (عليه السلام) امتداداً لآبائه وأجداده (عليهم السلام)في هذا النّشاط والتحرك، فقد أعدّ جماعة من الثقات رواة وفقهاء، تمثلت فيهم مدرسة علمية واصلت مسيرة الإمام (عليه السلام) بعد رحيله (عليه السلام)، ممهدة وعاملة لاحياء مدرسة ومذهب أهل البيت.

---

١٠ . الارشاد: ٣٣٥ ومهج الدعوات: ٢٧٤.
١١ . الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ٣١٤ عن وفياة الاعيان لابن خلكان.
١٢ . المنتظم، عبدالرحمن بن علي الجوزي ٧ : ١٢٦.
١٣ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٤ : ٤٥٤ والطبري ٧ : حوادث سنة (٢٦٠ هـ).
١٤ . كمال الدين ١ : ٤٣.
١٥ . الفصول المهمّة: ٢٧١.
١٦ . كمال الدين ٢ : ٤٧٥.
١٧ . بحار الأنوار ٥٠ : ٣٢٨.

٣ـ تبلور هذا التحرك الشريف في قيادة الفقهاء للأمّة في عصر الغيبة الكبرى؛ حيث أرجع الإمام المهدي (عليه السلام) في أحد التواقيع المباركة له الجماعة الصالحة إلى الفقهاء الذين يمثلون خطه وخط آبائه(عليهم السلام).
٤ـ من هنا نجد التحام الجماعة الصالحة بالعلماء وفقهاء أهل البيت على امتداد التاريخ، وإنّ الاضطراب الذي حصل عند استشهاد الإمام (عليه السلام) في سامراء يعكس لنا المنزلة الاجتماعية الكبيرة التي كان يتمتع بها الإمام (عليه السلام)في وقته.
٥ـ توفي الإمام (عليه السلام) في الثامن من شهر ربيع الأول ، وروي أيضاً أنّه قد اغتيل بالسمّ من قبل السلطة إذ دس السم له المعتمد العباسي.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامی(2)

الدرس 46

الإمام المهدی (عج) : الولاده المباركه

المقدمه

انتهينا بحمده ومنه من تاريخ علم آخر من أعلام بيت النبوة والحي وهو الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ونبدأ هذا الدرس بتاريخ الإمام من بعده ، وهو الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)، حيث نتناول الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، بدأ بإطلالة عامة نلقي فيها نظرة على ولادته عليه السلام، حيث وقع فيها الكثير من الكلام والتشكيك من قبل البعض.

المحتوى العلمى

أ ـ أمّ الإمام المهدى (عج)

لقد ذكرت الروايات المختلفة أن أُمّ الإمام المهدي (عج) رومية الأصل وكانت من سبايا الروم و جُلِبت بواسطة الفتح الإسلامي ثم اشتراها الإمام الهادي(عليه السلام).
و يرجع نسبها من حيث الأب إلى ملك الروم قيصر، و والدها هو (يشوع)، كما أنّ أمها تنتهي بنسبها إلى شمعون وصي السيد المسيح (عليه السلام) .
و كانت سيدة زكية من سيدات نساء المسلمين في تقواها وورعها وايمانها وطهارة نفسها، و يكفيها فخراً انها كانت وعاءً للإمام الحجة بن الحسن (عليهما السلام) الذي سوف يصلح الله به الدنيا ويملأها عدلاً وقسطاً بعدما تملأ ظلماً وجوراً.
و قد نقل الرواة أسماءً كثيرة لهذه السيدة الزكية الكريمة وإن اشتهرت بـ (نرجس)[١]. كانت تدعى بـ (صيقل) و(سوسن) و(مليكة) و(ريحانة).. وغيرها[٢].

ميلاد الإمام المهدى(عج) و الظروف المحيطه به

ولد الإمام المهدي (عج) عند الفجر في النصف من شعبان
أما سنة ولادته فالمشهور إنّها سنة (٢٥٥ هـ)[٣]. و الموافق (٨٦٩ م)، و ورد في بعض المصادر أنّها كانت سنة ٢٥٦[٤]،و في حالة وقوع تناف في الروايات فإنه ينبغي الأخذ بالمشهور[٥]. أي: أنّ ولادته (عج) هي سنة (٢٥٥ هـ).
و بذا تكون ولادته (عج) بعد وفاة جدّه الإمام الهادي (عليه السلام) بحوالي عام واحد، و بعد تولي المهتدي العباسي سدّة الحكم بأقل من شهر، حيث استخلف المهتدي لليلة بقيت من رجب و ولادة الإمام المهدي(عج) في النصف من شعبان، وبقي المهتدي في الحكم سنة واحد،ة حيث نحاه الأتراك وبايعوا المعتمد سنة (٢٥٦ هـ) الذي بقي[٦]في الحكم ثلاثاً و عشرين سنة حتى عام (٢٧٩ هـ).

إتجاهان فى نشاط الإمام (عج) خلال الفتره التى عاشها فى ظلال أبيه (عليه السلام).

عاصر الإمام المهدي (عج) خمس سنوات من حياة أبيه حيث كان استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ) كما ذكرنا سابقا.
أمّا بالنسبة لنشاط الإمام (عج) خلال هذه الفترة التي عاشها في ظلال أبيه (عليه السلام)، فقد انصب باتجاهين بارزين من خلال تتبّع أحداث التاريخ لتلك الحقبة من حياته الشريفة:
الاتجاه الأوّل: الحذر التام تجاه تحرّكات السلطة العباسية.
الاتجاه الثاني: التعرّف على خواصّ أبيه (عليه السلام) مع التكتم وإخفاء ولادته عن الجميع سوى خواصّ الإمام العسكري(عليه السلام).

١ . كمال الدين، الصدوق، محمد بن علي ٢ : ٤٢٤ وما بعدها.
٢ . الغيبة، الطوسي، محمد بن الحسن : ١٢٤ ـ ١٢٨ و مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٥٣٤ .
٣ . الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب ١ : ٥١٤ و كمال الدين للشيخ الصدوق ٢ (ميلاد الإمام المهدي(عج)).
٤ . كمال الدين، للشيخ الصدوق ٢ : ٤٣٠.
٥ . الغيبة الصغرى، محمّد الصدر : ٢٦١.
٦ . تاريخ الأمم والملوك أحداث، الطبري، محمد بن جرير (٢٧٩ ـ ٢٥٥ هـ).

الروایات التی تحدثت عن کیفیه ولادته (عج):

و يتعزّز لدينا ذلك ـ أي: نشاط الإمام (عج) ـ من خلال الروايات التي تحدثت عن كيفية ولادته(عج):

ففي أحد الأيام زارت السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري (عليه السلام) بيت الإمام (عليه السلام) وصادفت زيارتها الليلة التي ولد فيها الإمام المهدي(عج) وطلب الإمام العسكري من عمّته أن تبقى بعد أن أخبرها بأنه سيولد في هذه الليلة المولود الكريم على الله عزّوجلّ وعليهم، حجّة الله في أرضه، فتسأله العمّة ومَنْ أمه(عج)؟ فيقول لها الإمام(عليه السلام): نرجس! فتنفي العمة أن يكون بنرجس أثر للحمل، فيؤكد لها الإمام ذلك قائلاً، هو ما أقول لك، فتفحصها العمة جيداً فلا تجد أثر الحمل، فتعود فتخبره تارة أخرى.

فيتبسّم الإمام العسكري(عليه السلام) ويعطيها الحجّة الوافية والمبرّر الإلهي الصحيح في ذلك قائلاً: «إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل... لأن مَثَلَها كمَثَل أمّ موسى(عليه السلام) حيث لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت الولادة; لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحوامل في طلب موسى(عليه السلام) و هذا نظير موسى(عليه السلام)»[٧].

كما أنّ المعتمد العباسي كان قد أرسل قوابل لفحص نساء الإمام (عليه السلام) و لم يتعرّفن عليها.

إنّ تحديد الإمام العسكري (عليه السلام) وقت ولادة الإمام المهدي (عج) بالفجر لعمّته، ربّما يستشف منه زيادة الحذر والخفاء حيث أنّ مثل هذا الوقت تكون القوابل وعيون السلطان وجلاوزته غاطّة فيه في نوم عميق، فضلاً عن قلّة النشاط والحركة في مثل هذا الوقت، وبعد أن سمعت السيدة حكيمة تأكيد الإمام (عليه السلام) عادت إلى السيدة نرجس فأخبرتها بما قال أبو محمد (عليه السلام) وسألتها عن حالها، فأجابت نرجس: يامولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا، ثم إنّ نرجس نامت وقامت حكيمة بصلاة الليل وجلست للدعاء عقيبها، وهي في كل ذلك ترقب حالة نرجس فلا ترى عليها إلاّ النوم الهادئ، لا تقلب جنباً عن جنب حتى إذا كان الفجر، وثبت نرجس من نومها فزعةً فضمّتها حكيمة إلى صدرها، وقالت لها: هل تحسّين بشيء؟

قالت: نعم يا عمّة: وهنا يأمر الإمام العسكري(عليه السلام) عمّته أن تقرأ سورة الدخان والتي تبدأ بقوله تعالى:

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة مُبَارَكَة إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}.

و في قراءة هذه الآيات المباركات يتّضح لنا ما كان يهدف إليه الإمام العسكري (عليه السلام) من بيان المناسبة ومقتضى الحال وهي ولادة المصلح والمنقذ المنتظر (عج) الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد في أحاديث كثيرة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) نقلها أصحاب الصحاح والسنن فضلاً عمّا رواه محدّثوا الإمامية. وحينما حان وقت الميلاد الميمون، حدث أمرٌ بين السيدتين بحيث لم تطّلعْ عمّةُ الإمام (عليه السلام) على نرجس وحالها.

و قد عبّر عن ذلك في بعض الروايات بالفترة... وهي نوع من الغفلة أو النعاس... أصابتهما معاً و صورت السيدة حكيمة هذه الحالة في رواية أُخرى بقولها: حتى غُيّبت عني نرجس فلم أرها كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب، وتنتبه السيدة حكيمة فتجد الإمام المهدي(عليه السلام) ساجداً لله على الأرض وهو يردّد الآية المباركة

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[٨].

و لابدّ من الإشارة إلى أنّ أكثر الروايات[٩] تشير إلى أنّ ولادة الإمام (عج) تمت ولم يكن في وقتها غير السيدة حكيمة قريبة من أم الإمام (عج) وأنّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كان منشغلاً بالصلاة و الدعاء و هو ينتظر المولود الكريم، بَيْدَ أنّ هناك رواية تصرّح باستقدام قابلة ـ كانت تسكن بجوار منزل الإمام العسكري (عليه السلام) ـ بشكل محاط بالكتمان للقيام بشأن أُمّ الإمام (عج) حال ولادتها. و ليس في هذا ما ينافي الروايات القائلة بإخفاء ولادته[١٠].

ب ـ الأخبار الدالّة على إخفاء ولادة الإمام (عج).

لقد وردت أخبار كثيرة تشير إلى غيبة الإمام المهدي (عج)، و قد تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، و هناك أحاديث أخرى تضمّنت الإخبار عن خفاء مولده(عج).

ومن هذه الروايات والأخبار:

١ ـ ما جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: «إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة،

---

٧ . الغيبة، للشيخ الطوسي : ١٢٠.
٨ . القصص: ٥ .
٩ . يراجع كمال الدين للشيخ الصدوق باب ميلاد الإمام المهدي(عج)، وغيبة للطوسي: ١٢١.
١٠ . راجع الغيبة الصغرى، محمّد الصدر : ٣٦٨.

فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[١١].
٢ ـ و ما عن الإمام علي بن الحسين سيد العابدين (عليهما السلام) أنّه قال: «القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعدُ»[١٢].
٣ ـ و ما عن عبدالله بن عطاء حيث قال: قلت لأبي جعفر ـ أي محمد الباقر(عليه السلام) ـ إنّ شيعتك بالعراق كثيرون فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لاتخرج؟
فقال(عليه السلام): «ياعبدالله بن عطاء! قد أمكنت الحشو من أذنيك والله ما أنا بصاحبكم»، قلت: فمن صاحبنا؟ قال(عليه السلام): «انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم»[١٣].

علّه إخفاء ولادته (عج).

إنّ قضيّة الإمام المهدي (عج) بكل أبعادها ومظاهرها قضية تتعلّق بإرادة الله سبحانه و حكمته فهو أعلم حيث يجعل رسالته، و هي من القضايا العامة التي اهتمت الديانات بها، و بشّر الأنبياء بظهور المصلح المنتظر الذي يزيل الظلم وي قيم دولة الحق، فهي ليست قضيّة إسلامية خاصّة ولا هي من معتقدات الشيعة الإمامية فحسب، فالتوراة تضمّنت البشارة به و كذا الأناجيل الأربعة، بيد أنّ وضوح الرؤية حول هذه العقيدة تجلّت بكل أبعادها ـ فيما عدا التوقيت بظهور الإمام (عج) ـ بما تناقله المسلمون على امتداد التاريخ الإسلامي منذ البعثة حتى يومنا هذا.

ما أُثر عن أهل البيت (عليهم السلام) فی علّه إخفاء ولادته (عج).

أمّا بخصوص العلّة في إخفاء ولادته فقد أُثر عن النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ما يوضّح السبب والعلّة في إخفاء ولادته(عليه السلام):
١) عن *أبي بصير*، عن أبي عبدالله أي الإمام الصادق ـ(عليه السلام) قال: «صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»[١٤].
٢) و عن الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) أنّه قال: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي ـ أي الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)ـ كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه. قلت له: ولِمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يُغيّب عنهم، فقلت: ولِمَ؟ قال: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»[١٥].
٣) عن *حنان بن سدير*، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنّ للقائم غيبة يطول أمدها، فقلت له: يابن رسول الله ولِمَ ذلك؟ قال: لأن الله أبى إلاّ أنّ تجري فيه سنن الأنبياء(عليهم السلام) في غيباتهم، وإنه لابد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالى:
(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق)
[١٦] أي: سنن من كان قبلكم»[١٧].
٤) وعن *زرارة* قال: سمعت أبا جعفر ـ أي: الإمام الباقر (عليه السلام) ـ يقول: «إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ ، قال زرارة: يعني القتل»[١٨].
إنّ هذه الأحاديث الشريفة كلّها تفيد أنّ علّة إخفاء الولادة وأنّ سبب الغيبة ترجع إلى أمرين:
الأوّل: أن لا تكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه.
الثاني: الخوف من القتل.

الإمام العسکری (علیه السلام) وضروره الإعلان عن الولاده.

على الرغم ممّا أُحيط به الميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء نجد أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) لايكتم ذلك عن خاصته من ثقاته، فهو يأمر أبا عمر عثمان بن سعيد، وهو من أخص أصحابه لديه بأن يعقّ عن المولود الجديد عدداً من الشياه وأن يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطلاً لحماً

---

١١ . كمال الدين، للشيخ الصدوق ١ : ٣٠٣.
١٢ . كمال الدين ١ : ٣٢٣.
١٣ . المصدر ١ : ٣٢٥.
١٤ . كمال الدين ١ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
١٥ . المصدر ٢ : ٤٨٠ .
١٦ . الانشقاق : ١٩.
١٧ . كمال الدين ٢ : ٤٨١.
١٨ . نفس المصدر .

ويوزّعه على الفقراء ـ كما أرسل الإمام العسكري(عليه السلام) شاة مذبوحة إلى محمد بن ابراهيم الكوفي، وهي عقيقة عن المولود الجديد[19].

ويتباشر أصحاب الإمام العسكري بميلاد الإمام المهدي(عليهما السلام) ويأتون الإمام مهنئين بالمولود، ويتواصون فيما بينهم بكتمان الأمر، و يسأل أحدهم عن اسمه (عليه السلام) فيقال له سُمِّي: بـ «محمد» و كني: «بأبي جعفر».

اغتيال الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) و اضطراب السلطه

لقد استشهد الإمام العسكري سنة (٢٦٠ هـ) بعد أن سُقي السم من قبل المعتمد العباسي في أوّل ربيع من تلك السنة حيث بدأت العلّة وثقل المرض عليه حتى التحق (عليه السلام) بالرفيق الأعلى في الثامن من ربيع الأوّل[20].

و اضطربت السلطة حينما اعتلّ الإمام (عليه السلام) و أوعز المعتمد إلى خمسة من ثقاته و رجال دولته منهم (نحرير) بملازمة دار الإمام (عليه السلام) و التعرّف على خبره وأحواله، و إخباره بكل بادرة تحدث،كما أرسل مجموعة من الأطبّاء لتُجري الفحوص و تُشرف عليه صباحاً و مساء، و عهد إليهم أن لا يفارقوه، كما أرسل قاضي القضاة وعشرة أشخاص ممّن يثق بهم و أمرهم بملازمة دار الإمام (عليه السلام)[21].

و ممّا تجدر الإشارة إليه أنّه بمجرّد اعتلال الإمام وصل الخبر إلى وزير المعتمد، عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فركب مباشرة إلى البلاط لكي يخبر الخليفة بمرض الإمام (عليه السلام) و بعد إخباره أصدر أمره بإرسال الأطبّاء و غيرهم[22].

إنّ إرسال هذا العدد مضافاً إلى خدم بعثهم الوزير يشير إلى أنّ السلطة كانت تسعى لمعرفة أمر غير مسألة وفاة الإمام العسكري (عليه السلام)، وهو الوقوف على ولده لأنّها كانت تجهل ولادته و تعرف بأنّ حالة الإمام (عليه السلام) ستؤدي به إلى الموت حتماً.

و بالرغم من بقاء هؤلاء في دار الإمام (عليه السلام)، فإن وجودهم لم يمنع الإمام (عليه السلام) من أداء دوره، حيث كتب مجموعة من الكتب و أرسل بعضها إلى المدينة وأُخرى إلى المدائن وهي تحمل ما يخططه إلى مرحلة حرجة بعد وفاته تتعلّق بدور ولده وموقف القواعد الشعبية منه. و قد تمكّن الإمام العسكري (عليه السلام) من إخفاء ما يتعلّق بولده (عليه السلام) عن أعين السلطة و لم يحسّوا بشيء، فلم يكن مع الإمام (عليه السلام) في مرضه سوى زوجته و عقيد الخادم، و قد أدّى صلاة الفجر والتحق بالرفيق الأعلى مودّعاً ولده و موكلاً أمره للرعاية الإلهية[23].

تجهيز الإمام العسكرى (عليه السلام) وتشييعه ودفنه (ظهور الإمام علنا فى).

لما بلغ أهل سامراء نبأ استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) ضجّت البلدة بأهلها فإنّ الجميع كانوا يقرّون بزهده و ورعه و عبادته و بشرف نسبه، و لا يختلفون في ذلك على مختلف مستوياتهم ـ الخاصّة والعامّة ـ فتعطّلت الأسواق واجتمع الناس لتشييع جثمان الإمام (عليه السلام).

و قبل تشييعه صلّى عليه ولده المهدي (عج) مع جمع من أصحابه ومواليه بعيداً عن المستوى الرسمي الذي أعدّته السلطة.

و قبل صلاة الإمام المهدي (عج) على أبيه خرج عقيد الخادم ودعا (جعفر بن علي) أخا الإمام العسكري وعمّ الإمام المهدي (عليه السلام) .

و كان جعفر يرى أنّ الإمام العسكري ليس له خلف ظاهر ووريث واضح، ممّا دفعه ذلك للصلاة و الوقوف أمام الناس بقبول التعزية بأخيه و التهنئة بالإمامة، غير أنّ تخطيطه لم يفلح حيث تصدّى الإمام المهدي (عج) له عند دخوله للصلاة على أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) و نحّاه عن جنازة أبيه و شاهد المجتمعون داخل البيت صبياً يخرج و بوجهه سمرة و بشعره قطط و بأسنانه تفليج، يجذب رداء عمّه جعفر ويتقدّم للصلاة على أبيه (عليهما السلام).

و بعد أن أدى الإمام (عج) الصلاة أُخرج جثمان الإمام العسكري (عليه السلام) للجمهور، ثم تمَّ تشييعه و حمله إلى مثواه الأخير و قد دفن إلى جنب أبيه الهادي (عليهما السلام).

الخلاصه

---

١٩ . كمال الدين ٢ : ٤٣٢ وما بعدها.
٢٠ . المنظتم في تاريخ الملوك والأُمم لإبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ٧ : ١٣٦.
٢١ . الإرشاد: ٣٨٣.
٢٢ . إعلام الورى، الطبرسي : ٣٦٠.
٢٣ . كمال الدين ٢ : ٤٣٧.

١ـ كانت ولادة الإمام (عج) في النصف من شعبان سنة (٢٥٥ هـ)، أي: بعد استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) سنة واحدة وكان ذلك بدرجة عالية في الكتمان وعدم وضوح علامات الحمل على أُمّ الإمام (عليه السلام) واستغراب السيدة حكيمة عمة الإمام العسكري (عليه السلام) من حالتها وقد حضرت ولادتها وقدمت الوليد المبارك إلى أبيه (عليه السلام) وأجرى له مراسيم الولادة.
٢ـ كما وردت الأخبار عن الرسول (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) عن غيبة الإمام المهدي (عج)، جاءت نصوص أُخرى تخبر بخفاء ولادته عن الأُمّة، لتوضح مسيرة حياة الإمام (عليه السلام) وموقف القواعد الشعبية الموالية والأُمة من حيث الإيمان به حتى إذا جاء وقت الولادة والغيبة لاتشك الأُمة ولا ترتاب في وجوده(عج) نظراً للإعداد اللازم لذلك.
٣ـ أوضحت أحاديث أُخرى العلة والسبب في خفاء ولادته ويمكن حصر ما ورد فيها في علتين:
الأُولى: حتى لا تكون بيعة في عنق الإمام(عج) لطاغية زمانه.
الثانية: مخافة القتل على نفسه فيما لو انكشف أمره للناس.
٤ـ على الرغم ممّا أُحيط به الميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء نجد أنّ الإمام العسكري(عليه السلام) لايكتم ذلك عن خاصته من ثقاته.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 47

الإمام المهدى (عج) يتسلّم زمام الأمر

المقدمه

بدأنا الدرس السابق بتاريخ الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)، حيث تناولنا بعض الخطوط العامة في تاريخه عليه السلام، حيث قمنا بإطلالة عامة ألقينا فيها نظرة على ولادته عليه السلام، حيث وقع فيها الكثير من الكلام و التشكيك من قبل البعض.
و ما نريد التعرض إليه في هذا الدرس هو مسألة تسلم زمام الأمور من قبل الإمام عليه السلام.

المحتوى العلمى

عمر الإمام المهدى (عج) حين تسلّمه مهامّ الإمامه

كانت ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) سنة (٢٥٥ هـ أو ٢٥٦ هـ)[١]، و عاش في ظلال أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) خمس سنوات ، حيث استشهد أبوه عام (٢٦٠ هـ)[٢] فيكون عمره الشريف حين تسلّمه مهام الإمامة خمس سنوات .

بدء الغيبه الصغرى ومميزاتها

يؤرخ لبدء الغيبة الصغرى بوفاة الإمام العسكري (عليه السلام)، فهي مقترنة بتولّي الإمام المهدي (عج) مهامّ الإمامة، و قد بدأها الإمام (عليه السلام) بتنصيب وكيله الأول عثمان بن سعيد العمري عندما قابله وفد القمّيين، و سمّيت هذه الفترة بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام كليّاً، حيث كان يتصل بقواعده عن طريق وكلائه ونوّابه.

المميزات:

و يمكن أن نُجمل مميزات هذه الفترة ـ الغيبة الصغرى ـ بالنقاط التالية:
١ ـ بدأت بتولي الإمام المهدي (عج) للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد ارتحال أبيه(عليه السلام)، لكي يتولّى مسؤوليّته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصة و البشرية كلها عامة إلى شاطئ الأمن والعدل.
٢ ـ كان الإمام (عج) يتصل في هذه الفترة بعدد من ثقاته وخاصته ولم يكن احتجابه مطلقاً، حيث يبدأ استتاره بعد نهاية هذه الفترة أي سنة (٣٢٩ هـ) بعد وفاة النائب الرابع علي بن محمد السمّري.
٣ ـ وجود السفراء الأربعة الموكّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي (عج) إلى الناس من قواعده الشعبية، بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي (عج) نفسه أو من قبل آبائه (عليهم السلام). فكان كل ما يصدر عن الإمام (عج) و يرد عليه من قواعده يتم بتوسط هؤلاء السفراء.

الملامح العامه لعصر الغيبه الصغرى

مستويان للملامح العامه لعصر الغيبه الصغرى

و يُقصد بالملامح العامة أبرز الحوادث والظواهر التي تميّز بها هذا العصر على المستوى الخاص (الكيان الشيعي) بقيادة الإمام المهدي (عج) و سفرائه و على المستوى العام الذي يشمل حالة الدولة بطبقاتها المختلفة و أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية، و استتباب الأمن أو الاضطرابات و الانتفاضات و يشمل الأُمّة أيضاً و وضعها و موقفها من الدولة و الأحداث التي مرّت بها خلال هذه الفترة التي امتدت سبعين عاماً تقريباً أي من وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ) و حتى وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري عام (٣٢٩ هـ)[٣].

---

١ . إعلام الورى ٢ : ٢١٤.
٢ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٧ : ١٢٦.
٣ . تاريخ الطبري، احداث السنوات (٢٦٠ هـ ـ ٣٢٩ هـ).

أهم الملامح :

1 ـ تعيّن الوكاله الخاصه ـ السفاره:

عن الإمام المهدي (عج) في أربعة من خيار خلق الله وخاصّته وهم:
أ ـ عثمان بن سعيد العمري (لم تعرف سنة وفاته(رضي الله عنه) بغداد).
ب ـ محمد بن عثمان العمري المتوفى سنة (٣٠٤ هـ أو ٣٠٥ هـ) ببغداد.
ج ـ الحسين بن روح النوبختي / المتوفى سنة (٣٢٠ هـ) ببغداد.
د ـ علي بن محمد السمري / المتوفي سنة (٣٢٨ هـ أو ٣٢٩ هـ) ببغداد.

2 ـ كثره الخلفاء:

تولّى الخلافة خلال هذه الفترة ستّة من خلفاء بني العباس أولهم المعتمد الذي عاصر وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) و مبدأ الغيبة الصغرى حتى عام ٢٧٩، حيث آلت الخلافة إلى المعتضد حتى سنة (٢٨٩ هـ)، و استخلف المكتفي إلى سنة (٢٩٥ هـ)، و بعده المقتدر إلى سنة (٣٢٠ هـ)، ثم القاهر بالله حتى سنة (٣٢٢ هـ)[٤]، ثم الراضي حتى عام ٣٢٩، وهو عام وفاة النائب الرابع علي بن محمّد السمري(رضي الله عنه)ونهاية العهد الذي نؤرّخ له.

3 ـ ضعف الخلافه العباسيه:

وسيطرة الموالي والأتراك على دقّة الحكم ومقاليد الأُمور و تأثيرهم في نصب وعزل الخليفة، فكما كانوا الساعد الأيمن للدولة كانوا عاملاً مهمّاً في ضعفها وانحلالها.

4 ـ قتل الخلفاء:

إذ قلما كان يموت خليفة حتف أنفه، فالمعتمد كان يكثر من الأكل فمات مبطوناً[٥]. والمعتضد مات مسموماً من قبل إحدى جواريه[٦] . والمقتدر مات بشرٍّ قتلة من قبل المغاربة و البربر، و قال لهم: و يحكم أنا الخليفة! فقالوا: قد عرفناك يا سفلة. أنت خليفة ابليس، و قتلوه و أخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة إلى أن مرَّ به رجل فستره بحشيش، ثم حفر له موضع و دفن وعفى قبره[٧]. و القاهر العباسي تولّى الحكم يومين و عاد أخوه المقتدر للحكم و قال له: لو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر، وبكى القاهر، وقال: «يا أمير المؤمنين، نفسي نفسي، اذكر الرحم الذي بيني وبينك»[٨].

5 ـ كثره الحروب والاضطرابات الداخليه:

التي كان يقوم بها المعارضون للدولة من الأكراد، والخوارج والأعراب وغيرهم، وكذا من الخارجين عليها الطامعين في الملك والسيطرة، حتى أنّ بعض الأقاليم استقلّت عن السلطة المركزية للدولة، فهذا مرداويج يخرج في فارس ويملك طول البلاد وعرضها.

6 ـ انتقال الخلافه من سامراء إلى بغداد حيث بويع للمعتضد أبي العباس بن الموفّق في بغداد سنة (٢٧٩ هـ)، وفقدت سامراء مركزها التاريخي الذي بدأ في خلافة المعتصم.

7 ـ نهايه ثوره الزنج وقتل صاحبها على بن محمد بعد أن عاث في البلاد فساداً وقتلاً واستعبد الناس حيث كان بدء خروجه سنة (٢٥٥ هـ) وقتل سنة (٢٧٠ هـ)[٩].

8 ـ نهايه الدوله الطولونيه:

شهد هذا العصر أيضاً نهاية الدولة الطولونية في مصر، والتي بدأت سنة (٢٥٤ هـ) في عهد المعتز وكان مؤسّسها *أحمد بن طولون* التركي حيث كان والياً عليها، مستقلاً عن عاصمة الخلافة بغداد واستمر في الحكم حتى مات مبطوناً سنة (٢٧٠ هـ)[١٠].

---

٤ . تاريخ الطبري، احداث السنوات (٢٦٠هـ ـ ٣٢٩هـ).
٥ . الكامل في التاريخ ٦ : ٧٣.
٦ . مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٨٤.
٧ . الكامل في التاريخ ٦ : ٢٢١.
٨ . المصدر ٦ : ٢٠٢.
٩ . المصدر ٦ : ٥١ ـ ٥٣ .
١٠ . المصدر ٦ : ٥٥ .

و بقيت الدولة الطولونية حتى سنة (٢٩٢ هـ) حيث استولى الخليفة المكتفي على دولتهم و أموالهم و ولى مصر يحيى *النوشري* وبذلك انقرضت هذه الدولة.

9 ـ ظهور مدعى المهدويه:

فقد ظهر شخص في شمال افريقيا يدّعي أنّه هو المهدي و أنّه من ذرية إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، و هو جدّ الفاطميين في مصر و قد استولى على أراض واسعة الأرجاء سنة (٢٩٦ هـ)، بعد أن مهّد له *أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء* وقضى على دولة آل الأغلب في تلك المنطقة و طرد آخر أمرائها زيادة الله بن محمد[١١]. و ملك قسماً كبيراً من الشمال الافريقي بما يقابل ليبيا و تونس و الجزائر من الدول المعاصرة، و بعد أن استتبت له الأمور رفع يد أبي عبد الله الشيعي ويد أخيه أبي العباس، فسعى الأخير إلى التشكيك في مهدويّته قائلاً: «إنّ هذا ليس الذي كنّا نعتقد طاعته و ندعو إليه، لأن المهديّ يختم بالحجّة و يأتي بالآيات الباهرات»، فوقع قوله هذا في قلوب الناس و تأثّروا به، حتى أنّ شيخ المشايخ من كتامة قال لمدّعي المهدوية، إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فلم يمكن منه إلاّ أنّ قتل شيخ المشايخ هذا[١٢].

و كان للمهدي هذا جولات مع الدولة لاحتلال مصر في سنة (٣٠١ ـ ٣٠٧ هـ)، و احتل قسماً من المغرب سنة (٣١٥ هـ)، و توفي سنة (٣٣٣ هـ) بعد أن قاتل أبا يزيد الخارجي[١٣].

و من الطريف أن تقع دولة هذا المهديّ و إدّعاءه للمهدوية في خلال عصر الغيبة الصغرى للإمام المهدي(عج).

10 ـ ظهور القرامطه:

و هم فرقة من الإسماعيلية تزعم أنّ محمّد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، وهم من الباطنية، استحلوا أعراض الناس بالسيف والقتل وسلب أموالهم، خلال هجومهم على قوافل الحجاج و قلعوا الحجر الأسود، و يذكر ابن الأثير أنّ صلاتهم كانت تختلف عن صلاة المسلمين و أنّ قبلتهم كانت بيت المقدس و عطلتهم كانت يوم الاثنين[١٤].

و ربما يستفاد من رسالة المهدي محمد بن عبد الله العلوي إليهم وجود صلة وعلاقة بينه و بينهم، حيث أعادوا الحجر الأسود إلى مكانه بعد ورود رسالته إليهم.

11 ـ قيام الدوله البويهيه:

و ذلك سنة (٣٢١ هـ)، و قد اتسعت قيادة و سيطرة عماد الدولة علي بن بويه في فارس و توسع ملك الدولة البويهية نتيجة لذلك[١٥].

12ـ ندره الثورات العلويّه

كان لوجود الأئمّة (عليه السلام) وحضورهم وتوجيههم المباشر و غير المباشر أثراً واضحاً لانفجار الثورات الداعية إلى الرضا من آل محمّد (ص) بنحو استطاع الائمّة (عليه السلام) أن يخفوه عن السلطات الجائرة في الفترة السابقة لعصر الغيبة، ففي خلال أقل من نصف قرن قد ثار عشرون شخصاً، بينما نرى أنّ السبعين سنة التالية لحضورهم تكاد تكون خالية من هذه الثورات.

و إنّ ما ذكره أبو الفرج الاصفهاني عن قتلى الطالبيين في هذه الفترة لا يعني كثرة الخارجين على الدولة، بل إنّ من باشر الحرب منهم لا يزيد عن اثنين أو ثلاثة[١٦].

السبب فى ندره الثورات العلويّه

و يعود السبب فى ذلك إلى أمور:

الأوّل: كثرة الحركات المضادّة للدولة.

و التي كانت تختلف في عقيدتها وأهدافها مع ثورات الرضا من آل محمّد (ص)، ومع اعتزال العلويين الخروج ضد الدولة، كانت الدولة ترمي من تجد في وجوده خطراً عليها بأنه من القرامطة، وهو عنهم بعيد.

الثاني: انتهاء زمن حضور الائمة (عليه السلام).

و أما السبب الثاني الذي هو أهم من الأوّل، فهو يرجع إلى انتهاء زمن حضور الائمة (عليه السلام) و انقطاع اتصالهم بالأمّة بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) وابتداء الغيبة الصغرى. ففي هذه الفترة يلحظ تضاؤل الدافع الثوري و التوجيه القوي إلى التمرّد و القيام بالسيف.

الثالث: عدم الفائدة.

١١ . الكامل في التاريخ ٦ : ١١١.
١٢ . المصدر ٦ : ١٣٤، ٣٣٣، ٣٣٨.
١٣ . نفس المصدر.
١٤ . المصدر ٦ : ٧٠.
١٥ . الكامل في التاريخ ٦ : ٢٣٠.
١٦ . الغيبة الصغرى: ٣٦٢.

و قد يوجه ذلك بأن هدف الثورات العلوية غالباً لم يكن إسقاط النظام القائم بل كانت تلك الثورات لاشغال السلطة و ابعادها عن الضغط على إمام العصر، ليتمكّن من أداء رسالته بإعداد قواعده و الحفاظ على الشريعة. أمّا الوكلاء الأربعة فكانوا حلقة الوصل بين الإمام المهدي (عج) و قواعده و كانوا يهيّئون الأمّة إلى مرحلة تطول ولا يعلم نهايتها إلاّ الله سبحانه، فلابد من إعدادهم و تنميتهم الفكرية و الروحية و البلوغ بهم مرحلة الاستقلال الفكري في مرحلة الوكالة العامة و هي مرحلة الغيبة الكبرى، حيث لا اتصال للأمة بالإمام (عج).

الخلاصه

١ـ تسلم الإمام المهدي (عج) مهامّ الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام العسكري(عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ) وكان عمره الشريف خمس سنوات.
٢ـ في هذا العام ابتدأت الغيبة الصغرى و كان نائب الإمام (عج) الأوّل و وكيله عثمان بن سعيد العمري هو الواسطة فيما بينه وبين قواعده.
٣ـ سمّيت الفترة الممتدة بين (٢٦٠ هـ و ٣٢٩ هـ) حيث وفاة آخر وكلائه بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام(عج) كلياً عن قواعده حيث كان الاتصال يتمّ عن طريق الوكلاء، وقد ادعى بعض الأشخاص الوكالة الخاصة و النيابة عن الإمام المنتظر(عج) و لكن تصدي السفراء إلى محاولات هؤلاء أدى إلى إحباط محاولاتهم و إفشالها، فلم يفلحوا بانتحالهم النيابة وقد قاطعتهم القواعد الشعبية الموالية للإمام.
٤ـ كان لتوجيهات الإمام وبياناته الدور الأكبر في إفشال مخططات الدولة التي وجهت فقهائها في محاولة يائسة لتشويه حقيقة إمامة المهدي(عج) ووجوده وما يتعلق بذلك من طول عمره وصغر سنه عند تولّيه منصب الإمامة .
٥ـ لفترة الغيبة الصغرى ملامح امتازت بها منها: وجود الوكلاء أولاً ومن ثم ملامح تخص العصر وما يتعلق بضعف الخلافة والصراع على السلطة والخروج عليها من قبل المعارضين، كحركة صاحب الزنج والقرامطة وغيرها من الحركات، بيد أنّ الحركات الداعية إلى «الرضا(عليه السلام) من آل محمد (ص) تكاد تنعدم في هذه الفترة، وإن لم تخلُ من تعقّب السلطة للعلويين والشيعة والقتل والتشريد فيهم.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 48

حياه الإمام المهدى(عج) فى الغيبه الصغرى

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في تاريخ الإمام المهدي (عج) ، حيث ألقينا فيها نظرة عليه وهو يتسلم زمام الأمور في مجال الإمامة.
وما نريد التعرض إليه في هذا الدرس هو حياة الإمام المهدي (عج) في الغيبة الصغرى.

المحتوى العلمى

1 ـ صفته

كان سلام الله عليه يوم وفاة أبيه، حين رآه الناس يصلّي على أبيه.. صبيّاً بوجههِ سمرةٌ، بشعرهِ قطط بأسنانه تفليج .
ثمّ وصفه من رآه بعد ذلك خلال غيبته الصغرى، بأنه شاب حسن الوجه طيّب الرائحة، هيوب; و مع هيبته متقرب إلى الناس. قال الراوي: فتكلم، فلم أرَ أحسن من كلامه و لا أعذب من منطقه في حسن جلوسه[١].
و في رواية أُخرى: إنّه شاب أسمر لم أرَ [أحداً] قط في حسن صورته واعتدال قامته[٢].
و في رواية ثالثة: فتى حسن الوجه طيب الرائحة يتبختر في مشيته[٣].
و في رواية رابعة: انه ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق بل مربوع القامة مدوّر الهامة صَلْت الجبين أزجُّ الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين. على خدّه الأيمن خال[٤]. إلى غير ذلك من الروايات[٥].
و نسمع من سفيره محمد بن عثمان (رحمه الله)، حين سُئل عن رؤيته للمهدي(عج)... يصف عنقه في حسنه وغلظه، فيشير بيده و يقول: و عنقه هكذا[٦] أو قال: ورقبته مثل هذا[٧].
و انما أكد على صفة عنقه ليدل على صفة الرجولة فيه، و انه لم يبق كما عهده الناس في حياة أبيه صبياً صغيراً، أو غلاماً عشارياً عليه رداء تقنّع به[٨].
و في زمان العمري السفير الثاني، حاول شخص أن يقابل المهدي (عج)، فوفّر له العمري فرصة المقابلة. فرآه شاباً من أحسن الناس وجهاً و أطيبهم رائحة.

2 ـ مكانه وتنقّلاته.

في سامراء:
كان حال حياة أبيه (عليه السلام) في سامراء. دلت على ذلك جميع الروايات الناقلة لمشاهدته في تلك الفترة. و من الطبيعي أن يبقى في سامراء يوم وفاة أبيه حيث يصلّي عليه و يقابل وفد القميّين، ليحوّلهم على بغداد، حيث يعيّن لهم سفيراً.
و يبقى في سامراء ردحاً من السنين بعد ذلك، كما تدل عليه حوادث تحويل السفيرين الأولين بأموال الوفود إلى سامراء. و يدلّ عليه أيضاً بعض مقابلاته هناك، و يدل عليه أيضاً ما قامت به السلطات من المطاردة له و الكبس على داره في سامراء من قبل المعتمد و المعتضد، حيث يكون (عليه السلام) موجوداً هناك و لكنه كان يستطيع التخلص. اذن فهو إلى زمان خلافة المعتضد التي تولاّها عام ٢٧٩. كان ساكناً في دار أبيه في سامراء فلو فرض ـ كما هو المظنون ـ أنّ الكبس الذي أمر به المعتضد كان في أول سنة من خلافته، فمعنى ذلك أنّ المهدي (عج) بقي هناك تسعة عشر سنة بعد وفاة أبيه (عليه السلام).
و قد أبعد المهدي (عج) عن نفسه كل الآثار و كل ما يلفت النظر و يثير الشك، حتى وكلاؤه أصبحوا بعيدين عنه، لكي لا يوجهوا الأنظار إليه أوّلاً و لكي يعيشوا في قلب الحوادث الاجتماعية شأن كل من يريد أداء الخدمة الصالحة لمجتمعه و أُمّته، ثانياً. و لكي يبعدوا هم بدورهم عن مراقبة الدولة و عاصمة

---

١ . الغيبة : ١٥٢.
٢ . نفس المصدر: ١٥٣.
٣ . نفس المصدر: ١٥٩.
٤ . نفس المصدر: ١٦١.
٥ . أنظر نفس المصدر أيضاً: ١٥٦ و١٦٣ و١٨٢.
٦ . الغيبة : ٢١٥.
٧ . نفس المصدر: ٢١٩ .
٨ . نفس المصدر: ١٥٥.

الملك حال كونها في سامراء خلال هذه التسعة عشر سنة ثالثاً.
و المتتبّع لخروج التوقيعات و البيانات عن الإمام المهدي (عج) خلال الفترة الأُولى من غيبته، يرى بوضوح قلّتها و ندرتها. إلى حدّ لا يكاد ينقل عن السفير الأوّل، بل السفير الثاني في أوّل سفارته توقيع ذو أهمية، إلاّ في حدود قليلة و عند الحاجة الكبيرة. وما ذلك إلاّ لأن الحاجة إلى الحذر في هذه الفترة ألزم و البعد بين المهدي (عج) وسفرائه من حيث المكان أكثر.

فرصه جديده فى الخروج و التجوّل :

و حين تنتهي هذه الفترة الحرجة، و لا يزال محمد بن عثمان سفيراً في ذلك الحين، تنفتح له (عج)، فرصة جديدة في الخروج و التجوّل بنحو لا يمكن أن يعرفه الناس و لا أن يشار إليه بحقيقته. فانّ أكثر الناس لم يروه في حياة أبيه. و من رآه منهم كان قد رآه طفلاً أو صبياً و الآن قد أصبح شاباً وسيماً، فلا تكاد ملامحه أن تكون محفوظة معروفة بعد مرور هذه الفترة. على أن جيلاً من الناس قد مات وجيلاً واجه الحياة من جديد و هو لا يعرف من شكل المهدي(عج) شيئاً. و كلّما طالت المدّة ابتعدت صورته عن أذهان.
و من هنا انفسحت للمهدي (عج) فرصة جديدة، لأن يدخل بغداد لنراه تارة بزيٌّ التجّار[٩]. و أُخرى آمراً محمد بن علي بن بلال، أن يدفع ما لديه من الأموال إلى سفيره العمري[١٠]. و أصبح يحضر موسم الحج في كل عام، ماشياً[١١]. بل أصبح يخالط الحجّاج من خواصه و يحدّثهم[١٢] و يعلّمهم الأدعية ويعطيهم التعليمات[١٣]. بل إنّه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضت المصلحة ولم يكن في ذلك خطر[١٤]. وكان يسكن خلال فترة الحج في تلك الديار المقدّسة. و من هنا سنرى أنّ جملة من مقابلاته تمّت هناك، من قبل الباحثين عنه المريدين للتشرّف بلقائه.
و كما يذهب إلى الحج، فانّه يذهب إلى كربلاء لزيارة جدّه سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) ، يوم عرفة، فيوصل إلى أحدهم مالاً[١٥].
بل إنّه يصل إلى مصر، على ما يظهر من بعض الروايات، وينزل الإسكندرية في خان ينزله الغرباء،يصلّي في مسجده بأهل ذلك الخان.ثم يسافر مع أحدهم، ويأخذ طريق البحر[١٦].
ثم إنّه يعود من هذه الأسفار إلى بغداد ليباشر الاتصال بسفرائه وإدارة مصالح المجتمع في وجه المنحرفين، عن طريق التوقيعات والبيانات.
هذا ونسمع قول المهدي(عج) ـ في رواية علي بن إبراهيم بن مهزيار ـ يابن المازيار! أبي محمد عهد إليّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الدنيا و الآخرة، ولهم عذاب أليم، و أمرني أن لا أسكن من الجبال إلاّ وعرها ومن البلاد إلاّ عقرها، والله مولاكم أظهر التقية، فوكّلها بي ـ فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج[١٧].

3 ـ عمره الشريف

ولد (عج) في النصف من شعبان عام(٢٥٥ هـ)،فيكون عمره حين وفاة أبيه في شهر ربيع الأوّل من عام (٢٦٠ م) أربع سنوات وحوالي ستّة أشهر، و في هذا العمر تولى منصب الإمامة و قيادة الأمّة، وآتاه الله الحكم صبياً.
و لم يكن شكله يوم وفاة أبيه موافقاً مع هذا العمر، بل كان صبياً يافعاً، حتى قال من رآه: إنّه ابن ثمان أو عشر سنين، و حين شوهد في الحج سنة (٢٩٣)، فقد شاهد شاباً أسمر، قال الراوي: لم أرَ مثله قط في حسن صورته واعتدال قامته، ثمان وثلاثون عاماً، ويكون عمره عند وفاة سفيره الثاني في جمادى الأُولى سنة (٣٠٥ هـ) خمسين عاماً غير ثلاثة أشهر، وعند وفاة سفيره الثالث الحسين بن روح(رحمه الله) سنة (٣٢٦ هـ) واحداً وسبعين سنةً. و يكون عمره عند وفاة سفيره الرابع الشيخ السمري، سنة (٣٢٩) وانتهاء فترة الغيبة الصغرى، أربعاً وسبعين سنةً. قضى منها أربع سنين و نصفاً في حياة أبيه (عليه السلام)، و تسعة و ستّين عاماً ونصفاً وخمسة عشر يوماً في الغيبة الصغرى، ثم بدأت الغيبة الكبرى، حيث لا ظهور إلاّ أن يأذن الله تعالى بالفرج لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.
هذا بحسب عدد السنين. و أمّا بحسب شكله، فكان (عج) لايزال شابّاً، يقدّره الناظر بحوالي العشرين

---

٩ . الغيبة للشيخ الطوسي: ١٦٤.
١٠ . نفس المصدر: ٢٤٦.
١١ . نفس المصدر: ٢٥٨.
١٢ . نفس المصدر: ١٥٢.
١٣ . نفس المصدر: ١٥٦.
١٤ . نفس المصدر: ١٥٢.
١٥ . نفس المصدر: ١٨١.
١٦ . نفس المصدر: ١٨٣.
١٧ . الغيبة للطوسي: ١٦١.

عاماً على ما يستفاد من مجموع أوصافه. و هذا أمر ممكن بل ضروري الثبوت، باعتبارين:
أحدهما: و هو الأمر الأساسي، وهو الإيمان بقدرة الله تعالى الذي خلقنا أوّل مرّة، والذي يحيي العظام وهي رميم، وبيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير.
فاذا عرفنا المصلحة الكبرى المتوقفة على وجود المهدي الإمام (عج) والمسؤولية الكبرى المناطة به، وأنّها من الأهمية في الإسلام إلى حدّ تقتضي أن يُعمل الله عزّوجلّ إرادته الخاصة في تنفيذها.. عرفنا كيف يمكن أن يحفظ الله تعالى الإمام المهدي(عج) لأجل ذلك الهدف الكبير. ولا مانع من ذلك عقلاً ونقلاً كما ورد في القرآن الكريم عن أصحاب الكهف وعزير.
ثانيهما: نموه البطيء في غيبته الكبرى بحيث يقدر له من العمر حين ظهوره أربعين عاماً كما ورد في مجموعة من الأحاديث[١٨].
و من طريف ما ورد في هذا الصدد، ما في عقد الدرر عن أبي عبد الله الحسين(عليه السلام)، قال: «لو قام المهدي لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شابّاً موفقاً وأنّ من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شابّاً، وهم يظنّونه شيخاً كبيراً»[١٩]. والمراد من قوله، يرجع إليهم انّه يظهر لهم بعد غياب، لا أنّه يكون شيخاً ثمّ يتحوّل شابّاً بطريق إعجازي.
هذا كلّه، بحسب المصالح الإلهية الكبرى، المذخورة ليومه الموعود.

الخلاصه

١ـ إنّ صلاة الإمام المهدي (عج) على أبيه (عليه السلام) أتاحت فرصة رؤيته، وكان صبيّاً بوجهه الكريم سمرة، بشعره قطط بأسنانه تفليج كما ورد عن الرسول (ص) والأئمّة(عليهم السلام) في صفاته(عج).
٢ـ وصفه سفيره الثاني لمواليه عندما سألوه عنه (عج)، وسكن في سامراء فترة ليست بالقصيرة، وتنقّل بينها وبين الأمصار التي يسكنها مواليه، وذهب إلى زيارة الإمام الحسين(عليه السلام)في كربلاء، وشوهد وهو يؤدي مراسم الحج، كما ذهب إلى مصر.
٣ـ كان عمره الشريف حين وفاة والده(عليه السلام) أقلّ من خمس سنوات، وعمره حين وفاة السفير الرابع عام (٣٢٩ هـ)، أربعاً وسبعين عاماً، وكل من رآه في ذلك الوقت يقول عنه انه شاب ابن ثلاثين سنة أو تزيد قليلاً، وكان في تنقلاته بزيّ تاجر ليموّه على السلطان الجائر ويتمكّن من التحرّك بحريّة لإتمام هذه المرحلة من غيبته وليتم بناء الكيان الذي ابتدأه آباؤه الكرام(عليهم السلام).

---

١٨ . أنظر الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٥٨ وكتاب المهدي: ٨ .
١٩ . تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر : ٥٤٩ .

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 49

نشاطات الإمام المهدى(عج)

فى الغيبه الصغرى

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في تاريخ الإمام المهدي (عج) ، حيث ألقينا فيها نظرة عليه في الغيبة الصغرى، من صفاته و مكانه و تنقلاته و غير ذلك من الأمور.
و نتعرض في هذا الدرس إلى أهم نشاطاته عليه السلام في هذه الفترة المسماة بالغيبة الصغرى.

المحتوى العلمى

أهم نشاطات الإمام (عج) العامّه

أوّلاً: وجوده و إمامته:

إنّ التحاق الإمام العسكري (عليه السلام) بالرفيق الأعلى و ما رافق ولادة ولده الإمام المهدي (عج) من كتمان و تحفّظ كلّها عوامل تدفع الإمام (عج) إلى تعريف مواليه و سواهم بوجوده و اظهار ما يلزم لبيان تولّيه الإمامة بعد أبيه (عليه السلام) .
و كانت صَلاته على أبيه وإبعادُه لعمّه جعفر أول حدث يخرج به الإمام (عليه السلام) و يكشف عن نفسه أمام ملأ من الناس بمختلف المستويات، حيث تجمّعوا لتشييع الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، و قد حضر من القواعد الشعبية ما يقارب الأربعين شخصاً مع السفير الأوّل عثمان بن سعيد.

ثانياً: صيانه تراث أهل البيت (عليه السلام):

إنّ النشاط العام الثاني البارز للإمام (عج) في فترة الغيبة الصغرى هو الحفاظ على تراث آبائه و تنمية الناحية العلمية و الفكرية لقواعده الشعبية و الحفاظ على مسار الأُمّة بقدر ما يمكن عن الانحراف. و قد تضمّن هذا التراث تحديد و توضيح قواعد وأصول استنباط الأحكام الشرعية و المعارف الإسلامية كما يتّضح ذلك من خلال نشاطات السفراء وتوجيهات الإمام(عج) لهم.

تدوين الأُصول الأربعمائه:

وقد دوّن في عصر الغيبة الصغرى الأُصول الأربعمائة والتي ضمّت ما ورد عن الأئمة(عليه السلام)وحُفظت فيها السنّة النبويّة الواردة عن طريق أهل البيت(عليه السلام)[١]. وبالتالي حفظ المسيرة الثقافية والتكاملية للأُمّة الإسلامية.

ثالثاً: إكمال وإرساء نظام النيابه الخاصه:

إنّ النيابة كنظام قد اكتمل وأرسى مرتكزاته الإمام المهدي (عج)، وقد سبقه الأئمة (عليه السلام)في الاعتماد على الثقاة والخواص من أهل التقوى وممّن عرفوا بوفرة العلم والاجتهاد.
ونجد أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) يمهّد للوكالة ويوثّق لقواعده وكيل الإمام المهديّ الأوّل بقوله:
«هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا و الممات، فما قاله لكم فعني يقوله و ما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه»[٢].
و قدأحصى الشيخ الصدوق أسماء إثني عشر شخصاً من وكلاء و نوّاب الإمام المهدي(عج) في الغيبة الصغرى و أضاف السيد محمد الصدر إليهم أسماء ستّة آخرين استناداً إلى ما ورد في المصادر التأريخية و كتب الرجال[٣].
و كان الإمام(عج) يعيّنهم مباشرة و يصدر بيانات و توثيقات حول ذلك مع نفي الوكالة عمّن كان يدّعيها غيرهم و لم يكن منهم.
ربّما يقال:
و ربّما يقال انّه لم تكن حاجة في زمن الأئمة الذين سبقوا الإمام المهدي (عج) إلى الوكلاء الخاصّين

---

١ . منع تدوين الحديث، السيد علي الشهرستاني : ٣٩٧ ـ ٤٦٥ .
٢ . الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٥.
٣ . المصدر: ١٧٢ وما بعدها.

الذين يقومون بنفس أعمال السفراء الأربعة لأن الإمام (عج) كان موجوداً وظاهراً، وكان بالإمكان لكل أحد أن يتصل به، و لئن مرَّ بعض الأئمة (عليه السلام) في بعض الظروف بوضع استثنائي يصعب الوصول المباشر إليهم خصوصاً بعد واقعة الطف، وامتداداً مع وجودهم حتى تاريخ الغيبة الصغرى; فإنّ ذلك لا يقاس بعصر غيبة الإمام(عج) وعدم إمكان الارتباط به.
و ممّا لا شك فيه أنّ الأوضاع السياسية و الظروف الخاصة بالكيان الشيعي، عقيب استشهاد الإمام العسكري(عليه السلام) و بدء مرحلة الغيبة الصغرى لم تكن تسمح بأن يكون عمل السفراء علنيّاً، لذا كان الشرط الأوّل في الوكلاء و خاصة السفراء أن يكونوا على مرتبة عالية من الإلتزام بالسريّة و الكتمان و عدم الكشف عن المهام المناطة بهم خلال هذه المرحلة.

وضع الإطار العام والشروط الواجب توفّرها فى النائب العام:

كما وضع الإمام (عج) الإطار العام والشروط الواجب توفّرها في النائب العام في مرحلة الغيبة الكبرى اتماماً لما ورد عنهم من الصفات اللازمة عن آبائه (عليه السلام)

رابعاً: الكيان الشيعى:

يُستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام (عج) خلال فترة الغيبة الصغرى أن جهوده ورعايته لم تقتصر على سفرائه بل كان الإمام يسعى لحفظ سائر المؤمنين من الاضطهاد والظلم العباسي متّخذاً سبيل آبائه (عليه السلام) .
فقد روى الشيخ الكليني (رضي الله عنه) في الكافي «عن علي بن محمد قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش ـ الإمامين الكاظم والجواد (عليه السلام) ـ والحيرة ـ لقبر الامام الحسين (عليه السلام) فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائي فقال له: >الق بين الفرات والبرسيين وقل لهم لا يزوروا مقابر قريش؛ فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه»[٤].
كما أنّ الإمام (عج) منع وكلاءه من استلام الأموال من قواعده عندما أمر الخليفة بأن ترسل إليهم أموال بيد أشخاص لا يعرفونهم كي يقبضوا على الذين يستلمون المال لمّا بلغه وجود الإمام و أنّه تجبى إليه الأموال عن طريق وزير الخليفة عبدالله بن سليمان[٥].

قضاء حوائج المؤمنين:

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية و الاجتماعية و الاصلاح بينهم وحلّ مشاكلهم المختلفة الفكرية و غيرها ممّا نقلته لنا المصادر التاريخية في هذه الفترة[٦].

كشف الانحرافات العقائديه:

فضلاً عن مواقفه (عج) في كشف الانحرافات العقائدية، وإفشال انتحال السفارة من مدّعي السفارة عن الإمام:
دعاوي السفارة كذباً و زوراً:
ابتليت السفارة عن الإمام المهدي (عج) وابتلي السفراء أيضاً، بعد أعوام قلائل من أول عهدهم، بدعاوي السفارة كذباً و زوراً، طمعاً في ابتزاز الأموال وتزعّم قيادة الناس.
فبدأ التزوير ـ على ما يدل عليه تاريخنا الخاص ـ خلال الفترة الطويلة التي قضاها السفير الثاني في سفارته، لقد ادّعى السفارة زوراً عن الإمام المهدي (عج) في زمان أبى جعفر محمد بن عثمان العمري (رحمه الله) عدّة أشخاص أولهم: أبومحمد الشريعي[٧]، ثمّ محمد بن بصير النميري، ادّعى ذلك بعد الشريعي[٨]، و أحمد بن هلال الكرخي[٩] و أبو طاهر محمدبن علي بن بلال البلالي، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن أخ أبي جعفر العمري و إسحاق الأحمر[١٠] و رجل يعرف بالباقطاني[١١].

---

٤ . الكافي ١ : ٤٤١.
٥ . المصدر ٢ : ٤٤٠.
٦ . يُراجع الغيبة الصغرى للاطلاع على تفصيل ذلك: ٣٦٧ وما بعدها.
٧ . الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤١.
٨ . نفس المصدر: ٢٤٤.
٩ . نفس المصدر: ٢٤٥.
١٠ . بحارالأنوار : ٧٩.
١١ . الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤٥.

و قد جابههم العمري (رحمه الله) بكل قوة و انتصر عليهم و خرجت من المهدي (عج) التوقيعات و البيانات بلعنهم والبراءة منهم، و التأكيد على كذب سفارتهم و سوء سريرتهم.
و أما في فترة سفارة الشيخ الحسين بن روح، فقد أبتلي بأشدّهم تأثيراً وهو محمد بن علي الشلمغاني العزاقري[١٢] و كان في مبدأ أمره وكيلا لابن روح ثمّ ظهر انحرافه وسقم عقيدته.
و آخرهم في دعوى السفارة الكاذبة ـ على ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسي ـ هو: أبودلف الكاتب، حيث كان على ذلك إلى ما بعد وفاة السمري السفير الرابع.
و قد تصدى الإمام المهدي (عج) بكل قوة لهؤلاء و خرج من ناحيته الشريفة التوقيعات بلعنهم و كذبهم حتى تمّ بحمدالله فضحهم و إبطال دعاواهم.

خامساً: لقاؤه بالمؤمنين:

لقد اشتملت المصادر الروائية المعتبرة على الكثير من الروايات التي تحكي عن التقاء الإمام(عج) بالمؤمنين خلال الغيبة الصغرى، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المصنّفة في تاريخ الأئمّة أو الإمام المهدي (عليه السلام) خاصة من ذكر مثل هذه الروايات، فالشيخ الصدوق (رضي الله عنه) قد روى عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي إصابته حول من التقى بالإمام (عج) من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فقد ذكر ثمانية وستين شخصاً، كما ذكر الميرزا النوري: أنّ عدد من الثقاة بلغ **ثلاثمائة و أربعة أشخاص** استناداً إلى المصادر المعتبرة[١٣].
و هي تخص الذين رأوه و عرفوه و كان يقصد من لقائه (عج) بهم أموراً و قد صرّح الإمام (عج) لعيسى الجوهري حين التقاه قرب المدينة المنورة سنة (٢٦٨ هـ) بسبب لقائه به بقوله(عج):
«ياعيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذّبون القائلون بأين هو؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ و بأي شيء نبّأكم؟ و أي معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رووه، و قدموا عليه، و كادوه و قتلوه، و كذلك آبائي(عليه السلام)، ولم يصدّقوهم و نسبوهم إلى السحر و خدمة الجن إلى ما تبين.
يا عيسى: فخبّر أولياءنا ما رأيته، و إيّاك أن تخبر عدوّنا فتسلبه، فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات، فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتني، و امض بنجعك راشداً، فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً»[١٤].
و يستفاد من الروايات أنّ كثيراً من المؤمنين كانوا يجتهدون في طلب لقائه (عج) في موسم الحج خاصة ـ كما تجد مصداق ذلك في قصة علي بن مهزيار الأهوازي.

الخلاصه

١ـ كان تحرّك ونشاط الإمام المهدي (عج) بدءاً من صلاته على أبيه (عليه السلام) أمام ملأ من الناس، الذين احتشدوا يوم تشييع الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) و حتى إعلان إنتهاء الغيبة الصغرى.
٢ـ يظهر أنّ جهوده (عج) في سبيل تعريف الأُمّة بوجوده و أهمية هذا الوجود المبارك لها، ومن ثم إسناد ومساعدة المؤمنين في مختلف جوانب حياتهم الفكرية والعقائدية و الاجتماعية.
٣ـ أسّس (عج) النيابة الخاصة و العامة و بيّن مواصفات الشخص و الشروط الواجب توفّرها فيه لينال هذا المقام الرفيع.
٤ـ كان لرسائله (عج) و توقيعاته الدور البارز في إثبات تاريخ هذه الفترة، وما جرى فيها مع ما تضمنته من حلول لمشكلات كانت تعاني منها قواعده الشعبية و مواليه. ثم رفده لقواعده بالوسائل السليمة للاتصال بالله سبحانه و طاعته و طلب مرضاته و قد تضمنتها أدعيته و زياراته لآبائه (عليه السلام).
٥ـ حصلت جملة من اللقاءات بينه وبين مواليه في مناطق مختلفة من أقطار العالم الإسلامي.

١٢ . نفس المصدر: ٢٤٨.
١٣ . النجم الثاقب، الميرزا النوري ٢ : ٤٨ ـ ٤٤.
١٤ . تبصرة الولي: ١٩٧.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى(2)

الدرس 50

الغيبه الكبرى

وتكاليف الأمه الإسلاميه خلالها

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض الخطوط العامة في تاريخ الإمام المهدي (عج) ، حيث ألقينا فيها نظرة على أهم نشاطاته عليه السلام في تلك الفترة المسماة بالغيبة الصغرى. وأما في هذا الدرس، فما نريد التعرض له هو مسألة الغيبة الكبرى، فنتكلم في أهم المواضيع التي يمكن طرحها فيها، من قبيل: أسبابها وخصائصها وكيفية الانتفاع بالإمام (عج) فيها ، هذا كله بالإضافة الى تكاليف الأُمّة الإسلامية في تلك الفترة.

المحتوی العلمی

بدء الغیبه الکبری (329 هـ)

كانت وفاة علي بن محمد السمري (٣٢٩ هـ) إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى. و كان التوقيع الصادر عن الإمام (عج) إلى محمد قبل وفاته بستّة أيّام هو الإعلان عن انتهاء فترة الغيبة الصغرى، فلم تكن الغيبة الكبرى واحتجاب الإمام (عج) عن شيعته و قواعده أمراً مفاجئاً و غير متوقع بل قد مهّد لهذه الغيبة الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) حيث تواترت عنه الأخبار الدالّة على ذلك.

تواتر الأخبار الدالّه علی وقوع الغیبه الکبری:

فقد روى *جابر بن عبدالله الأنصاري* عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قوله:
«المهدي من ولدي اسمه اسمي و كنيته كُنيتي أشبه الناس بي خَلقاً و خُلقاً،تكون له غيبة وحيرة تضِلّ فيه الأمم، ثم يقبل كالشهاب و يملأها عدلاً و قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً»[1].
و كما تواتر عن النبي(صلى الله عليه و آله) ذلك فقد تواتر عن أئمة أهل البيت (عليه السلام) أيضاً من خلال الروايات الكثيرة التي تشير إلى الغيبة الصغرى والكبرى معاً.
و يحدّث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أبا *خالد الكابلي* عن أهل زمان الغيبة ـ الكبرى ـ قائلاً له: «يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالسيف، أولئك المخلصون حقّاً و شيعتنا صدقاً و الدعاة إلى دين الله تعالى سرّاً و جهراً».
و قال(عليه السلام) : «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[2].

علل الغیبه الکبری فی الأحادیث الشریفه

لقد أشارت الأحاديث الشريفة المرويّة عن النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار (عليه السلام) لأسباب وعلل غيبة الإمام (عج) ، وإنما نتكلم من وجهة نظر الأحاديث باعتبارها المستندات الرسمية والمادة الأولية في عملنا كتاريخيين.

طوائف الروایات والأحادیث الوارده فی المقام:

و بإلقاء نظرة متمعنة فيما جاء من النصوص حول الغيبة يتّضح أنّ هذه الروايات والأحاديث على طوائف :
فطائفة تذكر أنّ علّة الغيبة هي أنّ الله سبحانه جعل للإمام(عج)سنن الأنبياء في غيباتهم.

و طائفة أُخرى تعلّل غيبته (عج) بخوفه من القتل.

و طائفة ثالثة تذكر أنّ العلّة هي أن لاتكون في عنقه(عج)بيعة لطاغية حين يظهربالسيف.
و طائفة رابعة لم تذكر سبباً صريحاً بل لسانها يقول: إنّ الغيبة أمر من أمر الله سبحانه و سرّ من أسراره يُكشف عنه حين ظهور الإمام(عج).

---

١ . كمال الدين ١ : ٢٨٦.
٢ . كمال الدين ٢ : ٣٢١.

نشير هنا إلى ما جاء في كلٍّ منها ممّا يرتبط بتعليل ظاهرة الغيبة له (عليه السلام).
١) روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فقلت له: يابن رسول الله ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّ الله عزّوجلّ أبى إلاّ أنّ يجعل فيه سنن الأنبياء (عليه السلام) في غيباتهم، وأنّه لابدّ له ياسدير من استيفاء مدّة غيباتهم، قال الله تعالى (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق) أي سنن من كان قبلكم»[٣].
٢) روى *زرارة* عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: «إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت، ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومى بيده إلى بطنه، قال زرارة يعني: القتل»[٤].
٣) وعن *الحسن بن محبوب بن إبراهيم الكرخي* قال:
«قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن علي (عليه السلام) قوياً في دين الله؟ قال: بلى، قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم؟ و ما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّوجلّ منعته، قال: قلت: وأيّ آية هي؟ قال: قول الله عزّوجلّ
{لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}
إنّه كان لله عزّوجلّ ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين و منافقين فلم يكن علي(عليه السلام) ليقتل الآباء حتى تخرج الودايع، فلما خرجت الودايع ظهر على ظهر فقاتله، و كذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتّى تظهر ودايع الله عزّوجلّ فاذا ظهرت ظهر على ظهر فقاتله»[٥].
٤) و روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «والله لا يكون الذي تمُدنّ إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا، ثمّ يذهب من كل عشرة شيء ولا يبقى منكم إلاّ الأندر، ثم تلا هذه الآية :
{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}»[٦].
٥) وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّوجلّ: العاقبة للمتّقين»[٧].
٦) و روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال ـ في جواب من سأله عن علّة الغيبة ـ : «لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»[٨].
إذن هناك أسباب واقعية و موضوعية هي التي تكمن وراء ظاهرة الغيبة كشفت هذه النصوص عنها تارة بشكل صريح و أخرى بشكل رمزي هذا من جهة، و من جهة أخرى أنّ كل نصٍّ تكفّل ببيان جزء من تلك العلّة الواقعية التي ظهرت بمظهر سنّة من سنن الأنبياء، فإن معنى وجود سنّة هو وجود قانون عام ينطبق على الحوادث التأريخية كلما تشابهت الظروف. و حيث إنّ الإمام المهدي (عج) يعبّر عن نفس الخط الذي سار عليه الأنبياء و بعثوا من أجل تحقيق أهدافه. إذن سوف تخضع حركته لنفس السنن العامة التي تحققت في حياة الأنبياء(عليه السلام).

وصلاح الأمّة يقتضي أن يغيب الإمام (عج) حيث لا تتحقّق الأهداف بظهوره قبل الأوان وقبل تهيؤ الظروف الموضوعية الكفيلة بتحقّق أهداف رسالات الأنبياء على يده.

وظهور الإمام (عج) قبل أن تتحقّق الظروف الكفيلة بحفظ وجوده الذي يستطيع إيجاد التغيير العالمي المنشود قد يستلزم قتله من قبل الظالمين فلايكون نفع ظهوره أكبر من نفع غيبته.

خصائص الغيبه الكبرى

و تتصف هذه المرحلة من حياة الإمام بخصائص و مميّزات تجعلها من أحرج الفترات في تاريخ الإسلام عامّة و الجماعة الصالحة خاصة و إنّ أهم هذه الخصائص هي:
١ ـ انقطاع الناس عن القائد الإسلامي و الموجّه الإلهي للتجربة الإسلامية، فهي على عكس الفترات السابقة التي عاشتها الجماعة الصالحة في العصر النبوي المبارك و عهود الأئمة الأطهار(عليه السلام).
٢ ـ انتشار الظلم والجور، و انحسار الإسلام عن الحياة السياسية.
٣ـ التشكيك في وجود الإمام (عج) لاحتجابه عن واقع الحياة و لطول زمان غيبته (عج).

الانتفاع بالإمام (عج) فى الغيبه الكبرى

إذا كان الإمام الغائب لا يستطيع ممارسة و اجباته السياسية و الاجتماعية، إذن فما الفائدة في وجوده و إمامته؟

٣ . الحر العاملي، إثبات الهداة ٣ : ٤٨٦ ـ ٤٨٧.
٤ . علل الشرائع ١ : ٢٤٦.
٥ . علل الشرائع: ١٤٧.
٦ . قرب الإسناد، الحميري : ١٦٢.
٧ . الغيبة للطوسي: ٢٨٢، سورة الأعراف.
٨ . عيون أخبار الرضا ١ : ٢٧٣.

و إذا وصلنا إلى روح هذا السؤال، استطعنا أن نعمّمه على سائر الأئمّة الحاضرين قبل الغيبة في المجتمع الإسلامي ولكنّهم لم يكونوا قادرين على ممارسة مهامّهم الاجتماعية و السياسية و هي إدارة شؤون الدولة الإسلامية وقيادة الأُمّة الإسلامية قيادة علنية كما كان يمارسها الخلفاء و الحكّام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و آله)
إذن ينسحب هذا السؤال الخطير على إمامة جميع الأئمّة المعصومين ما عدا فترة من حياة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وفترة قصيرة جداً من حياة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) و أخرى من حياة الإمام الحسين(عليه السلام).
ويندفع هذا الاعتراض من أساسه إذا استطعنا أن نتصوّر للإمام الغائب دوراً اجتماعياً أو سياسياً يقوم به في عصر غيبته. كما استطعنا أن نصوّر لسائر الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) أدواراً اجتماعية و سياسية كانوايقومون بها في حياتهم بالرغم من فرض الحصار والرقابة الشديدة عليهم.

و الإمام المهدي (عج) كسائر آبائه الطاهرين يمارس مهامّه وهو غائب عن الأنظار كما يمارسها وهو حاضر، ولا يتلكّأ في ذلك رغم حراجة الظروف وصعوبتها. بل لعلّه بغيبته يكون أقدر على الممارسة والتحرّك.

النصوص الروائيه الوارده فى المقام:

و قد أشارت جملة من النصوص الروائية الواردة عن أهل البيت (عليه السلام) وبعضها عن الإمام المهدي (عج) بالذات إلى كيفية الانتفاع به في عصر الغيبة بحيث تتحقّق بعض الأغراض ـ إن لم تتحقّق جميعها قبل توفّر الشروط اللازمة لإقامة دولة العدل الموعود ـ وحينئذ سوف لا يكون وجوده لغواً بل يكون ضرورياً إذا أخذنا كل الأهداف البعيدة والقريبة من وجوده بنظر الاعتبار.
فمن ذلك قوله المشهور:
«و أمّا وجه الانتفاع في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب»[9]. وأضاف(عج) : «وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء».
و من ذلك: ما روي عن الإمام المهدي (عج) أيضاً في نص له بهذا الخصوص:
«إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله ويحمى عنها من أدرك أمله»[10].

تكاليف الأُمّه الإسلاميه فى عصر الغيبه الكبرى

و أما تكاليف الأُمّة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى، فيمكن ذكر التالي في هذا المجال:

1 ـ الإيمان بالإمام المهدى المنتظر (عج)

من التكاليف المطلوبة اسلامياً حال الغيبة: الاعتراف بالمهدي (عج) كإمام مفترض الطاعة وقائد فعلي للأُمّة، وإن لم يكن عمله ظاهراً للعيان، ولا شخصه معروفاً لدى الناس.
وهذا من الضروريات الواضحة، على المستوى الإمامي للعقيدة الإسلامية وقد اعتبرناها في هذا التاريخ أصلاً مسلّماً.
كما أنّ حسب الفرد أن يعرف أنّ عمله الصالح وتصعيد درجة إخلاصه وتعميق شعوره بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين، يشارك في تحقيق شرط الظهور ويقرّب اليوم الموعود.
إذن فـ (الجهاد الأكبر) لكل فرد تجاه نفسه يحمّل الفرد المسؤولية الكبرى تجاه العالم كلّه، ويدعوه إلى ملئه قسطاً وعدلاً كما ملئ ظلماً وجوراً.
فكيف لا ينطلق الفرد مجاهداً مضحياً عاملاً في سبيل إصلاح نفسه وإرضاء ربّه؟!
ومن ثمّ نرى النبي (صلى الله عليه و آله) يؤسس أساس هذا الشعور في الفرد المسلم ويقرن طاعة الإمام المهدي(عج) بطاعته ومعرفته ـ على المستوى العملي التطبيقي ـ بمعرفته.
قال النبي(صلى الله عليه و آله): >القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّوجلّ. من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذّبه فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدّقني... الحديث[11]. إلى غير ذلك من الأخبار الواردة بهذا المضمون عنه (صلى الله عليه و آله) عن

---
٩ . الاحتجاج ٢ : ٢٨٤ وغيرها.
١٠ . الاحتجاج ٢ : ٣٢٣.
١١ . كمال الدين ٢ : ٤١١.

أئمة الهدى(عليه السلام).

2 ـ أهميه العمل الإسلامى ما قبل الظهور

انطلاقاً من قوله تعالى
{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[١٢] ،
لابدّ على الإمامة من التفكير الجدّي والعمل الصالح الجهادي، فهما الأساس لتصعيد درجة الإخلاص والشعور بالمسؤولية والمران على الصمود والتضحية، وهما الشرطان الأساسيان لتكفّل مهمّة اليوم الموعود.

ثمّ إنّ تصعيد درجة الإخلاص قد يكون قائماً على أساس الاضطرار، وقد يكون قائماً على أساس الاختيار.

أما قيامه على أساس الاضطرار، فهو الأمر العام الذي يقتضيه التمحيص الإلهي بشكل رئيسي، فإنّ الافراد في حبّهم لذاتهم وتفضيلهم للراحة، لا يميلون ـ عادة ـ إلى العمل الاجتماعي العام، لما فيه من شعور بالجهد والمسؤولية، ومن ثم فهم لا ينطلقون نحوه إلاّ تحت وطأة من الاضطرار والشعور بالضغط والإحراج.

وأمّا قيام الإخلاص والوعي على أساس الاختيار، فباندفاع المكلف إلى العمل أكثر من مقدار الاضطرار والإحراج، أي بمجرّد شعوره بالمطلوبية الإسلامية له، إلزاماً أو استحباباً... بأن يكون على الدوام معارضاً للظلم داعياً إلى الحق هادياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

إنّ الاندفاع إلى ذلك طبعاً يحتاج إلى درجة كبيرة من الوعي والاخلاص وقوّة الإرادة، ولا يتوفر ذلك إلاّ للقليل... إلاّ أنّه ـ على أي حال ـ ليس هو المستوى المطلوب توفّره في المشاركة في قيادة العالم كلّه في يوم الظهور وانّما يكون العمل الاختياري أو ما نسمّيه بالتمحيص الاختياري مضافاً إلى التمحيص الاضطراري سبباً لإيجاد مثل هذا المستوى الرفيع.

ومن الواضح أيضاً ما لهذا التمحيص الاختياري، من أثر بليغ في التصعيد السريع، بشكل أعظم بكثير ممّا ينتجه التمحيص الاضطراري... وفي التعجيل بإيجاد شرط الظهور، بمقدار ما تقتضيه الظروف الثقافية و الفكرية التي يعيشها الفكر الإسلامي، في أيّ عصر.

3 ـ الانتظار الإيجابى

الانتظار هو التوقّع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير و حصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الإلهي بقيادة الإمام المهدي(عج)، و هذا التوقّع الدائم لا يرفع التكاليف الإلهية بالنسبة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والدفاع عن شعائرالله ودفع الفساد الاجتماعيوالفردي،بل أنه يدل على تأكّد الواجبات والتكاليف ولزوم الاستعداد التام للوقوف إلى جنب الإمام المهدي(عج) في غيبته وظهوره.

4ـ التوطئه لظهوره (عج)

إنّ الذي يستفاد من الروايات في هذا المجال، هو أنّ المراد من الانتظار هو: وجوب التمهيد والتوطئة لظهور الإمام المنتظر (عج). ويدلّ على ذلك ما يلي:

١ ـ ما روي عن النبي (صلى الله عليه و آله): «يخرج رجل يوطىء (أو قال: يمكّن) لآل محمد، كما مكّنت قريش لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، وجب على كل مؤمن نصره (أو قال: إجابته)...».

٢ ـ ما روي عن النبي (صلى الله عليه و آله) أيضاً: «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي».

٣ ـ ما روي عنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً: «يأتي قوم من قبل المشرق، ومعهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوه، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً، كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم; ولو حَبْواً على الثلج»[١٣].

الخلاصه

١ـ كانت وفاة علي بن محمد السمري (٣٢٩ هـ) إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى التي لم تكن أمراً مفاجئاً للشيعة .

٢ـ أشارت الأحاديث الشريفة المرويّة عن النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار (عليه السلام) لأسباب وعلل غيبة الإمام (عج) ، وهي على طوائف : منها: أنّ الله سبحانه جعل للإمام (عج) سنن الأنبياء في غيباتهم. ومنها: خوفه (عج) من القتل. ومنها: أن لاتكون في عنقه (عج) بيعة لطاغية حين

١٢ . الرعد: ١١.
١٣ . كتاب الغيبة، النعماني : ١٧٤.

يظهر بالسيف. وغير ذلك.
٣ـ تتصف الغيبة الكبرى بخصائص ومميّزات تجعلها من أحرج الفترات في تاريخ الإسلام عامّة والجماعة الصالحة خاصة، كعدم الوجود المباشر للإمام المعصوم (عليه السلام).
٤ـ الإمام المهدي (عج) كسائر آبائه الطاهرين يمارس مهامّه وهو غائب عن الأنظار كما يمارسها وهو حاضر، ولا يتلكّأ في ذلك رغم حراجة الظروف وصعوبتها. بل لعلّه بغيبته يكون أقدر على الممارسة والتحرّك.
٥ـ هناك تكاليف على الأُمّة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى، منها: الإيمان بالإمام المهدي المنتظر (عج)، والعمل الإسلامي ، والانتظار، والتوطئة لظهوره (عج).

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 7

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(7)

القاسطون

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض حركات التمرد ضد حكم الإمام علي (عليه السلام)، والتي تمثلت بالناكثين لبيعته ونواصل الكلام في هذا الدرس في هذا الحركات حيث نتناول حركة القاسطين.

المحتوى العلمى

تحرّك القاسطين ضد الإمام على(عليه السلام)

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه (عليه السلام) في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع الى الاستعانة **بعمرو بن العاص** لما يتمتّع به من حيلة وغدر وتوافق معه في العداء للإسلام وللإمام (عليه السلام) ولم يتردّد عمرو طويلاً أمام رسالة معاوية ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لو كان دينه الذي يُدخله الجنّة[1].

وما أن وصل عمرو الى الشام حتى جعل يبكي ويولول كالنساء[2]مبتدئاً خطّته في تضليل الجماهير وخداعها وبعد مراوغة ومكايدة بين معاوية وعمرو، تمّت المساومة على أن تكون حصّة عمرو **ولاية مصر** مقابل مواجهة الإمام (عليه السلام) ومحاربته وكتب معاوية كتاباً بذلك[3].

تحرك معاويه إلى الحرب

بعد تعبئة الشام للحرب؛ أخذ معاوية منهم البيعة وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير[4] الذي أبطأ كثيراً على الإمام (عليه السلام)، ثمّ سارع معاوية بتحريك قوّاته نحو أعالي الفرات في وادي صفّين لاحتلالها ومنع تقدّم قوات الإمام (عليه السلام) وحبس الماء عنهم، وتصوّر معاوية أنّ هذا أوّل نصر يحقّقه على الإمام (عليه السلام).

وطلب الإمام (عليه السلام) من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين الى صفّين وأبى معاوية وجيشه ذلك وأضرّ الظمأ كثيراً بأهل العراق وازداد الضغط على الإمام (عليه السلام) لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم على شاطئ الفرات وتمّ إزاحة قوّات معاوية عن ضفّة النهر.

ولكنّ الإمام (عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة[5].

رغم أنّ الإمام (عليه السلام) أكثر من مراسلة معاوية وفتح عدّة قنوات للحوار محاولاً كسبه وإدخاله في بيعته، لكنّ ردّ معاوية كان هو الحرب والسعي للقضاء على الإمام وجيشه بكلّ وسيلة، بيد أنّ الإمام

(١) وقعة صفّين: ٣٤، والإمامة والسياسة: ١١٦، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢٧٥.
(٢) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٧٤.
(٣) وقعة صفّين: ٤٠، والإمامة والسياسة: ١١٧.
(٤) المصدر السابق: ٥٦.
(٥) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٣ / ٣٢٠، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢٨٣.

(عليه السلام) كان يأمل في محاولة سلمية أُخرى بعد أن استقرّ وجيشه ضفّة الفرات، فسادت هدنة مؤقّتة بعث خلالها الإمام (عليه السلام) مندوبين عنه إلى معاوية وهم **بشير بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني** وشبث بن ربعي التميمي، فقال (عليه السلام) لهم: «إئتوا هذا الرجل ـ أي: معاوية ـ وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة».

وما كان جواب معاوية إلاّ السيف والحرب، فقال للمندوبين: انصرفوا من عندي، فليس بيني وبينكم إلاّ السيف[٦].

الحرب بعد الهدنه

جرت مناوشات بين الجيشين ولم تستعر الحرب بعدُ، فكانت تخرج فرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، وما أن حلّ شهر محرّم من عام (٣٧ هـ) حتى حصلت موادعة بين الطرفين، حاول من خلالها الإمام (عليه السلام) التوصّل الى الصلح وكانت طروحاته (عليه السلام) هي الدعوة الى السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء ودعوات معاوية وأهل الشام رفض بيعة الإمام (عليه السلام) والطلب بدم **عثمان بن عفان**[٧]. واستمرّت الهدنة مدّة شهر واحد ولمّا طالت فترة المناوشات؛ سئم الفريقان من ذلك فعبّأ الإمام (عليه السلام) جيشه تعبئة عامة وكذلك فعل معاوية والتحم الجيشان في معركة رهيبة وكان الإمام يوصي جنوده دائماً فيقول: **«لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة»** ثمّ قال: «*فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل*»[٨].

واستمرت الحرب بين كرٍّ وفرّ حتى سقط خلالها أعداد كبيرة من المسلمين صرعى وجرحى بلغت عشرات الأُلوف.

مقتل عمار بن ياسر

روي: أنّ **عمار بن ياسر** خرج بين الصفوف فقال: إنّي لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر؛ لكنّا على الحقّ وكانوا على الباطل. ثمّ تقدّم نحو جيش معاوية وهو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله *** واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله *** ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ الى سبيله

---

(٦) تأريخ الطبري: ٣ / ٥٦٩، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢٨٤.
(٧) وقعة صفّين: ١٩٥، وتأريخ الطبري: ٣ / ٥٧٠.
(٨) وقعة صفّين: ٢٠٢، وتأريخ الطبري: ٤ / ٦.

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) صادقاً مخلصاً، فاشتبكت عليه الرماح فطعنه **أبو العادية وابن جون السكسكي** وروي أنّهما اختصما في رأس عمار الى معاوية و**عبدالله بن عمرو بن العاص** جالس، فقال لهم: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية»[٩].

وسرى خبر استشهاد عمار بين الجيشين فوقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمون من مكانة عمار وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) له... ولكنّ المكر والحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أنّ الذي قتل عماراً من جاء به. وأذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلالة[١٠].

وروي: أنّ ذلك بلغ الإمام علياً (عليه السلام) فقال: و**نحن قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه الى أحد**[١١]؟

خدعه رفع المصاحف

استمرّ القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام صبرهم وتفانيهم من أجل انتصار الحقّ، ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) قام خطيباً يحثّ على الجهاد فقال: «أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها.. وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ»[١٢].

فبلغ ذلك معاوية وقد بدت الهزيمة على أهل الشام فاستدعى **عمرو بن العاص** يستشيره وقال له: إنّما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل فما ترى؟

قال عمرو: أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا أُدعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم[١٣].

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح ونادى أهل الشام: *يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته الى خاتمته من لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟*

وكانت هذه الدعوى المضلّلة كالصاعقة على رؤوس جيش الإمام، فهاج الناس وكثر اللغط بينهم وقالوا: نجيب الى كتاب الله ونبيب إليه وكان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام عليّ **الأشعث بن**

(٩) وقعة صفّين: ٣٤٠، وتأريخ الطبري: ٤ / ٢٧ ط مؤسسة الأعلمي، والعقد الفريد: ٤ / ٣٤١،.
(١٠) تأريخ الطبري: ٥ / ٦٥٣.
(١١) العقد الفريد: ٤ / ٣٤٣، وتذكرة الخواص: ٩٠.
(١٢) كتاب سليم بن قيس: ١٧٦، والكامل في التأريخ: ٣ / ٣١٠.
(١٣) وقعة صفّين: ٣٤٧، وتأريخ الطبري: ٤ / ٣٤.

قيس.

فقال لهم الإمام (عليه السلام): «عباد الله! امضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإنّ **معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن أبي مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك** ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، وَيْحَكُم! والله ما رفعوها إلاّ خديعةً ووهناً ومكيدةً، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل».

فخاطبوا أميرالمؤمنين باسمه الصريح قائلين: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه وإلاّ ندفعك برمّتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان.

ولم يجد الإمام (عليه السلام) مع المخدوعين سبيلاً فقال: فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما شئتم(١٤).

وكان في ساحة المعركة **مالك الأشتر** يقاتل ببسالة ويقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية، فقالوا لأمير المؤمنين: إبعث الى الأشتر ليأتينّك.. ولكنّ الأشتر لم ينثن عن عزمه في القتال، لأنه يعلم أنّ الأمر خدعة، فهدّدوه بقتل الإمام (عليه السلام)، فعاد الأشتر يؤنّبهم فقال لهم: خُدعتم والله فانخدعتم ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود كنّا نظن أنّ صلاتكم زهادة الى الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت.

وأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين والإمام (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة، مطرق الرأس حزيناً، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه ولم يعد باستطاعته أن يفعل شيئاً وقد أدلى (عليه السلام) بما مني به بقوله: «لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت بالأمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً»(١٥).

خدعه التحكيم وصحيفه الموادعه

لم تتوقّف محنة الإمام (عليه السلام) بتخاذل الجيش وكان بالإمكان أن يحقّق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دُعي إليها لو أطاعه المتمرّدون في اختيار الممثّلين عنه الى التحكيم، فأراد الإمام (عليه السلام) ترشيح **عبدالله بن عباس أو مالك الأشتر** لما يعلم عنهما من اخلاص ووعي وأصرّ المخدوعون على ترشيح **أبي موسى الأشعري**، فقال الامام (عليه السلام): «إنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن أُولّي أبا موسى فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي ـ بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل ـ ثمّ هرب منّي حتى أمّنته بعد أشهر»(١٦).

(١٤) وقعة صفّين: ٤٨١، وتأريخ الطبري: ٤ / ٣٤ و٣٥ ط مؤسسة الأعلمي.
(١٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨ ط مؤسسة النشر الإسلامي.
(١٦) وقعة صفّين: ٤٩٩، وتأريخ الطبري: ٤ / ٣٦ والكامل في التأريخ: ٣ / ٣١٩.

وتمكّن معاوية وابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام (عليه السلام)، يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوّات الإمام.

حضر عمرو بن العاص ممثّلاً عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتّفاق مع أبي موسى الأشعري ولم يقبل عمرو كتابة اسم **«أميرالمؤمنين»** في الصحيفة، فقال الإمام (عليه السلام): إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية إذ قال **سهيل بن عمر** للنبي: لست رسول الله، ثمّ قال (عليه السلام): فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما إنّ لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد[١٧].

وأهمّ ما جاء في الصحيفة هو إعلان الهدنة ووقف القتال وأن يلجأ الطرفان الى كتاب الله وسنّة نبيّه لحلّ قضاياهم وأُجّل البتّ في قرار الحكمين الى رمضان (٣٧ هـ)، حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه. والغريب أنّ مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد ولو بإشارة بسيطة في كتاب الموادعة مع أنّها أُسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية وحزبه من أبناء الطلقاء[١٨] واتّفقوا على أن يكون موضع اجتماع الحكمين في **«دومة الجندل»**.

قفل أميرالمؤمنين(عليه السلام) راجعاً الى الكوفة مثقلاً بالهموم والآلام، يرى باطل معاوية قد استحكم وأمره أوشك أن يتمّ وينظر الى جيشه وقد فتّته التمرّد لا يستجيب لأمره.

ودخل الإمام (عليه السلام) الكوفة فرأى لوعة وبكاء، قد سادت جميع أرجائها حزناً على من قتل في صفّين واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء وجعلوا أميرهم على القتال **شبث بن ربعي** وعلى الصلاة **عبدالله بن الكواء اليشكري و**خلعوا بيعة الإمام (عليه السلام) يدعون الى جعل الأمر شورى بين المسلمين.. وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة الموادعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: *لانرضى، لا حكم إلاّ لله*، واتّخذوه شعاراً لهم رغم أنّهم هم الذين أصرّوا على الإمام (عليه السلام) لقبول التحكيم.

وسعى أميرالمؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم **عبدالله بن عباس** وأمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة ولحقه الإمام (عليه السلام) فكلّمهم وحاججهم وفنّد كلّ دعاويهم، فاستجابوا له ودخلوا معه الى الكوفة[١٩].

اجتماع الحكمين

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام (عليه السلام) أربعمائة رجل عليهم **شريح بن هاني** وبعث معهم **عبدالله بن عباس** ليصلّي بهم ويلي أُمورهم وأبو موسى الأشعري معهم وبعث

---

(١٧) وقعة صفّين: ٥٠٨، وشرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٢.
(١٨) تأريخ الطبري: ٤ / ٤٠.
(١٩) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٤، والكامل في التأريخ: ٣ / ٤٢٦،.

معاوية **عمرو بن العاص** في أربعمائة رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل.

وقد سارع عدد من أهل الرأي والحكمة ممّن أخلصوا للإمام (عليه السلام) بتقديم النصح والتحذير لأبي موسى، باذلين جهدهم في حمله على التبصرة والرويّة في اتّخاذ القرار وخشية منهم من مكر عمرو وخداعه[٣٠].

قرار التحكيم

اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص و**الأوّل** يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلّة الولاء لإمامه عليّ (عليه السلام) و**الثاني** هو الماكر المخادع ذو السجيّة الغادرة والطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت (عليهم السلام) تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلاً حتى تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري والسيطرة عليه وتوجيهه نحو ما يريد واتفق الإثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ (عليه السلام) ومعاوية عن ولاية أمرالمسلمين واختيار **عبدالله بن عمر بن الخطاب** ليكون الخليفة المقترح.

وبادر **ابن عباس** محذّراً الأشعري من أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له: ويحك والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلّم أنت بعده، فإنّ عَمْراً رجل غادر، لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام عليّاً (عليه السلام)، ثمّ انبرى عمرو فخطب وأكّد خلع الإمام وثبّت معاوية لولاية الأمر[٣١].

وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر وعاد إليه أهل الشام يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين وأمّا أهل العراق، فغرقوا في الفتنة وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه وهرب أبوموسى الى مكّة ورجع ابن عباس وشريح الى الإمام عليّ (عليه السلام).

الخلاصه

١. ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه (عليه السلام) في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع الى الاستعانة بعمرو بن العاص لما يتمتّع به من حيلة وغدر وتوافق معه في العداء للإسلام وللإمام (عليه السلام).

٢. طلب الإمام (عليه السلام) من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين الى صفّين

---

(٢٠) وقعة صفّين: ٥٣٤، وشرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٤٦. ط. دار إحياء التراث العربي.
(٢١) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٢، ومروج الذهب: ٢ / ٤١١، والكامل في التأريخ: ٣ / ٣٢٢.

وأبى معاوية وجيشه ذلك ولكنّ الإمام (عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل حين تمّ إزاحة قوّاته عن ضفّة النهر، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة.

٣. حاول الإمام كثيرا حقن الدماء والمنع من وقوع الحرب إلا أن القاسطين لم يقبلوا بذلك حتى وقعت حرب صفين.

٤. كادت الحرب تنتهي بانتصار جيش الإمام لولا خدعة رفع المصاحف التي لم يستمع فيها القوم لرأي الإمام (عليه السلام).

٥. كما أن القوم لم يستمعوا لرأي الإمام في تعيين الحكم عنهم فكانت النتيجة الإنكسار.

بسمه تعالى

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 8

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(8)

المارقون

المقدمه

تناولنا في الدرس السابق بعض حركات التمرد ضد حكم الإمام علي (عليه السلام) والتي تمثلت بالناكثين والقاسطين ونواصل الكلام في هذا الدرس في هذا الحركات حيث نتناول حركة المارقين (الخوارج).

المحتوى العلمى

تحرّك المارقين ضد حكومه الإمام على(عليه السلام)

يمكن أن نقول: إن ظهور **الخوارج** إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل وصفّين،

لقد كان من أهمّ صفات الخوارج هو التحجّر والتمسّك بالظواهر والتعصّب والخشونة وعدم التمييز بين الحقّ والباطل وأنّهم سريعو التأثّر بالشائعات، فيتردّدون عند أدنى شكّ.

أسباب ظهور الخوارج

ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى:

١ ـ **الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر،** وخصوصاً أنّ معارك الإمام (عليه السلام) ضد متمرّدين هم مسلمون في الظاهر، فلم يتمكّن الخوارج من فهم معالجة الإمام للمتمرّدين ولم يتمكّنوا من تحمّل نتيجة التحكيم، في حين أنهم هم الذين أجبروه على قبول التحكيم ولم يواجهوا أنفسهم بمواقفهم المنحرفة، فسعوا الى تعليق أخطائهم وتحميل أوزارها الى طرف١خر غيرهم ولم يكن إلاّ الإمام عليّ (عليه السلام)[1].

٢ ـ **استغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام (عليه السلام) لكي تمارس الأمّة وعيها الرسالي،** فقد روي أنّهم كانوا يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته بدعوى «*لا حكم إلاّ لله*» وما كان الإمام يجيبهم إلاّ بـ «كلمة حقّ يراد بها باطل». وقال الإمام (عليه السلام) لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم في أيدينا ولا نبدؤكم للحرب حتى تبدؤونا»[2] فتحوّلت حركتهم من حالة فردية الى حالة جماعية.



(١) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٣ ـ ٥٨.
(٢) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٤، والكامل في التأريخ: ٣ / ٣٣٤، ومستدرك وسائل الشيعة: ٢ / ٢٥٤.

ردّ الإمام (عليه السلام) على قرار الحكمين

ولمّا بلغ خبر التحكيم إلى الإمام (عليه السلام) تألّم كثيراً وخطب في الناس يحثّهم ويدلّهم على إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه وذكّرهم بنصحه لهم، فقال (عليه السلام): «*إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجفاة، المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه وضَنَّ الزند بقدحه، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:*

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى *** فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد

*ألا إنّ هذين الرجلين ـ **أبا موسى الأشعري وابن العاص** ـ اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة ولا سنّة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله*».[٣]

وكتب الإمام الى **عبد الله بن عباس** أن يعبّئ أهل البصرة للالتحاق بالإمام (عليه السلام) لقتال معاوية، فالتحقت جموع البصرة بالكوفة ولكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة والكوفة متّجهين نحو النهروان وفسادهم في الأرض أقلق أصحاب الإمام (عليه السلام) من تركهم خلفهم لو توجّهوا إلى الشام فطلبوا من الإمام أن يقضي على الخوارج أوّلاً[٤].

عبث الخوارج

وكان من عبث الخوارج أنّهم قبضوا على **عبد الله بن خباب وزوجته** فقتلوه وبقروا بطن امرأته وألقوا ما فيها من دون مبرّر وكذلك قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام (عليه السلام) إليهم[٥].

ولمّا انتهى الإمام (عليه السلام)؛ إليهم بعث لهم رسولاً يطلب منهم قتلة عبدالله بن خباب وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

وبعث الإمام (عليه السلام) **قيس بن سعد وأبا أيوب الأنصاري** لينصحوا القوم عساهم أن يفهموا واقع الأحداث ويجنّبوا الأُمّة مزيداً من الدماء، ثمّ أتاهم الإمام (عليه السلام) فقال لهم:

«أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب العظيم! إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأُمّة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولا برهان مبين».

---

(٣) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٧.
(٤) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٧ و٥٨، والبداية والنهاية: ٧ / ٢٨٦.
(٥) تأريخ الطبري: ٤ / ٦١، والبداية والنهاية: ٧ / ٢٨٦، والفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٠٨.

ثمّ بيّن لهم (عليه السلام) أنّه كره التحكيم وعارضه وشرح سبب معارضته بوضوح لهم ولكنّهم أنفسهم أجبروا الإمام على قبول التحكيم وأنّ الحكمين لم يحكما بالقرآن والسنّة وها هو الإمام يعدّ العدّة لملاقاة معاوية ثانية، فلا معنى لخروج المارقين ولم يرعو المارقون لقول الإمام وطالبوه بتكفير نفسه وإعلان توبته، فقال (عليه السلام):

«أصابكم حاصب ولا بقي منكم آثر أبعد إيماني برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين» ثمّ انصرف عنهم وتقدّم الخوارج فاصطفّوا للقتال.. وعبّأ الإمام (عليه السلام) جيشه لملاقاتهم وفي محاولة أخيرة أمر الإمام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: «من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة والمدائن فهو آمن إنّه لا حاجة لنا فيكم إلاّ فيمن قتل إخواننا».

فانصرفت منهم مجاميع كثيرة وقال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

وهجم الخوارج وهم يتصايحون: **لا حكم إلاّ لله**... الرواح الرواح إلى الجنّة ولم تمض إلاّ ساعة حتى أُبيد أكثرهم ولم ينجُ منهم إلاّ أقلّ من عشرة ولم يُقتل من أصحاب الإمام إلاّ أقلّ من عشرة أشخاص(٦).

ذو الثُّديه

أمر الإمام (عليه السلام) بطلب **«ذي الثُّدية»** ـ أحد قادة الخوارج ـ وألحّ في ذلك لأنّ في ذلك مصداقاً لوصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) بمقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثدية(٧). ولمّا وجدوه، أخبروا الإمام (عليه السلام) فقال: «الله أكبر ما كذبت ولا كذّبت لولا أن تنكلوا عن العمل؛ لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه (صلى الله عليه وآله) لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه» وسجد (عليه السلام) شكراً لله(٨).

بعد مقتل عثمان بن عفان ولّى أمير المؤمنين **قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري** ولاية مصر، ثمّ كلّف **محمد بن أبي بكر** ليقوم مقام قيس بن سعد لرأي رآه (عليه السلام) وبقيت مصر الجناح الآخر الذي يقلق معاوية، فما أن ساد الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد المعارك ونتائجها؛ تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين وحاول (عليه السلام) أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعِدّة والعُدّة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى أتت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر وحزن الإمام (عليه السلام) على محمد(٩)، ثمّ كان قد كلّف (عليه السلام) **مالك الأشتر** بولاية مصر وكتب إليه عهده المشهور في إدارة الحكم وسياسة الناس ولكن معاوية وما يملك من وسائل الشيطان والخداع تمكّن

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٥٩ ط مؤسسة النشر الإسلامي ومروج الذهب: ٣٨٥/٢، والبداية والنهاية: ٣١٩/٧.
(٧) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتالهم.
(٨) تأريخ الطبري: ٤ / ٦٦، وشرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٦٦، والبداية والنهاية: ٢٩٧.
(٩) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦ / ٨٨.

من دسّ السم لمالك(١٠).

انهيار الأمّه وتفكّكها

ويمكننا أن نلحظ حال الأمّة بعد خوض الإمام (عليه السلام) ثلاث معارك فيصلية لاجتثاث الفساد فيما يلي:

١ ـ مُني الإمام (عليه السلام) والأمّة بفقد خيار الصحابة الواعين والمؤثّرين في المجتمع وحركة الرسالة الإسلامية الذين كان يمكن من خلالهم بناء الأمّة الصالحة وفق نهج القرآن والسنّة بإشراف الإمام (عليه السلام) وقد بلغ الحزن في نفس الإمام مبلغاً عظيماً نجده في نعيه لهم بقوله:

«*ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أُجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم.. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النيّة وأُبرد برؤوسهم الى الفجرة؟*»

ثمّ وضع يده على كريمته فأطال البكاء ثمّ قال: «أوِّه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه وتدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتّبعوه»(١١).

٢ ـ تمرّد الجيش وتفكّكه وظهور الضعف والسأم من الحرب لكثرة مَن قتل من أهل العراق الذين يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام (عليه السلام) ولم يتمكن (عليه السلام) بما يملك من قدرة خطابية رائعة وحجّة بالغة أن يبعث الإندفاع والحزم في قاعدته الشعبية لمواصلة الحرب وممّا زاد من تفتيت الجيش عدم توقّف معاوية من مخاطبة زعماء القبائل والعناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا، فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب إذا قاموا بكلّ ما يؤدي إلى إضعاف قوّة الإمام (عليه السلام) وجماهيره المؤيدة، حتى أنّ الإمام (عليه السلام) لم يستطع أن يعبّئ في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان استعداداً لقتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش الى داخل الكوفة ممّا أدّى بالإمام (عليه السلام) أن يلغي المعسكر ويؤجّل الحرب(١٢).

٣ ـ لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام (عليه السلام) والأُمّة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشنّ غارات على أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل والسبي والإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق فأرسل **النعمان بن بشير الأنصاري** للإغارة على منطقة **«عين التمر»**، ووجّه **سفيان بن عوف** للإغارة على منطقة **«هيت»** ثم على **«الأنبار والمدائن»** والى **«واقصة»** وجّه معاوية **الضحّاك بن قيس الفهري**. وفي كلّ مرّة يحاول الإمام (عليه السلام) دعوة الجماهير لمقاومة غارات معاوية فلم يلق

(١٠) تأريخ الطبري: ٤ / ٧٢.
(١١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠ / ٩٩.
(١٢) تأريخ الطبري: ٤ / ٦٧.

الاستجابة السريعة وأدرك معاوية ضعف قوة حكومة الإمام (عليه السلام) وتزايد قوّته(١٣).

وبعث معاوية **بسر بن أرطاة** للغارة على الحجاز واليمن، فعاث في الأرض فساداً وقتلاً للأبرياء(١٤) وبلغ الأسى والأسف في نفس الإمام (عليه السلام) مبلغاً عظيماً ممّا يفعل المجرمون ومن تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بضجره من تخاذلهم وتقاعسهم فقال: «اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً منّي».(١٥)

وقد أنذر الإمام (عليه السلام) الأُمّة الإسلامية بمستقبل مظلم وآلام كثيرة تحلّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس وتخاذل عن نصرة الحقّ، فقال (عليه السلام): «أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرةً يتّخذها الظالمون فيكم سنّة، فيفرّق جماعتكم ويبكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم وتتمنّون عن قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ما أقول لكم»(١٦).

آخر محاولات الإمام (عليه السلام):

بعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من الفساد ونشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية؛ عزم الإمام (عليه السلام) أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الأُمّة، فخاطب الجماهير وهدّدهم فقال:

«أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي، فهو ما أطلب وماأُحبّ وإن كنتم غير فاعلين، فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خيرالحاكمين، لأدعوّن الله عليكم، ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلاّ عشرة»(١٧).

وأيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس وأيقنوا أنّ الإمام (عليه السلام) سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته الى معاوية وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم الى يوم القيامة، فتحرّك وجهاء الناس للاستعداد لملاقاة معاوية والقضاء على الفساد وخرج الناس الى معسكراتهم في منطقة **«النخيلة»** خارج الكوفة وتحركّت بعض قطعات الجيش تسبق البقيّة مع الإمام (عليه السلام) الذي بقي ينتظر انقضاء شهر رمضان.

الخلاصه

١ـ من أهمّ صفات الخوارج (المارقين) هو التحجّر والتمسّك بالظواهر والتعصّب والخشونة وعدم التمييز بين الحقّ والباطل وأنّهم سريعو التأثّر بالشائعات، فيتردّدون عند أدنى شكّ.

٢ـ ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى جملة من العوامل منها:

---

(١٣) الغارات للثقفي: ٤٧٦، وتأريخ الطبري: ٤ / ١٠٢ و١٠٣.
(١٤) الغارات للثقفي: ٤٧٦، وتأريخ الطبري: ٤ / ١٠٦ ط مؤسسة الأعلمي.
(١٥) نهج البلاغة: الخطبة (٢٥).
(١٦) أنساب الاشراف: ١ / ٢٠٠، نهج البلاغة: الكلمة (٥٨).
(١٧) سيرة الائمة الإثني عشر: ١ / ٤٥١ عن البلاذري في أنساب الأشراف.

أ ـ الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر.

ب ـ استغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام (عليه السلام).

٣ـ كان من عبث الخوارج أنّهم قبضوا على عبدالله بن خباب وزوجته فقتلوه وبقروا بطن امرأته وألقوا ما فيها من دون مبرّر وكذلك قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام (عليه السلام) إليهم.

٤ـ بذل الإمام الكثير من المحاولات للمنع من حصول الحرب مع الخوارج.

٥ـ عندما ساد الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد المعارك ونتائجها، تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين.

٦ـ أدت حركات التمرد إلى انهيار الأُمّة وتفكّكها.

٧ـ أنذر الإمام (عليه السلام) الأُمّة الإسلامية بمستقبل مظلم وآلام كثيرة تحلّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس وتخاذل عن نصرة الحقّ.

٨ـ بعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من الفساد ونشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية، عزم الإمام (عليه السلام) أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الأُمّة، فخاطب الجماهير وهدّدهم، ما أيقظ نفوس الناس وأيقنوا أنّ الإمام (عليه السلام) سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته الى معاوية وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم الى يوم القيامة.

بسمه تعالی

التاريخ الاسلامى (2)

الدرس 9

تاريخ الإمام على (عليه السلام)(9)

الإمام علىّ (عليه السلام) شهيد العقيده والمحراب

المقدمه

تناولنا في الدروس السابقة حركات التمرد ضد حكم الإمام علي (عليه السلام) والتي تمثلت بالناكثين والقاسطين والمارقين، الحركات التي أدت إلى انهيار الدولة والحالة الإجتماعية للأفراد، ما أدى إلى ظهور الكثير من الأمراض الإجتماعية المختلفة ونواصل الكلام في هذا الدرس في ما بقي من حياة الإمام (عليه السلام) بعد تلك الحروب التي خاضها مع تلك الحركات.

المحتوى العلمى

شهادته:

لقد تواطأت زمر الشرّ على أن لاتبقي للحقّ رايةً تخفق أو يداً تصول فتصلح أو صوتاً يدوي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبوسفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) ووأد الرسالة الإلهية في مهدها ولكنّ الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره.

وهاهو **معاوية بن أبي سفيان** يقبض على نتائج انحراف السقيفة ويتمّم مابدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الشرّ والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأمّة الحيّ وصوت الحقّ الهادر وحامل لواء العدل ومحيي الشريعة المحمديّة السمحاء.

واجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفّ انحرافهم وفسادهم، فامتدّت يد الشيطان لتصافح **ابن ملجم** في عتمة الليل وفي ختلة وغدرة هوت بالسيف على هامة طالما استدبرت الدنيا واستقبلت بيت الله وهي ساجدة وغادرتها منها في تلك الحال.

لقد اغتالوا الحقّ يوم اغتالوا عليّاً (عليه السلام) ولكنّه فاز إذ وفّى لربّه ودينه ونبيّه فدوى صوته الأبدي في الآفاق:

«**فزت وربّ الكعبة**».

فاز إذ أقام الدين وهدى للرشاد وسار على الحقّ في أُمور العباد والبلاد متّبعاً نبيّه مستقيماً على سنّته راعياً ذمّته في أُمّته ماحقاً الباطل والبدعة.

لقد روّى علي ابن أبي طالب(عليه السلام) شجرة الإسلام المحمّدي الباسقة والتي تعهّد إرواءها بدمه الطاهر الزكّي وأوقف الانحراف عند حدّه بإيقاف حياته، لتواصل الأُمّة مسيرتها مع عَلَم آخر من أعلام آل محمد(صلى الله عليه وآله) لتبدأ صفحة جديدة من البناء.

نعم روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله: «يا علي! أتدري من أشقى الأولين»؟ فقال عليّ(عليه السلام): «الله ورسوله أعلم»، قال (ص): «عاقر النّاقة (ناقة صالح)»، ثمّ قال(ص): «أتدري من أشقى الآخرين»؟ فقال(عليه السلام): «الله ورسوله أعلم»، قال(ص): **«قاتلك»**.

لقد اجتمعت عصابة ضالّة على قتل أميرالمؤمنين (عليه السلام) لا يبعد أن كان محرّكها معاوية، واتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهة الإمام (عليه السلام).

ولمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة الشريفة؛ كان الإمام (عليه السلام) يكثر التأمل في السماء وهو يردّد «ما كذبت ولا كذّبت إنّها الليلة التي وعدت بها»[1]، وأمضى (عليه السلام) ليلته بالدعاء والمناجاة، ثمّ خرج الى بيت الله لصلاة الصبح فجعل يوقظ الناس على عادته الى عبادة الله فينادي: «الصلاة... الصلاة».

ثمّ شرع (عليه السلام) في صلاته وبينما هو منشغل يناجي ربّه؛ إذ هوى المجرم اللعين **عبد الرحمن بن ملجم** وهو يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك»؛ ووقع السيف على رأسه المبارك فقدّ منه؛ فهتف الإمام (عليه السلام): «فزت وربّ الكعبة»[٢].

ولمّا علت الضجّة في المسجد؛ أقبل الناس مسرعين، فوجدوا الإمام (عليه السلام) طريحاً في محرابه، فحملوه الى داره وهو معصّب الرأس والناس يضجّون بالبكاء والعويل واُلقي القبض على المجرم ابن ملجم وأوصى الإمام (عليه السلام) ولده الحسن وبنيه وأهل بيته أن يحسنوا الى أسيرهم وقال: «النفس بالنفس، فإن أنا مُتّ، فاقتلوه كما قتلني وإن أنا عشت، رأيت فيه رأيي»[٣].

وصيّه الإمام عليّ (عليه السلام):

أوصى الإمام (عليه السلام) ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

«أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحقّ واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم»[٤].

ولم يمهل الجرح أمير المؤمنين طويلاً لشدّته وعظيم وقعته، فقد دنا الأجل المحتوم وكان آخر ما نطق به قوله تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون»، ثمّ فاضت روحه الطاهرة الى جنّة المأوى.

تأبين الإمام على (عليه السلام):

نهض الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين وما يترتّب عليهما من إجراءات الدفن من غسل وتكفين، ثمّ صلى الإمام الحسن (عليه السلام) على أبيه ومعه ثلّة من أهل بيته وأصحابه، ثمّ حملوا الجثمان الطاهر الى مثواه الأخير، فدفن في النجف قريباً من الكوفة وتمّت كلّ الإجراءات ليلاً[٥].

(١) الصواعق المحرقة: ٨٠، وبحار الانوار: ٤٢ / ٢٣٠.
(٢) الامامة والسياسة: ١٨٠ أو: ١٣٥ ط بيروت و١٥٩ ط مصر، وتأريخ دمشق: ٣ / ٣٦٧ ترجمة الإمام عليّ (ع)
(٣) مقاتل الطالبيين: ٢٢، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦ / ١١٨، وبحار الأنوار: ٤٢ / ٢٣١.
(٤) تأريخ الطبري: ٤ / ١١٤ ط مؤسسة الأعلمي، راجع أيضاً نهج البلاغة: باب الكتب / ٤٧ طبعة صبحي الصالح.
(٥) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٩٠.

ثمّ وقف **صعصعة بن صوحان** يؤبّن الإمام (عليه السلام) فقال:

«*هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك وقوي صبرك وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك وقدمتَ على خالقك فتلقّاك الله ببشارته وحفّتك ملائكته واستقررتَ في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمنَّ علينا بإقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك والموالاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلتَ ما لم ينله أحد وأدركت ما لم يُدركه أحد وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده وقمت بدين الله حقّ القيام حتى أقمتَ السنن وأبرتَ الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام*».

ثمّ قال: «*لقد شرّف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله (ص) نسباً وأوّلهم إسلاماً وأوفاهم يقيناً وأشدّهم قلباً وأبذلهم لنفسه مجاهداً وأعظمهم في الخير نصيباً فلا حرمنا أجرك ولا أذلّنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح الخير ومغالق الشر وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كلّ خير ولو أنّ الناس قبلوا منك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة*»[٦].

الخلاصه

١ـ لقد تواطأت زمر الشرّ على أن لاتبقي للحقّ رايةً تخفق أو يداً تصول فتصلح أو صوتاً يدوي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبوسفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) ووأد الرسالة الإلهية في مهدها ولكنّ الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره.

وهاهو معاوية بن أبي سفيان يقبض على نتائج انحراف السقيفة ويتمّم مابدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الشرّ والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأُمّة الحيّ، وصوت الحقّ الهادر وحامل لواء العدل ومحيي الشريعة المحمديّة السمحاء.

٢ـ لقد اجتمعت عصابة ضالّة على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يبعد أن كان محرّكها معاوية، وتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهة الإمام (عليه السلام).

٣ـ أوصى الإمام (عليه السلام) ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

«أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحقّ واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم».

---

(٦) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٩٥.